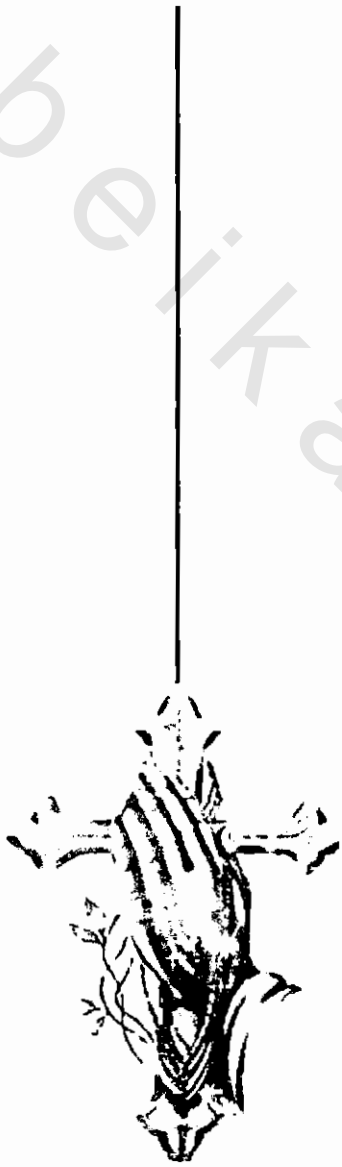

الحقيقة كما حدثت لا كما قيلت :

النصارى يحكمون مصر !

والبابا يتبختر كقيصر !!

obeikandl.com

obeikandl.com

كلما ازدادت الخطوب، وتهاطلت المصائب، وتكاثرت الفتن، تدهمني الحيرة، وينقض السؤال ظهري: سؤال يقول: في أي الشؤون أكتب، ولأي الفتن أتصدى، وعن أي الخطوب أدافع، أتقلب على الجمر و أقبض عليه إذ أتساءل: أي الكوارث أولى بالمواجهة، و أي المصائب لا يجوز التواني عن الحديث عنها، كلما حدث ذلك تتغير أولوياتي، فأنصرف عما نويت التصدي له، وأتحول عما أردت الخوض فيه، ليس انصرافا عن المهم، بل اتجاها للأهم، فأكون كالأب الذي ينصرف عن ابنه الذي تصرعه الحمى، إلى ابنه الآخر الذي يكاد النزيف أن يقتله، وما أكثر ما انتويت أن أكتب حاشية في أمر ما، حاشية من بضعة سطور، فإذا بالحاشية تتحول إلى مقال، وكم من مرة انتويت أن أكتب مقالا واحدا أعود بعده إلى ما كنت فيه، لكن المقال يستدعي أجزاء و أجزاء و أنا أدرك أنني لم أكمله، و أن هناك نقاطا في غاية الأهمية لم أذكرها، أقول كلما حدث ذلك ينساب إليّ خيال حزين ربما كان رؤيا، وربما كان من خلال أستار الزمن رؤية، عن فارس، ربما كان في الاندلس أو في العراق أو في فلسطين أو في سيناء أو في البوسنة والهرسك أو الفلبين أو كوسوفا أو في بخارى أو في سمرقند، أو الشيشان أو كشمير أو في دمشق وبيروت والرياض والقاهرة، فارس يحاول الدفاع عن قلعة تهدمت حصونها ونقبت ثغورها، وانشغل ولاتها الخونة، و أمراؤها اللصوص، انشغلوا عن الدفاع عنها بجمع ما سرقوه منها والهرب، ويقف الفارس حيران، هذا الثقب أولى بالدفاع أم تلك الثغرة، تلك الثلة من فرسان العدو أم تلك القلة، هل يندفع إلى اليسار أم اليمين أولى، إلى الأمام أم الخلف أخطر، كلما اتجه إلى مكان اكتشف أن الخطر في المكان الآخر أشد، وكلما عزم على أمر وجد أن فرصة تنفيذه قد ولت، تجيئه النداءات من كل صوب، والاستغاثات من كل جهة، اختلطت الأصوات فما عاد يعلم إن كان الصوت صوت أخيه أم صوت عدوه، وما إذا كانت الاستغاثة صادرة لتحذيره أم لتضليله

كي يندفع إلى المكان الخطأ في الزمان الخطأ، اشتبكت الأصوات واختلطت الملامح، الأعداء يلبسون زى قومه وقومه يلبسون زى الأعداء، لم يعد يعرف، لم يعد يفهم، عيناه تكذبان وأذناه تكذبان وفكره يختل، إلى من يستجيب؟ من يُنجد وبمن يستنجد؟ ؟ تدور عيناه، تنسعر عيناه، يجرى لكن في نفس النقطة من المكان، يلهث، يدور حول نفسه، يظل يدور، ويدور ويدور.

***

يستبد بي هذا الخيال الكابوسي، ثم ما يلبث حتى يستسلم لواقع لا يكاد يختلف عنه، فمنذ شهور، مرت كدهور، و أنا أنوي العودة للكتابة عن شهيد الإسلام سيد قطب، لعن الله قاتليه، و نصر متبعيه وتابعيه، ورحت أؤجل وأؤجل، ملتمسا الأعذار لنفسي، فالشهيد – إن شاء الله- يستطيع أن ينتظر، وهو – إن شاء الله- في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وعندما انتقلت المجاهدة زينب الغزالي – وهي الشهيدة في فراشها إن شاء الله – إلى رحاب الله، قلت لنفسي : قد آن الأوان إذن، لأن مدخل الكتابة عن الفصل الأخير من حياة الشهيد سيد قطب، لابد أن يمر من خلال أيام من حياة المجاهدة العظيمة، و عزمت، وتوكلت، وقدرت، ونويت.

نعم، عزمت، وتوكلت، وقدرت، ونويت، لكن الله قدر أمرا آخر، عندما اشتعلت النار في مكان آخر، من الشلو المليء بالحروق، والجسد المليء بالجراح، و أقصد بهذه النار تلك المسرحية المجرمة، التي تسيىء إلى الإسلام أبلغ إساءة، والتي مثلت على مسرح إحدى الكنائس في مدينة الإسكندرية، ربما كان المسيح عليه السلام يقصد مثلها عندما تحدث عمن يحولون دور العبادة إلى مغارات لصوص.

و أنبه القارئ الكريم إلى ملابسات لابد يدرك أسبابها حيث أنني سأحاول قدر ما أستطيع، أن أستعيض بالتلميح عن التصريح، وبالإشارة عن العبارة، ليس لمجرد

الحفاظ على الوطن من تداعيات الفتنة، بل رعبا من تحذيرات سيدي وحبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم، رعبا من أن أخطئ في حق ذمّيّ أو معاهد ولو بغير قصد فلا أشم رائحة الجنة، رعبا من أن أخالف الرسول الخاتم الذي اجترأ عليه عباد الشيطان رغم أنه يقول في قبط مصر:

- «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما»

الراوي: عبد الله بن عمرو بن العاص - خلاصة الدرجة: صحيح - المحدث: البخاري - المصدر: الجامع الصحيح - الصفحة أو الرقم: ٣١٦٦

- «إنكم ستفتحون مصر. وهي أرض يسمى فيها القيراط. فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها. فإن لهم ذمة ورحما ».الراوي: أبو ذر الغفاري - خلاصة الدرجة: صحيح - المحدث: مسلم - المصدر: المسند الصحيح - الصفحة أو الرقم: ٢٥٤٣

- «الله الله في قبط مصر؛ فإنكم ستظهرون عليهم، ويكونون لكم عدة وأعوانا في سبيل الله».

الراوي: أم سلمة هند بنت أبي أمية- خلاصة الدرجة: إسناده صحيح رجاله ثقات- المحدث: الألباني - المصدر: السلسلة الصحيحة - الصفحة أو الرقم: ٣١١٣

- «إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرا، فإن لهم ذمة و رحما».

الراوي: كعب بن مالك - خلاصة الدرجة: صحيح على شرط الشيخين - المحدث: الألباني - المصدر: السلسلة الصحيحة - الصفحة أو الرقم: ١٣٧٤

***

إن القارئ الذي يتابعني، يعلم أنني عزفت منذ عشرين عاما عن الدخول في هذا الأمر إلا في لمحات سريعة، ولعله يدرك السبب، ذلك أنني – كما تعود القارئ

مني- لا أسمي الأشياء بغير أسمائها، ولا أري التأول والتقية حقا لي، و أنني عندما لا أستطيع قول ما أعتقد أنه الحق فإنني أصمت، ليس جبنا، و إنما فطنة المؤمن.

تجنبت الحديث عن الفتنة الطائفية لأنني أرى أن هذه الفتنة وما سبقها ليست فتنة طائفية بالمعنى الصحيح، فهي ليست بين أتباع محمد و أتباع عيسى عليهما السلام، و إنما هي بين أنصار الله و أنصار بوش، بين أتباع محمد وعيسى وموسى عليهم السلام جميعا و أتباع المخابرات المركزية الأمريكية والموساد. بين أبناء مصر وأعداء مصر. بين الشرفاء والخونة، بين العملاء والوطنيين، بين الأصلاء والدخلاء، إنها قضية ينبغي أن تحكم فيها المخابرات لا الشريعة، وألا يحدد الفقهاء الجرائم الكامنة فيها، بل محاكم أمن الدولة، وأن يتحرى عن مخازيها ومؤامراتها جهاز مباحث أمن الدولة لو كان بالفعل جهاز مباحث أمن دولة وليس فرعا للموساد والسي آي إي.

وعندما نبهني البعض إلى موقع عبد الشيطان زكريا بطرس شعرت بالاشمئزاز والعزوف فالرجل كلب من كلاب النار يمزق الحقيقة وخنزير يدنسها. تجنبت الرد عليه والانشغال به، فمن ناحية ليس فيما يطرحه أي جديد، ومن ناحية أخرى هو عميل لجهاز مخابرات ما، ومهمته أن يشغلنا بسفاسفه وحديث إفكه عما هو أهم من مواجهة أكاذيبه. بل إن مجهود هؤلاء الناس غالبا ما يصب في صف الإسلام، لأن من يستمع إلى مثله ويصدقه، تكون صدمته هائلة عندما يكتشف الحقيقة، ويترتب على هذه الصدمة إما الإلحاد بمعنى الكفر بالدين كله و إما الدخول في الإسلام. وبغض النظر عن الصواب والخطأ فإن الكفر بالدين كله قد يتسق اتساقا شيطانيا، أما الإيمان باليهودية دون المسيحية والإسلام، أو الإيمان باليهودية والمسيحية والكفر بالإسلام فعبث لا يمكن للعقل البشري أن يتورط فيه، ذلك أن نقطة العبور أو التحول، أو الحد الفاصل بين بشر كالأنعام أو أضل، وبشر كالملائكة أو

أفضل، هي نقطة الإيمان بالغيب كمطلق، وبعد هذا الإيمان يأتي الإيمان بالرسل، جميعا، كنتيجة طبيعية بل وحتمية للإيمان بالغيب.

ولقد ذكرت في مقال سابق ما قاله المفكر المسيحي الشهير نظمي لوقا في كتابه محمد الرسالة والرسول: «أن التسليم بوجود رسل ونزول وحي يجعل من الصعب التسليم برسالة ورفض الأخرى، والإقرار بظهور رسول ونفي ذلك عن آخر»(ولأنه تحدث عن نبي الإسلام بموضوعية و إجلال في كتابه«محمد الرسالة والرسول» فقد طرده البابا شنودة شر طردة، وحرم الصلاة عليه في كنائسه، ودارت أرملة الكاتبة صوفي عبد الله على الكنائس دون فائدة: راجع المقال بالغ الأهمية للأستاذ جمال سلطان- مجلة المنار الجديد – شتاء ٢٠٠٥).

نعم، لم يكن الأمر صراعا بين المسلمين والمسيحيين بل صراعا بين الأمناء والخونة، بين الشرفاء والعملاء، بين الطيبين البسطاء والجواسيس، وليس عندي في ذلك شك.

بيد أننا يجب أن نعترف أن أولئك وهؤلاء يوجدون على الجانبين، ولست أظن – على سبيل المثال – أن البابا شنودة، أشد خطرا على الأمة – وبالتالي الوطن والدولة – من وزير الأوقاف أو بعض كبار الشيوخ في الأزهر. كما لا أظن أن أقباط المهجر رغم خيانتهم وعمالتهم أشد خطرا من كتائب المثقفين المجندين كعملاء في الداخل. والعملاء لا تستعمل هنا ككناية أو تشبيه أو مجاز، بل كصفة، فهؤلاء تسميهم الصحف الفرنسية والألمانية بكتاب المارينز وبصحف المارينز، والمقصود بالنسبة لهؤلاء، الصحف والأقلام التي سخرت وتسخر للترويج لأفكار أمريكا الساعية إلي تعميم الحرية والديمقراطية عبر العالم والتي تعتم علي كل الأخبار حول جرائم أمريكا وإسرائيل، والتي خصصت لها الحكومة الأمريكية بمختلف فروعها حوالي ٦٢٨ مليون دولار في السنة المالية ٢٠٠٤. الصدمة التي أحدثها إدراك المحافظين

الجدد في واشنطن بأن مخططهم لغسل عقول المسلمين لم يحقق نجاحا يذكر زادهم شراسة في حرب التضليل. إلا أن العقول والقلوب المدربة على توقي الخطر الخارجي قد تغفل عن الخطر الداخلي، رغم أن الخطر الداخلي لا يقل خطورة عن الآخر وقد يزيد.

نعم، انحرافات المنافقين أشد خطرا، وكذلك انحرافات المنحرفين عن طريق الإسلام ولو دون ردة ظاهرة أو باطنة.

هل هناك فرق حقيقي بين مجلة روز اليوسف ومواقع الأقباط؟ بين عبد الله كمال و أوغسطينوس؟ بين رفعت السعيد وزكريا بطرس.

هل هناك أي فرق؟ !.

***

ليس من حقي التأول ولا التقية، فإما أن أصمت و إما أن أقول الحقيقة بملء فمي.

مهما كانت جارحة أو محرجة أو دامية.

وليس أمامنا سوى أن نسمي الأشياء بأسمائها، لا بعكس أسمائها كما يفعل سوانا فيسمي الاستسلام سلاما والخيانة تحررا والكفر فكرا والزنا حبا والسرقة مهارة والاختلاس شطارة، والتجهيل تنويرا، والكذب تطويرا، والانحلال حرية، والاستغلال حقوقا، وينسب الخمر إلى الروح فيقول المشروبات الروحية.و.و.

الحقيقة التي أواجهها اليوم هي أن المسرحية التي مثلت في مغارة اللصوص السكندرية، هي بالفعل مسرحية سافلة مجرمة، ولقد كنت حريصا على ألا أكتب حرفا واحدا قبل أن أشاهدها أكثر من مرة، ولقد دهشت لكمّ الإجرام والبذاءة والكذب فيها، ولكن دهشتي وذهولي الأكبر، كانت عندما تصدى البعض لينكر ذلك، وليدعي أن المسرحية لا تمس الإسلام بل تحارب الإرهاب. وكان هذا القول

كذبا فاجرا كالمسرحية نفسها، كذب يزداد فجوره كلما ازداد منصب قائله ومدعيه. كان ممن قاله صحافيون علمانيون، وكان منهم أقباط غير شرفاء، لكن المذهل حقا أن يتورط في هذا الكذب الفاجر قيادات كنسية.

كان كذبا فاجرا، لأن من يقول أن المسرحية لم تتطرق للإسلام بل للإرهاب يعلم ما في المسرحية، ويعلم أنها كلها تسفه الإسلام وتحقره وتزدريه، وأن الكاهن الذي وقف يحيي الممثلين في نهاية المسرحية قد مرغ قداسته المدعاة في الوحل، وهبط إلى مرتبة كمراتب عادل إمام، أو أي ممثل أو ممثلة ساقطة في مسرحية هابطة في ملهي ليلي.

نعم.

أعترف.

آذت المسرحية مشاعري، لكن ما آذاها أكثر كذب كبارٍ غير محتاجين إلى الكذب.

إن الكذب كله مرفوض، وهو رذيلة، بل كبيرة من الكبائر، يدل على خسة في النفس، وفساد في الطبع، ولعلنا نذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سئل: «أيزني المؤمن؟ قال: نعم. أيسرق المؤمن؟ قال: نعم. أيكذب المؤمن؟ قال: لا»[1].

إذن فصفة الإيمان – كلها – منفية عن كل من يكذب في أي ملة و أي دين.

و أولئك الذين كذبوا ليسوا عبادا لله سواء حرف دينهم أم لم يحرف،

ليسوا عبادا لله بل عبيدا للشيطان. لا فرق بين كبير وصغير، بل إن الشيطان يتسلط على الكبار أكثر، ملوكا كانوا أو رؤساء أو بابوات وشيوخ.

***

لعل القارئ يدرك أن المسرحيات لا تُحكى، لأن ما يتم قوله فيها بالصمت

(١) الحديث رواه مالك وآخرون لكنه لم يرد في كتب الصحاح ولم أعثر على تخريج له لكن المعنى صحيح فالكذاب منافق والمنافق في الدرك الأسفل من النار.

والإشارة والموسيقى والديكور و الإيماءات والإيحاءات لا تقل أهمية عما يقال بالكلمات، لذلك أقول للقارئ أن ما ورد في هذه المسرحية الساقطة إساءة للإسلام نفسه، إساءة فاجرة، للإسلام وليس للإرهاب، الإسلام المتمثل في القرآن الكريم و النبي محمد صلى الله عليه وسلم بشخصه والسنة الشريفة مباشرة وليس في أقوال الفقهاء أو سيرة العلماء أو فقه التابعين وتابعيهم.

نعم، الإهانة موجهة للإسلام: للقرآن الكريم و للرسول العظيم ﷺ .

ولقد قال بعضهم أن المسرحية تشبه أفلام عادل إمام.

ولقد كذب وكذب عادل إمام.

عادل إمام، الشيوعي، عميل الداخلية، المستهزئ بدين الله وبعباده الصالحين، والذي يدعي البعض علاقته الوثيقة برئيسنا القادم، جمال مبارك، عادل إمام هذا – رغم تفاهته وفسوقه- لم يبلغ هذا القدر المنحط من المجاهرة بالعداء للإسلام والسخرية من القرآن، إلا أنني أحسب أن عادل إمام لم ينكص عن ذلك بسبب بقايا إيمان أو إخلاص أو حتى احتراما لعشيرته وقومه، لكن عادل إمام أكثر حصافة و أقل وقاحة لذلك فهو يعرف الحدود التي يجب أن يقف عندها.

الفارق إذن هو الفارق بين مهارة قرد يتسلق ويتسلل ويهرب، وغباء ثور يقتحم ويحطم حتى لو تهاوى السقف على أم رأسه، وحتى لو تسبب بحماقته وطيشه في أن يرجمه الناس كالزناة والخطاة.

هل يدرك الثور الغبي أنه غبي؟ !

ملحوظة: في نهاية المسرحية يقف شخص يلبس ملابس قسيس ليحيي الممثلين، وكلما حيا ممثلا انطلق الممثل ليقبل يده!!، والملحوظة مهداة لأدعياء التنوير الذين لو رأوا مشهدا مماثلا مع مسلم لا يمثل الإسلام في شيء لما كفوا عن العواء والنباح والفحيح.

لا أكتب في صحيفة يومية، والصحيفة الأسبوعية التي كنت أكتب فيها أغلقت لأنها دافعت عن الإسلام، لذلك لن يكون مجديا أن أتصدى لتفاصيل المسرحية التي أفاضت الصحف اليومية والأسبوعية في عرضها، لكنني أشهد أمامكم يا أمة لا إله إلا الله محمد رسول الله شهادة يسألني الله عنها يوم القيامة أنه لا توجد صحيفة واحدة تزيدت أو أضافت إلى ما ورد بالمسرحية فعلا، ومن الناحية الأخرى، فلا يوجد أي صحيفة، ولا حتى الصحف كلها، قد استطاعت أن تعرض كل ما ورد في العمل الفاجر.

تقول المسرحية الفاجرة ، أن الإسلام دين لا يفهمه أحد ، وأن القرآن لا معنى له وأن المسلمين مخادعون وإرهابيون و أن القرآن يدعو للعنف والفواحش و أن المسلم متوحش متخلف مجرم لا يستمع لمنطق العقل ويقتل لأتفه الأسباب و أن الشرع يتم تفصيله حسب المقاس و أن هدف المسلمين تدمير المسيحيين وتخريب الكنائس وقتل القساوسة.

دعنا الآن من أن هذا كله ليس قول الإنجيل ولا المسيح ولا حوارييه، وإنما قول بوش وشارون والموساد والسي آي إيه وعملائهم أينما كانوا، إن هذه هي الآلية التي يتبعها أي مجرم لكي يوجد لنفسه المبررات والدوافع للجرائم التي ارتكبها أو تلك التي يوشك على ارتكابها، دعنا من ذلك، ودعنا أيضا من مزيد من التفاصيل عن المسرحية الفاجرة.

دعنا من ذلك لنطرح بعض التساؤلات:

إن كان هناك جاهل منحرف ألف هذه المسرحية المجرمة الساقطة، فماذا عن العشرات والمئات الذين من المحتّم أنهم علموا بالجريمة فصمتوا.

يدّعي المجرمون أن المسرحية لم يشاهدها أي مسلم، فمن الذي سرب تسجيلها إلى المسلمين،

لماذا هذا التوقيت بالذات يتم توزيع ٢٠٠٠٠٠ أسطوانة والمسرحية على شباب الجامعات في مظروف مكتوب عليه: «كل عام وأنتم بخير وبمناسبة شهر رمضان الكريم». لاحظوا عدد الأسطوانات الموزعة، وبالتالي التكلفة التي تناهز نصف مليون جنيه، من السهل تعقب مصدرها لمن يريد،

لقد أعلن «عدلي أبادير »في أحد قنوات القمر الصناعي أنه يجهز لفيلم تسجيلي عن اختطاف فتاة مسيحية وإرغامها على الإسلام؟ ؟ وأنه سيفضح المسلمين ومصر على مستوى العالم. وعدلي أبادير هذا مكانه مستشفى للأمراض العقلية، لكن الكونجرس يستضيفه والمخابرات الأمريكية والإسرائيلية تحركه، لكن ما العجب في ذلك؟ بوش المجنون نفسه: مجنون ويحكم، وكذلك شارون المجرم، وبلير الشاذ وبيرلسكوني اللص، فما كل أولئك سوى دمى تحركها أجهزة المخابرات في لعبة سيدها الشيطان.

– هذه المسرحية السافلة ليست سوى قمة جبل الثلج العائم الذي يختفي معظمه، هي المفضوح والمكشوف فما هو المخبوء والمستور؟ إنها متصلة بسياق يتصل فيه الداخل بالخارج والماضي بالحاضر في منظومة شيطانية واحدة منذ يوحنا الدمشقي حتى الآن، سياق المؤامرة، سياق الغارة على العالم الإسلامي، سياق التبرير للجرائم التي يوشكون على ارتكابها فيبادرون بالتمهيد والتبرير لها. وفي هذا السياق المتصل يقول أحدهم في مجلة صوت مصر الحر:

«أنا القبطي الفرعوني صاحب الأرض، أنا القبطي الشامخ صاحب هذا الوطن الذي سُلِبَ مني منذ الغزو الإسلامي وإلى الآن، وسيرحل قريباً كما رحل من أسبانيا، فلم تعد النعرة الإسلامية لها جاذبيتها الآن في جو أصبح الغرب المتحضر يفهم أن العرب جرب»..

هذا الآثم يجيب لنا عن سؤال يقول: ماذا يريد أقباط المهجر عملاء المخابرات

الأمريكية والإسرائيلية.

في نفس السياق أيضا يقول عميل آخر لا أدري لماذا تستضيفه الجزيرة ولماذا تسمح له القدس العربي بالكتابة فيها، يقول هذا الخنزير (واسمه مجدي خليل):

«لقد دفع الأقباط المسالمون حوالي ٤٠٠٠ قتيل وجريح خلال العقود الثلاثة الماضية بدون سبب سوى لكونهم مسيحيين، هذا بالإضافة إلى تخريب ونهب ممتلكات بعشرات الملايين وممارسة التهجير القسري لخلخلة الصعيد من الكثافة القبطية، بالإضافة إلى تطفيش مئات الألوف للهجرة للغرب حيث الحريات والفرص المتكافئة».

٤٠٠٠ أيها الكذاب.

٤٠٠٠.!!

والأمر الطبيعي بعد الكذبة الشنيعة أن يتدخل العالم لإنقاذ الأقباط من المذابح، لذلك فإن هذا العميل طالب بالتدخل الأجنبي في شؤون مصر، بدعوى حماية الأقباط!!، فكتب يقول: «إن المطالبة بممارسة ضغوط دولية على الدول من أجل المحافظة على حقوق مواطنيها واحترام المواثيق الدولية هو أمر مشروع تماما، داخليا وخارجيا، ولا عجب في هذا، فنحن نعيش في عصر الدولة ناقصة السيادة، وهذا أحد أهم أوجه ظاهرة الكونية»

فهل رأى الناس كذبا أكثر وقاحة وفجرا، كذب الماضي وكذب الحاضر، كذب يبارزون فيه الشيطان فيبزونه، كذب يستمر فيتحدث الكاتب العميل عن واقعة لم تحدث كما رواها ولا في خيال الشيطان ذاته حيث يقول الكذاب العميل: «بكي البابا شنودة على العنف الموجه ضد الأقباط والذي كان هو شاهد عيان عليه منذ حادثة السويس في ٤ يناير ١٩٥٢، والذي قامت به جماعة الإخوان المسلمين حيث تم حرق عدد من الأقباط بشكل بربري والطواف بهم في الشوارع وإلقائهم في

إحدى كنائس السويس وإشعال النار فيها»[1].

هل سمع أحدكم بمثل هذا الكذب الفاجر.

بل هل تتخيلون يا قراء أن تصل الخسة والانحطاط إلى هذا الحد؟ !.

المسلمون هم الذين يقتلون ويحرقون، لكننا لا نقول المسيحية ولا حتى الصليبية بل نقول الأمريكيين أو البريطانيين أو الروس أو الهنود أو الصرب أو التايلانديين،

لا نتهم المسيحية – رغم ما يفعله بنا أتباعها- سموا ونبلا وترفعا عن الألم وإدراكا أن وازرة لا تزر وزر أخرى.

لا نتهمها رغم أن كل بلايانا من أتباعها، وكل كوارثنا من أبنائها، وليسوا أتباعها ولا أبناءها بل أتباع الشيطان وعبيده.

لا نتهمها رغم اعترافات اللورد كرومر بخيانات بعضهم كما خان البعض الآخر إبان الحملة الفرنسية، إذ يكشف اللورد كرومر في مؤلفه (مصر الحديثة) الروح المتعصبة لبعض الأقباط المتطرفين (مجلد ٢ فصل ٣٦ الطبعة الإنجليزية) بقوله:

«إن مبادئ الحيدة الدقيقة التي طبقها البريطاني كانت غريبة عن طبيعة القبطي وعندما بدأ الاحتلال البريطاني أخذت تساور عقله آمال معينة فكان القبطي يقول لنفسه: إنني مسيحي والإنجليز مسيحيون فلو كان الأمر بيدي لكنت تعصبت للمسيحيين على حساب المسلمين. وكان يقول لنفسه ولما كان للإنجليز السلطة فإنه من المؤكد أنهم سوف يحابون المسيحيين على حساب المسلمين، هذا هو الخطأ المحزن الذي يلام هؤلاء الأقباط عليه ولما اكتشف القبطي أن هذا الأسلوب في التفكير

(١) كان المجاهد الشيخ حافظ سلامة أحد شهود هذه الواقعة. وسوف نورد شهادته في نهاية الكتاب. وهي تكشف عن قدرة مذهلة على الكذب وقلب الحقائق. وما حدث عكس ما رواه الكاتب الكذاب. كان يمكن للصحيفة التي نشرت أكاذيبه وكذلك الفضائية أن توثقا الحدث وتواجهاه بأنه عكس ما يقول. ولكن الصحيفة والفضائية جزء من المشكلة لا الحل.

عقيم وأن سلوك الإنجليزي مرجعه مبادئ لم يضعها القبطي في اعتباره ويعجز عن فهمها تملكه إحساس بالفشل عمق ضغينته، لقد كان يرى أن تطبيق العدالة بالنسبة للمسلمين يعنى الظلم له وكان يعتقد ولو بطريقة غير شعورية بأن الظلم وعدم محاباة الأقباط ألفاظ مترادفة».

نعم فكر خسيس، نعم، لكننا لم نحمله على الأقباط جميعا بل حملناه على من قاله.

***

هناك حكاية فرعية أريد أن يكون القارئ على علم بها كي يعيش معي الأحداث كما حدثت، ففي منتصف رمضان فوجئت بمكالمة هاتفية ذكرتني بالمسرحية الشهيرة: «القصة المزدوجة للدكتور بالمي»تأليف الكاتب الأسباني الكاتب «أنطونيو بويرو باييخو»(١٩١٦-٢٠٠٠م)، ترجمة الأستاذ الدكتور الحداثي صلاح فضل (ينطق اسمه زملاؤه وتلاميذه بطريقة أخرى: إذ يقولون: بل كان صلاحاً فضلّ!.) وقد مثلت المسرحية على المسرح في الثمانينيات، ثم عارضها الكاتب المسرحي السوري سعد الله ونوس في مسرحية (الاغتصاب) حاول في إعداده لهذه المسرحية مقاربة الهم الفلسطيني، على خلفية نفس الأحداث.

لحظة التنوير في المسرحية تبدأ بكتاب، تحمله زوجة معتقل مات من التعذيب، إلى زوجة الضابط الجلاد الذي قتله، ولم يكن لدي المسكينة أي فكرة عن طبيعة عمل زوجها، الجلاد، الحيوان الوحش المسعور (وليأخذها مني ضباط الأمن في كل أرجاء عالمنا العربي والإسلامي: كل من يمارس التعذيب جلاد، حيوان وحش مسعور، أما من يمارسها لصد الناس عن دين الله وهو يعلم، فليس في كفره شك، ولتعلم زوجته و أبناؤه و أهله أن حكمه حكم الكافر). أقول إن لحظة التنوير تبدأ بهذا الكتاب، والأرملة المعذبة تتحدث إلى زوجة الجلاد بألم لا يوصف وبازدراء، لأنها زوجة جلاد لم تحاول أن تعرف عن طبيعة عمله شيئا. وتدور أحداث المسرحية

بعد ذلك لتنتهي بالجلاد قتيلا.

في تلك الليلة الرمضانية هاتفني شخص ما:

هناك قرص مدمج (CD) أريد أن أوصله إليك:

حاولت أن أؤجل مجيئه حتى ينتهي رمضان، كان سيقطع أكثر من مائتي كيلومتر، وكان سيضيع عليّ برنامجي في تلك الليلة، حاولت، لكنني فهمت منه أن الأمر يثقل ضميره، و أنه يريد أن يلقي الحمل عليّ بعد أن فعل ما بوسعه.

كان حييا مهذبا، تكتسي ملامحه بتلك النظرة النبيلة الحزينة التي يتسم بها من يحملون هم نصرة لا إله إلا الله محمد رسول الله، أعطاني القرص المدمج وسألني إن كنت قد سمعت شيئا عن قصة المسرحية التي مثلت في كنيسة مار جرجس في الإسكندرية، وعن المظاهرات التي تمت في الأسبوع الأول من رمضان بسببها، كانت معلوماتي محدودة، وكنت حريصا على ألا أحكم قبل أن أرى، بدا لي الشاب الجميل كما لو كان جنديا، ظل يجري ويسابق الزمن مائتي كيلومتر، كي يبلغني، أنا الجندي الأقدم منه، بالكارثة الجديدة التي حلت، وبدا لي، أنه في اللحظة التي أبلغني فيها، قد أبرأ ذمته أمام الله، وارتاح ضميره، بعد أن نقل إليّ همه وغمه وعذابه، وبدا كما لو أنه قد تخلص من حمل ثقيل أبهظ ظهره، لينقض ظهري أنا، وتحدثت ملامحه: «لا أطلب منك شيئا، أتركك لضميرك».

هالني ما سمعت، ها هي ذي قصة الوليمة[1] تتكرر مرة أخرى، قصة الفسوق والمجون والكفر، قصة الإجرام والإسفاف والاعتداء على قدس أقداسنا وكرامة رسولنا ﷺ، ها هو جيش الشيطان يتجمع من جديد، وها هي ذي الشراذم الساقطة الباقية من جسد سلطة تعفنت وتحللت ولم يعد لها من الأمر إلا أن تقايض بكل

(١) وليمة لأعشاب البحر. والتفاصيل مطروحة في كتابي: «الوعي ينزف من ثقوب الذاكرة» - مكتبة مدبولي-٢٠٠١.

شيء كي تستمر عاما آخر.

ترددت في جنبات نفسي أصداء ندائي يومذاك : «من يبايعني على الموت». أنت تعلم يا علام الغيوب أنني كنت أعنيها وكنت قد أعددت نفسي لها، و أنني أتشبث بها، دثارا يغطي نار القلق المستعرة داخلي خوفا من الحساب، من النار، وقبل الحساب وقبل النار خوفا من خزي الوقوف أمامك وأنا من أمة مهزومة، وما كان لها أن تُهزم، فليس أمامها من سبيل إلا الشهادة أو النصر.

نكأ الشاب النبيل الجرح، طلبت منه أن يشرح لي الأمر.

وها أنذا أنقلها بنفس حروفه تقريبا كما سمعتها منه تحمل مشاعره كما أحسها وبألفاظه كما قالها، شهادة أمام الله والأجيال القادمة يعرفون منها كيف حدث ما حدث، يعرفونه يقطر صدقا لا كذبا، شرفا لا خسة، أمانة لا عمالة، ولكي تكتمل شهادتي فإنني لم أجر إلا قليلا من التصويبات النحوية و الإملائية، كما أنني لاحظت ربما مرة أو مرتين أنه ذكر اسم البابا دون لقبه، فأضفت اللقب[1].

والآن إلى حديث الشاب النبيل في تلك الليلة الرمضانية.

منذ أكثر من ثمانية شهور بدأ عرض المسرحية والجمر يشتعل تحت الرماد، وذهب بعض الشباب إلى جهاز مباحث أمن الدولة في الإسكندرية وأبلغوه بالأمر و أعطوهم نسخة من القرص المدمج بالمسرحية.

بعجرفة وصلف رد المسؤول بأنهم سينظرون في الأمر، ثم لا شيء.

ظلت النار تشتعل، وقلوب الشباب الغض تحترق وكل آن و آخر يستغيثون بمسؤول هنا أو هناك بلا جدوى.

ثم بدأت القضية تطفو على السطح بتحقيق نشرته جريدة الميدان الأسبوعية بتاريخ (٦/ ١٠/ ٢٠٠٥) عرضت فيه نصوصا من المسرحية وتحدثت عن توزيعها

(١) سوق يلاحظ القارئ أنني في نهاية الكتاب أنحو نحوه بعد جسامة ما اكتشفته.

على نطاق واسع في الجامعات ، وتابعتها جريدة الأسبوع في الأسبوع التالي بتحقيق للصحفية زينب عبد الله نبهت فيه على خطورة المسرحية وما تحتويه من سب وتهكم على أقدس المقدسات الإسلامية، وعادت الميدان فنشرت تحقيقاً موسعاً عن المسرحية ومحتوياتها واستطلعت آراء عدد من المسلمين والمسيحيين الكتاب والمفكرين، وذهبت أيضا إلى كنيسة مار جرجس بمحرم بيك لسماع رأيهم ولكن لم يسمح للصحفيين بالدخول واكتفي القساوسة بقولهم أن البابا أمرهم ألا يتحدثوا في المسرحية لأنه سيخصياً بتابع الحدث، وذهبت الجريدة أيضاً إلى مقر البطريركية في العباسية فلم يتحدث لها أحد ورفضوا لقاء الصحفيين، ومع هذا التفاعل وانتشار الخبر وتكبر الكنيسة عن الحديث إلى المسلمين وسكوت القيادات الأمنية والدينية والقانونية على هذه الجريمة قامت أول مظاهرة للشباب المسلم أمام الكنيسة الآثمة في الإسكندرية بعد صلاة التراويح يوم الجمعة (١٤/ ١٠/ ٢٠٠٥).

خرج الشباب تملأ حلوقهم المرارة القاسية، مرارة الشعور بالخديعة ونكران الجميل من الكنيسة التي ما عاشت الأمان إلا في ظل الإسلام وأهله، وبينما تظهر لهم التسامح ظاهرياً فهي من أعماق قلبها تزرع الكراهية والحقد والكذب تجاه المسلمين في نفوس أتباعها، وفي الوقت الذي تظهر فيه احترامها للإسلام ظاهرياً فهي في أعماقها تجعل من أقدس مقدساته مادة للضحك والسخرة والتندر، خرج الشباب تملأ حلوقهم المرارة، مرارة الشعور بالغدر والخيانة من قيادات الدولة ومؤسساتها الذين يملؤون الدنيا ضجيجاً ويشحنون الأمة كلها لوفاة ممثل أو مرض رئيس أو هزيمة رياضية، وعندما يُسب ربّ المسلمين ويستهزئ بكتابهم ويطعن نبيهم بصمت الجميع وكأن شيئاً لم يحدث، لقد غدروا بالشباب المسلم عندما استنفدوه في مناسباتهم التافهة وتركوه وهو جريح والكلاب تنهش في دينه وعقيدته بلا رأي ولا عون، خرج الشباب يملؤهم الغضب لله ورسوله تجاه الكنيسة.ولكن

لم يدفعهم الغضب إلى التحطيم والتخريب ، وإنما وقف الشباب يتظاهرون معبرين عن غضبهم وقد أقاموا بأجسادهم سوراً حول الكنيسة حتى لا ينفلت الزمام من أيديهم ويثور العامة على الكنيسة ومن فيها، كانت تلك الوقفة النبيلة تحرص على ألا يصيب الكنيسة أو من فيها أذى، لم تكن تريد ذلك، كانت تريد فقط أن تلقي الضوء على الحدث وتعبر عن غضب الشباب تجاهه وتعلن مطالبها للجميع. وانصرف الشباب بعد وعود من الأجهزة الأمنية والإدارية في الإسكندرية بالتحقيق ومعاقبة الجاني والمسؤول عن هذه الجريمة، ولكن ثورة جمرة الغضب لم تهدأ في نفوس المسلمين في الإسكندرية فقامت في الأيام التالية عدة مظاهرات خرج فيها أهالي الإسكندرية رجالا ونساء ليعبروا عن غضبهم ويعرضوا مطالبهم حتى أنه خرجت مظاهرة نسائية يوم السبت (١٥/ ١٠) تعبر عن الغليان في صدور أبناء هذا الدين.

مرت الأيام والمظاهرات والكنيسة صامتة صمت القبور، وكلما خاطبت أحد رجالها يقول لك . البابا بنفسه يتولى هذا الموضوع ، وفعلا بعد المظاهرة الأولى توجه البابا شنودة إلى الإسكندرية ، ونزل بها لعدة أيام وانتظر ، المسلمون ما تتمخض عنه الاجتماعات بين قيادات الدولة ورجال الكنيسة.

وتمخض الجبل فولد بياناً مستفزاً للمجلس الملي يتحدث عن مؤامرة تحاك ضد الأقباط ، وعن قلقه تجاه ذلك ، ويتهم الصحافة بإثارة الفتنة أحدث البيان صدمة للمسلمين جميعاً بل ولبعض العقلاء من المسيحيين، وانتظر الناس حركة رجال الدولة، ولكن لم يتحرك أحد، بل على العكس، قامت الأجهزة الأمنية باستدعاء بعض الدعاة ، وهددتهم باعتقال كل من يحاول أن يثأر لدينه، وراحت الصحف العميلة تطرح القضية من زاوية أخرى تماما وتتحدث عن الشباب الذين قادوا المظاهرات وعن خطرهم وعمالتهم وأغراضهم الدنيئة في إشعال الفتنة وهنا بدأت تدوي على ساحة الحدث أصوات أجهزة الإعلام وهي تعلن أن هناك أيد خفية

تحرك الحدث وتهدف إلى زرع الفتنة وتعلن تمسكها بالوحدة الوطنية وعلى إثر ذلك تحركت أجهزة أمن الدولة للقبض على من شارك في المظاهرة الأولى.

وهنا أسقط في الشباب المسلم.

وبدا للجميع أن الدولة اختارت أن تداري ضعفها وعجزها أمام الكنيسة عن طريق التنكيل بالمسلمين ، وبدا للجميع أن الأمر قد مر بسلام لرجال الدولة والكنيسة ، أما المسلمون الغاضبون فأجهزة الإعلام والأمن كفيلة بإسكاتهم. حتى كان يوم الجمعة(٢١/ ١٠) والذي افتتحه الأمن بمنع الصلاة في مسجد أولاد الشيخ المجاور للكنيسة ، ظناً منه أن هذا يعجز المسلمين الغاضبين ويعيق حركتهم و ولكنه فوجئ أن أهالي الإسكندرية تواعدوا بالخروج من المساجد بعد الصلاة للاحتشاد أمام الكنيسة، ووقف الأمن أما م الجموع عاجزاً بالكلية عاجزا عن تلبية مطالبهم العادلة والمشروعة وعاجزًا عن مواجهة غضبهم النبيل على دينهم فلجأ إلى القوة لتفريق المتظاهرين ، وارتفعت يده العاجزة عن القصاص من الظالم إلى البطش بالمظلوم ، وهنا كانت أحداث الإسكندرية الدامية التي استشهد فيها ثلاثة من المسلمين.

المظاهرات كانت عفوية وليس لها علاقة بأي تنظيمات سياسية كالإخوان أو غير سياسية كالدعوة السلفية.(أذكر القارئ أن الحديث للشاب النبيل). بل دعني أقول: أن هذه التنظيمات كانت تنأى بنفسها عن تحمل مسؤولية هذه المظاهرات!!

غريبة هي التنظيرات التي سمعت عمن قام بالمظاهرات فالكل ممكن يصدق أن الإخوان فعلوها من أجل الانتخابات، والبعض يمكن يصدق أنها من ترتيب الحكومة لتكريس قانون الطوارئ وانتهاك الحريات. والبعض قال أنها من ترتيب صهيوني لضرب عنصري الأمة.

الغريب أنه لا أحد من العلمانيين ومن تابعهم يمكن يصدق أن هناك من المسلمين

من غار على دينه ورسوله فتظاهر. غريبة جدا ألا يكون هذا في خلدهم !!!!

ويواصل الشاب النبيل: البابا لا يبكى إلا يوم الأربعاء !!!

بكى البابا بعد أن مات من مات من متظاهري العزة في محرم بك من مات.

بكى البابا بعد أن أصيب من أصيب من المسلمين.

بكى البابا بعد أن اعتقل من اعتقل من المسلمين.

بكى البابا بعد كل هذا دمعتين دمعتين،

بكى لكي يتحول من جان إلى مجني عليه.

بكى والكاميرات تنقل عنه إلى العالم مدى محنة الأقباط وهم يتهجمون على دين الأغلبية والأغلبية الهوجاء تتظاهر يا للعجب!!!.

بكى دموع التماسيح وكان بكلمة يقولها أو يشرح فيها ما حدث من كنيسة تتبعه وقساوسة منتمين للكنيسة، كان ممكن أن يوقف تلك الفتنة.

لكن يعلم الله كم سعدت لعدم اعتذاره حتى ينضح للعامة والخاصة وجهه القبيح ولله الحمد من قبل ومن بعد.

بعد ذلك نشرت صحيفة الأسبوع عدد ٣١ أكتوبر ٢٠٠٥ تحت عنوان «مجمع البحوث الإسلامية يناقش أحداث الإسكندرية: «سيطرت أحداث محرم بك بالإسكندرية على مناقشات الجلسة التي عقدها مجمع البحوث الإسلامية ، والتي عقدت الخميس الماضي ، حيث تم عرض تقرير من السي دي الخاص بالمسرحية التي تم عرضها بكنيسة مار جرجس ، وأثارت الأزمة أشار التقرير إلى أن المسرحية تحمل إساءات للدين الإسلامي حيث تضمنت قراءات محرفة لآيات من القرآن، بجانب إساءات للرسول ﷺ وطالب التقرير بضرورة التحري عن مصدر السي دي وتحديد المسؤول عن ذلك».

ولنا تعليق هذه الحقيقة أدركها الشباب المسلم المتظاهر قبل أن يدركها المفتي

ومجمع البحوث ، ولذلك تظاهروا فهل نحولهم إلى جناة أم إلى شرفاء لم يطأطئوا رؤوسهم كما طأطأها المفتي على سبيل المثال لا الحصر.

في حوار عزت السعدني في صحيفة الأهرام تحقيق السبت (٢٩/ ١٠/ ٢٠٠٥) يقول في مقدمة العمود الرابع ما نصه : «وذهبت إلى الدكتور على جمعة مفتي الديار المصرية أسأله لعلى أجد عنده ملاذاً.

قلت له : هل رأيت مسرحية كنت أعمى ، وأصبحت مبصرا »والتي عرضت في كنيسة محرم بيك وتتداول الآن على أقراص CD.؟

يقول فصلية المفتي : نعم شاهدتها.

أسأله : وما رأيكم دام فضلكم ؟ ؟ .

يقول فضيلة المفتي : عمل سيئ يسيء للإسلام والمسلمين. ويجب محاكمة كل من قام به وشجعه وصوره ووزعه على الناس.

أسأله: هل صدمك هذا السي دي.

فضيلة المفتي :لم أصدم.لأن الناس تسرق وتقتل وترتكب الجرائم، وهي جريمة مثل كل الجرائم ولابد من معاقبة مرتكبيها. وجاءت في وقت تشمر فيه عصابة الإفك في نيويورك عن ساعديها لكي تهاجم مصر، والغريب أنهم من أبناء هذا الوطن ومن أقباطه الذين طردتهم الكنيسة لسوء تصرفاتهم وخبث نواياهم.

أسأله :هل هناك مخطط لإظهار هذه المسرحية الآن في وقت الانتخابات البرلمانية لصالح مرشح دون آخر؟ .

فضيلة المفتي : ممكن برضه ولم لا ؟

قلت : وما العمل؟ .

فضيلة المفتي: العمل عمل الله، والقانون. والغريب أن الذين ارتكبوا هذا الإثم نسوا تماماً قول المسيح ابن مريم عليه السلام :باركوا لاعنيكم .اهـ.

هذا ما قاله المفتي بالنص في جريدة الأهرام، ولكن.

يظل ما قاله المفتي في برنامج البيت بيتك(٢١/ ١٠/ ٢٠٠٥) مع المذيع الكارثة تامر أمين من أنه لا توجد مسرحية أصلا ، والكنيسة ليس لها علاقة بالموضوع ودعوته للغاضبين لربهم ودينهم أن يتمسكوا بالوحدة الوطنية.

يظل قوله هذا هو الأشهر والأقوى والأكثر شيوعاً بين الناس وهنا حق للعقلاء أن يتساءلوا:

- لماذا يتحدث المفتي بلسانين ويتكلم بلغتين ؟ ؟ ؟ .

- هل لم يكن يعلم بأمر المسرحية ولما رآها تغير رأيه؟ ؟ ؟ .

لكنه لم يقل لا أعلم بل قال لا توجد ولا داعي ولا..

- هل يتحدث المفتي مثل الساسة في بلادنا حديثين: فحديث للخاصة وحديث للعامة؟ ؟

- هل تحرج المفتي عندما نفي وجود المسرحية بينما اعترفت بها الكنيسة؟ ؟ .

- هل وهل وهل؟

تختلف الآراء والتحاليل لكلام المفتي.

ولكن الشيء الوحيد المتيقن أن المفتي سقط سقطة كبيرة وعظيمة لا ولن ينساها تاريخ الأمة.

وإن المفتي ولى الأدبار في معركة من أشرف المعارك التي يخوضها الإنسان في حياته، معركة الدفاع عن الله والرسول والقرآن.

وإن المفتي خسر فرصة لا تعوض يصلح بها صورته المشوهة عند جماهير المسلمين ، ويبني له في قلوبهم مكانة عظيمة.

ويجول في خاطري سؤال : إذا كان المفتي لم يفعل هذا أو ذاك فلماذا لم يصمت مثلما عهدناه دائماً في قضايا المسلمين الكبرى والهامة ؟؟؟

انتهت تساؤلات الشاب النبيل

نكأ الجرح، بعد أن شرح لي الأمر.

نكأ الجرح وهو يؤكد أن المظاهرات كانت عفوية وليس لها علاقة بأي تنظيمات سياسية كالإخوان أو غير سياسية كالدعوة السلفية، نكأ الجرح، فالحقيقة كما أعلمها علم المتصل لا المنفصل أن هذه التنظيمات كما قال : كانت تنأى بنفسها عن تحمل مسؤولية هذه المظاهرات!!

نكأ الشاب النبيل الجرح و أوجع قلبي وهو يلاحظ أن الكل يضع كل الاحتمالات لهذه المظاهرات إلا الاحتمال الوحيد الصحيح، فالكل يمكن يصدق أن الإخوان فعلوها من أجل الانتخابات والبعض يؤكد أنها من ترتيب الحكومة لتكريس قانون الطوارئ وانتهاك الحريات ، والبعض يقول أنها من ترتيب صهيوني لضرب عنصري الأمة، أما الغريب فهو أنه لا أحد من هؤلاء وعلى رأسهم العلمانيين يمكن يصدق أن هناك من المسلمين من غار على دينه ورسوله فتظاهر.

نكأ الشاب النبيل الجرح و أنا أحس بكلماته على الورق تصرخ:

غريبة جدا ألا يكون هذا في خلدهم !!!!

غريب يا بنيّ، وقد أوجعتني والله.

هل أحسستم بوجعي يا قراء.

وهل أوجعكم وجعي.

وهل أوجعكم ما أوجعني.

أوجعني أيضا وصف الشاب للشباب المسلم الذي وقف في المظاهرة الأولى، ورغم غضبهم فقد أقاموا بأجسادهم سياجا حول الكنيسة حتى لا ينفلت الزمام من أيديهم ويثور العامة عليها.

أوجعني عندما تذكرت ما يفعله العلمانيون الأشرار من تشويه للشباب المسلم،

وهم بهذا يقومون بأكبر خدمة للموساد والسي آي إيه، إنهم صحفيو المارينز، وهم الطابور الخامس الذي يفت في عضد الأمة ومهمته كسر قلب الأمة المتمثل في هذا الشباب الذي لا يوجد غيره ليدافع عن الدين والهوية والأمة والوطن عندما تقتحم الدبابات الأمريكية والإسرائيلية باقي عواصمنا.

***

عندما اندلعت أعمال العنف في المظاهرة الأخيرة في الإسكندرية كنت حريصا على معرفة من الذي مارسه، كنت أدرك أن الضوابط الشرعية التقليدية وعجز الفقهاء عن التجديد تكبل الشباب المسلم و أنه يصعب أن يمارس العنف ضد كنيسة حتى لو اعتدت هذه الكنيسة، هذا الشباب النقي الطاهر، الذي يعبد الله كأنما كل يوم آخر يوم في حياته، لا يقدم على فعل إلا بفتوى، خاصة بعد الصحوة الإسلامية وتجارب ممارسات العنف غير الكافي والتي جاءت بمردود عكسي، تصوري النظري إذن كان يؤكد لي أن العنف مارسه آخرون، وهو ما أكده لي عالم من علماء الإسكندرية والذي كان شاهد عيان، فلقد صدق حدس الشباب المسلم، استطاعوا هم ضبط أنفسهم، لكن العامة لم يستطيعوا، قال لي الرجل: أنه سمع العشرات يؤكدون أنهم لا يصلون، ولكن عندما يسب النصارى الرسول ﷺ أو يهينوا القرآن فإنهم سوف : «يجيبوا عاليها واطيها». و أكد لي الرجل أن هذا لم يحدث إلا بعد تلكؤ الأمن وطناش أهل السياسة والحكم.

***

الأمن الباطش الجبار صمت.

واللواء الوغد الخسيس الذي أمر بهدم مدرسة الجزيرة الإسلامية صمت.

أعوان الشيطان وكلاب النار الذين نكلوا بالشباب المسلم أيام الوليمة أيما تنكيل كانوا أمام النصارى كالجرذان و أمام المسلمين كالضباع الضارية التي لا تقتات إلا

لحم البشر.

أعوان الشيطان وكلاب النار من كتاب وصحافيين وسياسيين ومفكرين فعلوا نفس ما فعلوه أيام الوليمة.

نفس الحجج النجسة التي تنطلق من أرواح نجسة وصف القديس أوغسطينوس مثلها بقوله: إنهم يرغبون في تدمير الحق الذي لا يمكن تدميره. أمّا الخنازير فتختلف عن الكلاب فهي لا تهاجم لتمزّق بأسنانها، لكنها تدنّس الشيء إذ تدوسه بأقدامها في طياشة. إذن لنفهم أن «الكلاب» تُشير إلى مقاومي الحق، «والخنازير» إلى محتقريه.

هذه كلمات قديس لا كلماتي.

نعم.

كنا وما زلنا نواجه الكلاب والخنازير.

نفس الكلاب والخنازير.

***

إنني أذكر القراء فقط بما فعله اليهود عند عرض مسلسل يتعرض لبروتوكولات حكماء صهيون، البروتوكولات، وليس للتوراة أو سيدنا موسى، كما أذكرهم بما فعلته مكتبة الإسكندرية من إلغاء عرض البروتوكولات في أجنحتها أصلا. كما أذكرهم أيضا بمظاهرات المسيحيين أثناء فضيحة الراهب المشلوح، وكان مشلوحا لم يعد ينتمي إلى الكنيسة، ولم يعد ما يهينه ينسحب عليها، وكان من فضح الأمر ونشره صحافي علماني لا يمثل الإسلام ولا المسلمين، ومع ذلك هاجت الدنيا وماجت، واعتذر كل مسلم عن عمل لم يكن مسؤولا عنه بداية ونهاية، وبالرغم من ذلك تظاهر شباب الأقباط وخربوا وأصابوا رجال الأمن ولم يكد يصب منهم أحد. وبعدها ادعوا بالكذب الخسيس المنكر أن رجال الأمن هم الذين اعتدوا

عليهم، رغم أنهم يعلمون أنهم لو قتلوا رجال الشرطة الموجودين جميعا لما امتدت يد إليهم بسوء، حيث تكرس جبن من عبد الطاغوت ونسى الله فأنساه نفسه. ولو حدث الأمر مع مسلمين لما اكتفت الشرطة بإبادتهم عن بكرة أبيهم، بل كانوا سيشنون حملات عسكرية بالمصفحات والطائرات والصواريخ على بيوتهم ومدنهم وقراهم ليدمروها تدميرا.

أذكر القراء كذلك بمظاهرات الأقباط أثناء العمل السينمائي «بحب السيما» رغم أن معظم طاقم العمل كان مسيحيا. وبرغم أنها كانت إيحاءات فنية (إبداع كما يقول أدعياء التنوير). وليس التعرض لمقدسات وكتب. كان تمثيلا وممثلين وممثلات في قصة خيالية ، وليس قساوسة يتحدثون عن القرآن والرسول ﷺ .

***

ذلك الكاذب الذي ترحب به أجهزة الإعلام لأنه من أقباط المهجر، ترحب به وكأنه بشر سوي لا كمجرم ينبغي محاكمته يروج زورا حكاية حرق الأقباط في السويس. وهو نفس المنهج الخسيس المجرم الذي اكتشفت أنهم جميعا يتبعونه في أبسط القضايا و أعقدها، يمارسونه في قضية وفاء قسطنطين، وفي قضية أسلحة الدمار الشامل.

لم يحرق المسلمون أحدا.

كانوا هم الذين حُرِقوا لا حرَّقوا،

وبالرغم من ذلك لم نتهم المسيحية ولا المسيحيين،

لم نتهم المسيحية ولم نقل أنهم قاموا بحرق (١٠٠) شاب مسلم بالبنزين، بل قلنا فعلت الشرطة في تايلاند ذلك، بل وصرح رئيس البوليس في المنطقة بأن حياة المسلم لا تساوي (٢٦) سنتاً فقط (ثمن الرصاصة).

***

لم نتهم المسيحية ولا المسيحيين بتسليط الكلاب المدربة على التهام للأعضاء الذكرية لـ ٣٠٠معتقل في سجن أبو غريب بعد فتح أرجلهم عنوة عبر قيود حديدية في أيديهم وأرجلهم مثبتة في الحائط ووفاتهم على الفور.

لم نتهم المسيحية ولا المسيحيين بالمسؤولية عن مصرع ٦٠ طفلاً في سجن أبي غريب بعد تقطيع أطرافهم أمام أمهاتهم، ومن ربط الأعضاء الذكرية والألسنة أحيانا للعديد من أبناء العراق الصامد بالأسلاك الكهربائية.

لم نتهم المسيحية ولا المسيحيين بإجبار المعتقلين على اللواط والإتيان بحركات جنسية مهينة وهم عراة ليتم تصويرهم على أنهم همج، ومن دهسهم أحياناً بالأحذية العسكرية على الرأس والرقبة والأماكن المجروحة، ومن تقييد بعضهم وربطهم بالأسرة وهم عراة وحرمانهم من الطعام الشراب لساعات طويلة، ومن تعليق البعض منهم لعدة ساعات لإجبارهم على الإدلاء باعترافات كاذبة، ومن تبول على أجساد بعضهم العارية وجراحاتهم، ومن وضع حبال حول رقاب بعضهم وجرهم بها كالكلاب، ومن حلق رؤوس عراقيات وضربهن وإجبارهن على المبيت في الماء وعلى عدم النوم والوقوف لمدد طويلة أحياناً ووفاة العديد منهن بعد اغتصابها أو اغتصابه.

لم نتهم المسيحية ولا المسيحيين بذلك أو بغير ذلك مما تواترت أخباره ويعف اللسان عن ذكره وكان ضمن ١٠٠ ألف حالة تعذيب أكدتها المنظمة العربية لحقوق الإنسان وأظهرتها عدسات الكاميرات وتناقلتها جميع وكالات الأنباء ووقف عليها العالم كله.

لم نتهم المسيحية ولا المسيحيين بما أوقعته إدارة بوش (لم نقل إدارة المسيحيين أو الصليبيين رغم أنه هو قالها) على العراقيين في سجون الموصل وأم قصر وبوكا وغيرها، وعلى مجاهدي طالبان في سجون أفغانستان وفي (جوانتانامو) بـ (كوبا).

لم نتهم المسيحية ولا اليهود بما نشرته صحيفة (ديلي ستار) الملحقة بـ (الهيرالد تريبيون) فقد أمدت إسرائيل الأمريكيين بآليات ونظم تعذيب لانتزاع الاعترافات من أسرى ومعتقلي السجون العراقية حتى بات العسكريون الأمريكيون يستمعون بعناية فائقة إلى خبراء إسرائيليين للتزود بخبراتهم في التعامل مع المقاومة الفلسطينية واللبنانية، وعملاً بمبدأ أن الفعالية في انتزاع الاعترافات ينبغي أن تكون لها الأسبقية على احترام مقتضيات الديمقراطية وحقوق الإنسان فقد أقيمت تدريبات مشتركة أمريكية إسرائيلية في صحراء النقب.

لم نتهم المسيحية ولا اليهود بما حدث عندما ثار الجزائريون أثناء الحرب العالمية الثانية مطالبين بحريتهم، فما كان من البوليس الفرنسي إلا أن قصف المتظاهرين بمدافع الميدان التي تستخدم في تحطيم الحصون، كان القصف وحشيا، وكان ذلك في الثامن من مايو سنة ١٩٤٥، فأعلنت الأحكام العرفية على أثر ذلك، وأقبل الطراد ديجواى – تراون«ليواصل المذبحة فأمطر مدينة خراطة»وابلاً من قنابله الثقيلة، وقامت قوات الجيش بالحملات التأديبية، وشُنق الوطنيون من غير محاكمة، كان عدد القتلى من العرب كما قيل أولاً بصفة رسمية إنه ١٥٠٠، غير أن الجيش أعلن أنه يتراوح بين ٦٠٠٠ و ٨٠٠٠. ثم جاءت إحصاءات أخرى تقول: إن العدد الصحيح هو: عشرون ألفا، وبعد إعادة النظر في حقائق الأمور تبين أن العدد الصحيح هو ٤٠٠٠٠ قتيل، وقد أيده القنصل الأمريكي ببيانات من عنده.

أربعون ألف قتيل يحصدون هكذا بين عشية وضحاها!!!

أربعون ألفا..

ولم نتحدث عن وحشية المسيحية أو المسيحيين.

بعد المذبحة، ذهب المبشرون كي ينصروا اليتامى من أبناء الشهداء، تماماً كما حدث لأبناء وبنات مسلمي البوسنة والهرسك – وليقولوا لهم وهم يحشرونهم في

إحدى الملاجئ المسيحية: الله محبة!!!«و على الأرض السلام!!!»و للناس المسرة!!!».

***

ولم يكن الأمر عابرا ولا جديدا،

كانوا دائما كذلك، منذ مذبحة معرة النعمان وبيت المقدس مرورا عبر القرون حتى مذابح الفلوجة وبغداد وتلعفر.

ولم نتهم المسيحية بالهمجية والوحشية والتخلف.

في نهاية القرن التاسع عشر كانت القوات الأميركية تكتسح كل أرض ظهرت عليها حركة مقاومة في الفيليبين، وكما هو الأمر الآن في العالم، لم يعد يقاوم إلا المسلمون. كانوا منذ مائتي عام يحاربون الاستيلاء على بلادهم وتنصيرها حتى جاءت القوات الأمريكية ولم تترك هناك فلبينيا واحدا يقاوم إلا قتلته. وكذلك لم يعد في هذا البلد رافضون للوجود الأميركي لأنه لم يتبق منهم أحد«!!! ويضيف صحفي رافق الحملة ما نصه: «إن الجنود الأميركيين قتلوا كل رجل وكل امرأة وكل طفل وكل سجين أو أسير وكل مشتبه فيه ابتداءً من سن العاشرة، واعتقادهم أن الفلبيني ليس أفضل كثيرا من كلبه وخصوصا أن الأوامر الصادرة إليهم من قائدهم الجنرال «فرانكلين»كانت :«لا أريد أسرى ولا أريد سجلات مكتوبة.!!

كانوا الجناة المجرمون مسيحيين جميعا ومع ذلك لم نتهم المسيحية ولم نقل عليهم بالحق ما ادعوه بالباطل علينا.

لم نقل ذلك، رغم أن نفس هذا الإجرام موجود أيضاً بين فرق النصارى أنفسهم: فقد اشتركت الكنيسة الكاثوليكية في صربيا مع قساوستها ورجال الإكليرك والرهبان وكذلك أعضاء منظمات الشباب الكاثوليك في المذابح التي لاقاها الأرثوذكس من أهل الصرب في معسكرات الاعتقال التي كان يشرف عليها

القساوسة الكاثوليك وأسفرت عن مقتل ٧٠٠٠٠٠ من الصرب الأرثوذكس و٩٠٠٠٠ من اليهود والزيجويتر، على الرغم من علم البابا بما يحدث هناك تبعاً للتقرير المفصل الذي قدمه إليه (بوكون) في الثامن من أكتوبر لسنة ١٩٤٠. (باختصار وتصرف عن: الغارة على العالم الإسلامي د/ ربيع بن محمد بن علي).

يقول أحد ضباط الأمم المتحدة الذين خدموا في البوسنة والهرسك: «إنه قضى شهوراً طويلة لا يستمع إلا لطلقات الرصاص والبنادق ولا يرى سوى قذائف الصرب التي كانت تتوالى تباعاً فوق أشباح الموتى وهي عطشى لمزيد من الجثث من الرجال والنساء والأطفال المسلمين في مذبحة (سربرنيتشا) المروعة».

ولم نتهم اليهود أو النصارى الصليبيين بالوحشية والهمجية والتخلف.

ولقد اعترف قائد القوات الصربية (فوشتيك) لمجلة (ديرشبيجل) الألمانية وقال بالحرف الواحد: «لقد قتلت وحدي مئات المسلمين، وقمت شخصياً بإطلاق الرصاص على الأسرى المسلمين للقضاء عليهم»، وعندما نبهته المجلة إلى المعاهدات الدولية التي تحرم قتل الأسرى قال: بأنه «لما لم يجد سيارات لنقلهم، وجد أن أرخص طريقة هو قتلهم بالجملة، مثلما أجهز رفاقه الصرب على ٦٤٠ مسلماً كانوا يختبئون في مخبأ»، كما ذكر: «أن من لم يقتله كان يقوم أحياناً بخرق عينيه وتعذيبه، وأنه كان يلجأ إلى تهشيم أيدي الأسرى ببطء حتى يعترفوا بما يريد»، وحين سئل عن هدف الحرب التي تخوضها القوات الصربية في البوسنة صرح بقوله: «المسلمون في أوربا يجب أن يختفوا كأمة، وأن على المسلمين في البوسنة إعلان تحولهم عن الإسلام وأن يصبحوا صربيين أو كروات أما الخيار الثالث فهو الموت، وإن بيننا وبين المسلمين الألبان في كوسوفو ثأرًا وسنقوم بطردهم ومن يرد البقاء سنقتله، لا نريد مسلمين بيننا أو حتى في أوربا كلها»، كما يؤكد حقيقة العداء بين الغرب والإسلام ما صرح به جزار الصرب الأرثوذكس الأصوليين (سلوبودان

ميلو سوفيتش)، وذلك حين سئل عما يفعله في مسلمي البوسنة فقال: «إنني أطهر أوربا من أتباع محمد».

حدث هذا كله ولم نتهم اليهود أو النصارى الصليبيين بالوحشية والهمجية والتخلف.

***

نعم.

حدث هذا كله ولم نقل أن المسيحيين إرهابيون، حتى عندما تفجرت الحقائق بالفضائح وثبت – على سبيل المثال- أن طائرات حلف الناتو التي كانت تحلق فوق سماء البوسنة لم تكن تضرب المعتدي، بل تضرب مواقع خلفية لا توقف الزحف الصربي على الجيب الذي وعدت الأمم المتحدة بحمايته.

وما (سربرنيتشا) التي نحكي أحد فصولها، وما (بيهاتش) التي نقصُ بعض ما حدث فيها، إلا اثنتان من عشرات المدن البوسنوية التي تم فيها طبقاً لبعض الإحصائيات قتل وتعذيب وحرق ما يزيد عن ٣٠٠ ألف مسلم أغلبهم من النساء والأطفال، منهم ٧٠ ألف قضوا نحبهم في مجازر جماعية و٥٠ ألف معاق وما يزيد عن ١٢٠ ألف مفقود، كما تم تدمير أكثر من ٨٠٠ مسجد من أصل ١٥٠٠ مسجد، وطرد جماعي قسري لما يزيد عن مليوني مواطن- هم تقريباً جملة من بقي حياً من سكان هذه الدولة المسلمة- بلا مأوى ولا طعام ولا خيام، واغتصاب ما يزيد عن ٧٥ ألف جندي داخل ما يقرب من عشرين معسكراً لأكثر من ٧٠٠ ألف طفلة وسيدة، زرعت أرحام المئات منهن بأجنة ذئاب وكلاب بشرية تنتسب إلى تلك الحضارة الزائفة الفاجرة التي لا تعرف الرحمة ولا تمت للإنسانية ولا للقيم والمبادئ النبيلة بأدنى صلة، والغريب في الأمر أن عمليات الاغتصاب غالباً ما كانت تتم علانية وعلى مرأى ومسمع من الجميع بل وأمام الآباء والأزواج في كثير من

الأحياء، وكان جزاء من يتحرك لإنقاذ أي منهن وابلاً من الرصاص يخترق رأسه ويسقط بعدها صريعاً مضرجاً في دمه، ووسط هذا الجحيم تروي بعض التقارير الرسمية الأوربية مأساة أكثر من ٦٠ أسرة تعرضت لاعتداءات تفوق الخيال وكلها من قبيل ما ذكرنا. (باختصار وتصرف عن: الغارة على العالم الإسلامي د/ ربيع بن محمد بن على).

ولم نتهم اليهود أو النصارى الصليبيين بالوحشية والهمجية والتخلف.

وإزاء هذه الأعمال البربرية والأوضاع الهمجية أجمع المراقبون الدوليون من كل جنس أن الذي جرى في هذه الآونة شيء يصعب إيجاد وصف مناسب له، وربما لو اطلعوا على ما فعله الأمريكان وتحالفه البغيض بقيادة مجرميّ الحرب (بوش) و(بلير) فيما بعد في مسلمي الفلوجة وأبو غريب وجوانتانامو فيما أسمياه بالحرب الصليبية الثالثة لتغير رأيهم، لكن لنستأنس على أي حال لبيان ما جرى في البوسنة بتقرير (شفارتز) عضو الحزب الديمقراطي المسيحي وعضو البرلمان الألماني الذي ورد في إحدى نشرات منظمة البر الدولية تحت عنوان (رأيت بعيني) وفيه يقول: «رأيت طفلاً لا يتجاوز عمره الثلاثة أشهر مقطوع الأذنين مجدوع الأنف، رأيت صور الحبالى وقد بقرت بطونهن ومُثل بأجنتهن، رأيت صور الشيوخ والرجال وقد ذبحوا من الوريد إلى الوريد، رأيت الكثيرات ممن هتكت أعراضهن ومنهم من تحمل العار ولم يبق لولادته سوى أسابيع، رأيت صوراً لم أرها على أية شاشات تليفزيونية غربية أو شرقية، وأتحدى إن كانت عند هؤلاء الجرأة والشجاعة لبثها»، وما أشبه الليلة بالبارحة فما يعاود الغرب فعله ومعه الشيطان الأكبر في مسلمي أفغانستان والعراق وجوانتانامو لا يقل بشاعة عما فعله الصرب.

ولم نتهم اليهود أو النصارى الصليبيين بالوحشية والهمجية والتخلف.

والذي لا شك فيه، أن ما رآه (شفارتز) وسبق أن تعجب له (كاميرون) لا

يساوي شيئاً بالنسبة لما حجب عنهما، فهما معذوران في عدم دقة ما وصفاه لأنهما لم يريا وحوش الصرب يقطعون- حين قتلهم المسلم البوسنوي- إصبعين فقط من أصابع يده ويتركون الثلاثة الباقية علامة التثليث، ولا وهم يدهمون القرى فيبدؤون أول ما يبدؤون بتدمير ودك المساجد بالمدافع والدبابات وأحياناً عن طريق القذائف والمتفجرات التي يضعونها بداخلها، كما كانوا يبالغون في تعذيب حفظة القرآن وأئمة تلك المساجد ويذبحونهم في أغلب الأحيان على مرأى ومسمع من أهليهم ويمثلون بجثثهم، ولا وهم يأخذون أطفال البوسنة إلى كندا وأمريكا والغرب ليتم تنصيرهم داخل الأديرة ولا يسمح بزيارتهم إلا للقساوسة، ولا وهم يقومون بنحر المجموعات التي كانت تحاول الهرب بعد الإمساك بهم، ولا وهم يلقون بمئات الجثث في الأنهار وأحياناً يتركونها في الشوارع والطرقات فما يكون مصير من يحاول أخذها ليدفنها إلا نفس المصير، ولا هم يقومون بإجبار امرأة مسلمة على شرب دم ابنها الصغير بعد قتله أمامها، ولا وهم يضعون الأطفال المسلمين في فرّامات اللحم وخلاطات الأسمنت ومطاحن الأعلاف، ولا وهم يقومون بدفنهم أحياء وأحياناً بسحب دمائهم حتى الموت لنقلها - حسب ما جاء في جريدة (المسلمون) بتاريخ ٢٤/ ٧/ ٩٢ – لجنود الصرب، ولا وهم يطلبون من المسلمين من خلال دار الإذاعة الخروج من منازلهم وإلا تعرضوا للقتل فما يكون مصير من خرجوا ممن زاد عددهم عن الألف إلا القتل، ولا وهم يسمحون لهم لبضع ساعات لشراء الخبز كي يسدوا رمق أطفالهم الذين عضهم الجوع حتى إذا ما خرجوا لشرائه حصدتهم قذائف الهاون من فوق رؤوسهم، ولا وهم يقومون بتجنيد الشباب المسلم واقتياده إلى الخطوط الأمامية بعد إلباسهم نفس لبسهم ليكونوا دروعاً بشرية في مرمى نيران الحرس الدفاعي المسلم، ولا وهم يقومون في يوم واحد هو ١٧/ ٦/ ١٩٩٢ بقتل ألف مسلم ثم يتبعون ذلك بفقأ أعينهم وبرسم

الصلبان على جثثهم بالخناجر ثم بتقطيع آذانهم وأنوفهم ويتركونهم بعد ذلك نهباً للحيوانات تلغ في دمائهم، ولا هم يقومون بحصد ٢٠ ألف مسلم في ٣١/ ١٠/ ٩٢ خارج (يابيتش) والاستمتاع بقتلهم بعد حصارهم- حسب إذاعة لندن الذي وصفت هذا العمل بأنه انتهاك خطير لحقوق الإنسان، ولاهم يقومون بشوي طفل رضيع على النار أمام أبيه تماماً كما يشوى اللحم، ويأمرون الأب تحت تهديد الرصاص أن يأكل من لحم فلذة كبده ليطلقوا عليه الرصاص بعد ذلك.

ولم نتهم اليهود أو النصارى الصليبيين بالوحشية والهمجية والتخلف.

لم ير (شفارتز) ولا (كاميرون) من بقرت بطونهن من النساء المسلمات بعد أن خطت ورسمت على أجسادهن الصلبان، ولا من قتلن منهن بعد عمليّة الاغتصاب ويقدر عددهن بأكثر من ٣٠ ألف فتاة شوهد بعضهن عراة قد قطعت صدورهن ومثل بهن، ولا من لقين مصرعهن بعد أن إستؤصلت أرحامهن لا لشيء إلا لأنهن كن في الدورة الشهرية إبان فترة الغزو، ولا الأسرى من الذكور وهم يجبرون على خلع ملابسهم الداخلية والكشف عن أعضاء الذكورة لديهم، فإذا وجدوا أنه مسلم مختون قطعوا أعضاءه التناسلية ثم قاموا بذبحه وإلقائه في الماء المغلي وشيه كالذبائح، ولم يريا عمليات التعذيب والتمثيل والذبح الواسعة النطاق التي كانت تتم بالمدى والسكاكين حيث يتم تقييد الشباب الأعزل وعلماء المسلمين هناك ثم يطرحون أرضاً ويلقى بهم بعد ذبحهم- حسب شاهد عيان- في المستنقعات أو الأنهار أو في أكوام القمامة، ولا مئات الألوف ممن نزحوا نساءً وأطفالاً وشيوخاً عن بلادهم وأخرجوا منها بغير حق إلا أن يقولوا (ربنا الله)، وأضحوا- وهم يتسولون لقمة العيش- بلا وطن ولا عائل ولا مأوى بعد أن سُلبوا كل ذلك وشردوا أفراداً وجماعات في بقاع شتى هرباً من الجحيم، ولم يروا هذا الصربي الذي كان يجول بين عشرات القناصة مفتخراً بما فعله إخوانه في البوسنة ومعلناً أنه تواق لتكراره مرة

أخرى في (كوسوفا). وبدا واضحاً أن تلك هي حقيقة النظام الذي يدعي أنه عالمي وحيد، والحضارة التي تدعي أنها لا تفرق بين الناس على أساس الجنس أو اللون أو الدين، والقول باعتذار حكومة الصرب فيما بعد يكذبه واقع انخراطها الآن مع حكومات الغرب في إرسال جنودها وعدتها وعتادها لحرب المسلمين في العراق وأفغانستان.

ولم نتهم اليهود أو النصارى الصليبيين بالوحشية والهمجية والتخلف.

لقد انتشرت الفتوحات الإسلامية من الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً ومن جبال القوقاز شمالاً إلى أواسط أفريقيا جنوباً، ولم يجرؤ مؤرخ مهما كان مغرضاً أو حاقداً على الإسلام وحضارته أن يتهم جيشاً عربياً أو إسلامياً بفعل شيء من ذلك أو بارتكابه جرائم حرب أو قيامه بإبادة جماعية ضد سكان بلدة أو جزيرة مهما كانت نائية أو صغيرة أو تافهة كما فعل الصرب في البوسنة، وكما يفعل اليهود في فلسطين، والأمريكان والبريطانيين في الفلوجة والبصرة والرمادي والنجف وبعقوبة والموصل وتلعفر وبغداد وغيرها، وكما يفعل كل أولئك ومن كان على شاكلتهم في مسلمي البلاد التي يستعمرونها شرقاً وغرباً غير مكتفين بالزج بأهل البلاد التي يحتلونها داخل سجون أوطانهم ولا بنهب نفطهم وخيراتهم بحجج واهية استنكرها المنصفون ممن هم على دينهم وقام أقرب الناس إليهم وأخلصهم لبني جلدتهم بتفنيدها، لكونها في جملتها ذرائع لا تنطلي على من عنده مسحة من عقل أو مثقال ذرة من ضمير، ولكونها في مجموعها حجج هي أوهى من نسج العنكبوت، وعلى أولئك المبهورين بحضارة الغرب من أهل النفاق والطابور الخامس أن يراجعوا بأنفسهم التاريخ ويقرؤوا ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالنصارى عند فتحه بيت القدس وما فعله صلاح الدين بهم عند تحريرها، ليتأكدوا من صدق ما نقول وليميزوا بين الحضارة الحقيقية المتمثلة في عظمة الإسلام ورجال الإسلام،

وتلك الحضارات المعاصرة الزائفة التي بنيت على الهمجية والبربرية واستلاب أراضي الغير ونهب ثرواتهم دون وازع من ضمير ولا احترام لقيم (الغارة على العالم الإسلامي).

والغريب في الأمر أن تنبري بعض الأقلام لتبرئ ساحة الغرب من تهمة العداء للإسلام وترفض مصطلح (حرب الحضارات)، وكأن ما ذكرنا نتفاً منه وما يجري على الساحة العراقية والأفغانية يحدث على كوكب آخر، أو لكأننا معاشر أتباع محمد الذين نسعى للصدام، ويتعامى أصحاب هذه المقولة وكأنهم في حالة سكر أو إغماء وتغابٍ عن آلاف الأطنان من القنابل الأشد فتكاً وعن ترسانة الغرب وآلته العسكرية التي ما فتأت ولا زالت تجوب بلاد المسلمين شرقاً وغرباً وهنا وهناك بعد أن جاءت بنفسها طائعة مختارة من كل حدب وصوب تدمر وتهلك وتخرب،

يكشف اليهودي المتعصب (صموئيل هنتجتون) في أخطر فقرات كتابه (صراع الحضارات) حقيقة الأمر فيقول في رده على حسني الظن من المسلمين كي يصححوا معلوماتهم ويعدلوا من تفكيرهم الخاطئ: «إن الصراع على خطوط الصدع بين الحضارتين الغربية والإسلامية قد بدأ منذ أكثر من ألف وثلاثمائة عام، وعلى مدى القرون كان الاحتكاك المسلح بين الغرب والإسلام ولم يهدأ أبداً، ومن غير المتوقع أن يؤول ذلك التفاعل إلى الزوال بل يمكن أن يصبح أكثر ضراوة، إن الإسلام- هكذا هو يقول- يمتلك حدوداً دموية»، والفقرة الأخيرة التي علل بها روح الصدام، هي بيت القصيد لأن (هنتجتون) يعلم قبل غيره أن أنهار الدم التي فجر ينابيعها وأوقد نارها يهود وصليبيو كل عصر ومصر، إنما جاءت بفعل الغرب وأن الروح الصهيونية والصليبية البعيدتين كل البعد عن دين موسى والمسيح، لم يخمد لهيب سعارها المتأجج في صدور هؤلاء وأولئك على امتداد التاريخ القديم والحديث، بل ولغاية تصريح بوش الأخير بشن الحملة الصليبية، مروراً بالحملات

والحروب الصليبية التي أطلقها البابا (أوربان الثاني) في نوفمبر سنة ١٠٩٥ م، ودعا لها حكام الغرب - كما هو الحال الآن ولكن أكثر الناس لا يعلمون- وداهمت كل ما واجهها من المسلمين في بربرية متعطشة للتخريب والتقتيل، حتى كانت الخيول تنزلق في برك الدماء المسلمة، وسقط فيها سقط كثير من نصارى القدس، وبجحافل الفرس والرومان وجيوش (جنكيزخان) وولده (أغوتاي) التي اجتاحت العالم الإسلامي عام ١٢٢١، ١٢٣٦، ومن بعدهما هولاكو الذي استطاع بالمغول عام١٢٥٨أن يبيد جند الخليفة المستعصم عن آخرهم، واستباحوا كل شيء ببغداد وأجهزوا على ما يربو عن المليونين من سكانها دون تفرقة حتى امتلأت الدروب بالجثث وداستها الخيول، وبحملات (تيمورلنك) الذي زحف بقواته على بغداد في ١٣٩٣ وأشاع في الأهالي القتل والتعذيب كعصر الأعضاء والمشي على النار والتعليق من الأرجل ودس خرق التراب الناعم بأنف المعذب، وأتم احتلال بلاد الشام ثم احتلالها بعد مذابح شملت الأطفال والنساء والشيوخ وبعد أن كلف كل واحد من أتباعه بأن يأتي برأسين حتى بلغ عدد القتلى تسعين ومائة ألف، وبسقوط غرناطة سنة ١٤٩٢م الذي راح ضحيته الآلاف وأجبر ٤٠٠٠٠٠ أربعمائة ألف على الدخول في المسيحية بعد أن نصبت لهم محاكم التفتيش وعقب تعرضهم لفظائع وأهوال تشيب لها الولدان.

يصرخ د/ ربيع: أين حقوق الإنسان من اتخاذ أطفال دروع بشرية يضعونها على فوهات الدبابات ومن قتل جرحي وطردهم أحيانا وتدمير مراكز طبية وأخذ كل ما تبقى من أجهزة طبية من داخل المستشفيات بعد الاعتداء على الأطباء لمنع معالجة الجرحى وقصداً لإفناء من لم يفن من رصاصات القناصة وقنابل الفوسفور وقذائف الطائرات ونيران الدبابات والمدرعات التي لا تبقي ولا تذر وتدمر البيوت على ما ومن فيها؟ أين حقوق الإنسان من هذه الانتهاكات التي نسمع عنها مما

يجري في الهند وبورما وبلغاريا وكشمير والفلبين وغيرها ضد كل ما هو إسلامي؟ وفي أي نظام أو أية شريعة يُمنع المعتدى عليه من الدفاع عن نفسه ويحظر عليه السلاح بل ويطلب منه تسليم بنادقه المتهالكة التي بقيت مع بعض أفراده في حين يتمتع المعتدي بدباباته وطائراته وصواريخه وكامل عتاده يقتل ويهلك ويدمر؟ أين ذلك النظام الدولي الجديد الذي يدعي القوامة على العالم إلا أن يكون هذا النظام أقيم خصيصاً لمواجهة الإسلام والمسلمين؟ .

حدث هذا كله فلم نتهم المسيحيين ولا المسيحية بالتوحش والتخلف والإرهاب.

حدث فلم نعلن الحرب على العالم.حاولنا فقط أن ندافع عن أنفسنا، وفشلنا، لأن الغرب – المسيحي – كان قد جاء بمجموعة من القوادين والنخاسين وجعلهم ملوكا علينا.فأذلونا.

لم نتهم الجمع بل حددنا التهمة بمن يرتكبها فقط.

لأننا خير أمة أخرجت للناس لم ننسب الفعل للدين ولم نقتل لمجرد الاشتباه كما يفعل وحوش يدعون انتماءهم زورا إلى عبد الله المسيح عيسى ابن مريم.

أساءوا إلينا فرددنا على إساءاتهم بالإحسان.

***

كان لا بد أن أكتب هذا كله ردا على موجة الهجوم الوقحة التي لا تعرف الحياء والتي انطلقت ضد الإسلام والمسلمين بعد افتضاح ما حدث، موجة حاولت قلب الأمر كله وكأن الأمر لم يتم بسبب مسرحية مجرمة سافلة بل بسبب غوغائية المسلمين المتخلفين.

من الفقرات السابقة أظننا نعرف من هو الوحشي ومن هو المتخلف.

***

ومع احتدام الأمر في الإسكندرية، ومع صلافة البابا وهو يرفض الاعتذار، وجدت صاحبي وقد بلغ به الانفعال كل مبلغ يهتف صارخا:

سوف يتغير الحال، وسننهض من كبوتنا، ويومها سنفعل بهم الأفاعيل.

وقلت له في وجوم:

ولا حتى هذه ستنالها، فدينك يعصمهم منك مهما جاروا عليك، نعم، ديننا يمنعنا من الثأر والانتقام، بل ويدعونا إلى الصفح والمغفرة.

صدقت يا رب.

صدقت يا حبيبي.

كنتم خير أمة أخرجت للناس، لم نتهم المسيحية ولا المسيحيين، بل لن نحملهم مسؤولية ما فعلوه بنا.

***

فلنترك حظيرة الخنازير تلك لنتجه إلى خنزير آخر، في حظيرة خنازير أخرى، حيث تتعدد الأماكن ويتوحد الهدف: تشويه الإسلام تمهيدا للقضاء عليه، واتهام المسلمين بما ليس فيهم لنزع صفة البشرية عنهم حتى يستسيغ العالم إبادتهم دون إدانة.نواصل تقليب الصفحات في سفر جليل جميل «الغارة على العالم الإسلامي وصدام الحضارات »إعداد د/ ربيع بن محمد بن علي الأستاذ بالجامعة الإسلامية حيث يتعرض لترجمة (روبرت) اللعين في لمعاني القرآن الكريم بطريقة أعطت صورة بشعة لهذه المعاني، ومن ترهاته أنه أعطى معنىً غامضاً لخطاب (يا أهل الكتاب) وجعله يبدو في معظم الأحيان وكأنه موجه إلى المسلمين، كما أضفى على كل الآيات المتعلقة بأحكام الزواج والطلاق معاني جنسية داعرة بحيث تبدو للقارئ الغربي لاسيما الرهبان مثيرة للاشمئزاز والنفور، ففي ترجمته مثلاً لقول الله تعالى:﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ ﴾[البقرة:٢٣٠] ، يقول: «فلا

تحل له حتى يطأها رجل غيره». وجعل المعنى في قوله سبحانه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٠] (تمارسوا معهم اللواط). وفي قوله: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[البقرة: ٢٢٣] (فأتوهن في أدبارهن). وفي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠] هكذا: (نحن نجيز لك أزواجك اللائي أتيتهن مهورهن، وجميع إمائك اللائي أعطاكهن الله، وبنات عمك وبنات عماتك، وبنات خالك وبنات خالاتك اللائي اتبعنك، وكل امرأة مؤمنة إذا هي ترغب أن تقدّم جسدها أو نفسها للرسول، وإذا الرسول يرغب أن يضطجع معها فليفعل، وهذا خاص لك وليس للمؤمنين الآخرين). وهكذا.

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل قام معلق مجهول بالتعليق والتحشية على تلك الترجمة فزاد في التشويه إلى أقصى حد فمثلاً عندما لا يتفق القصص القرآني مع بعض قصص العهد القديم، مثل وسوسة الشيطان لآدم وزوجه للأكل من الشجرة، بينا في العهد القديم: أن الحية هي التي أغرت آدم بالأكل من الشجرة، يهاجم القرآن ويتهمه بالخرافة ويعلق عليه وعلى القصة الرائعة لحمل مريم بعيسى عليه السلام كما جاءت في سورة مريم بقوله: (كذب وقح). كما علق على قوله تعالى من سورة الغاشية: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ قائلاً: (لماذا أنت بعد هذا توجّه أصحابك إلى أن يُحوِّلوا الناس إلى دينك بالسيف، إذا أنت تقول مثل هذه المبادئ التي لا تُجبر الناس على الطاعة، فلماذا تُجبر الناس على الطاعة ولماذا تُخضعهم بالقوة مثل الحيوانات والبهائم المتوحشة، وليس بواسطة الحجج والبراهين مثل البشر، في الحقيقة أنت نموذج للكذّاب، فأنت في كل مكان تُناقض نفسك). فهل يقول عاقل بأن إلهاً يخاطب نبيه بهذه اللهجة وبهذا الخبل؟ وما الذي يجبر هذا الإله لأن يرسل هذا النبي من الأساس إذا كان هذا هو حاله؟ اللهم إن

هذا بهتان عظيم.

***

ما أريد أن أقوله، أن ما عرض في مغارة اللصوص، لم يكن مقطوع الصلة بما قبله ولا بما حوله، إننا نتكلم عن انحراف واسع المدى.

انحراف ممتد عبر التاريخ، ذلك أن هذه الحملة العدوانية الشرسة- المتمثلة في تصوير الإسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام في صورة بالغة البشاعة ومغايرة تماماً للحقيقة وقائمة على التلفيق والأوهام ولَيّ الحقائق من طرف وسائل الإعلام في الغرب وقيام الحرب الصليبية المقنعة التي تقودها الولايات المتحدة ضد الإسلام والمسلمين تحت مسمى (الحرب على الإرهاب وإزالة أسلحة الدمار الشامل)- هذه الحملة ليست جديدة ، بل هي عقيدة غربية موروثة تشكلت ونمت منذ القرن الأول وحتى نهاية القرن الثامن الهجري، وانتقلت هذه العقيدة كاملة متماسكة عبر هذه القرون الثمانية لتصل إلى القرون الحديثة والمعاصرة، وأصبحت أشبه بالمستنقع الآسن العَفِن الذي تغرف منه وسائل الإعلام الغربية وبعض رجال الدين الإنجيليين في أميركا، وينشرونها عبر وسائلهم المختلفة على أنها حقائق. ينشرونها أيضا عبر عملائهم وجواسيسهم من أقباط مهجر وعلمانيين وشيوعيين.

***

نعم، الحملة لا تقتصر على المسرحية السافلة ولا على الكاهن الساقط الذي باركها،

الحملة سلسلة طويلة تمتد من يهوذا الإسخريوطي إلى كاهن الكنيسة الساقط.

الحملة تضم الآلاف والملايين.

الحملة تضم خنازير مثل «جيري فالويل»الذي لا يكف عن مهاجمة النبي صلى الله عليه وسلم، من خلال بعض وسائل الإعلام الأمريكية الكبرى، ومما قاله

فالويل مساء يوم الأحد ٦ أكتوبر ٢٠٠٢م في برنامج ٦٠ دقيقة: «أنا اعتقد أن محمداً كان إرهابياً، لقد قرأت ما يكفي من المسلمين وغير المسلمين أنه رجل عنف، ورجل حروب، في اعتقادي المسيح وضع مثالاً للحب كما فعل موسى، وأنا اعتقد أن محمداً وضع مثالاً عكسياً».

***

نعم، الحملة لا تقتصر على المسرحية السافلة ولا على الكاهن الساقط الذي باركها، إنها تضم خنزيرا اسمه «بات روبرتسون» وهو الذي يقف خلفه أقوى تحالف سياسي ديني في الحزب الجمهوري وهو التحالف النصراني، وفي هجومه على النبي عليه الصلاة والسلام من خلال برنامج هانتي وكولمز في قناة فوكس الإخبارية قال ما يلي: «كل ما عليك هو أن تقرأ ما كتبه محمد في القرآن، إنه كان يدعو قومه إلى قتل المشركين، إنه رجل متعصب إلى أقصى حد، إنه كان لصاً وقاطع طريق، (...) .

***

تقول المسرحية السافلة مثل ذلك.

نعم، الحملة لا تقتصر على المسرحية السافلة ولا على الكاهن الساقط الذي باركها، إنها تضم واحدا آخر مثل فرانكلين جراهام الذي قام بعمل الطقوس الدينية لتنصيب الرئيس الأمريكي الحالي (جورج دبليوبوش) وقد أدلى (فرانكلين) بتصريحات إعلامية ذكر خلالها أن الإرهاب جزء من التيار العام للإسلام، وأن القرآن (يحض على العنف) وكرر جراهام خلال برنامج (هاينتي وكولمز) المذاع على قناة فوكس نيوز الأمريكية في الخامس من أغسطس ٢٠٠٢م رفضه الاعتذار عن تصريحات أدلى بها بعد حوادث سبتمبر ٢٠٠١م وصف فيها الإسلام بأنه دين (شرير).

نعم، هو أيضا –كال.– رفض الاعتذار، فالكفر ملة واحدة.

نعم، الحملة لا تقتصر على المسرحية السافلة ولا على الكاهن الساقط الذي باركها، إنها تضم خنزيرا سافلا مثل جيري فاينز: وهو راعي كنيسة في (فلوريدا) افترى على الرسول عليه الصلاة والسلام واتهمه زوراً وبهتاناً بأنه «شاذ يميل للأطفال ويتملكه الشيطان، وتزوج من ١٢ زوجة آخرهن طفلة عمرها تسع سنوات.

(أعتذر عن ذكر الباقي فهو بشع وكاذب، ولم يطاوعني قلبي ولا قلمي على نشره بسبب شدة بذاءته في الهجوم على حبيبي وسيدي ومولاي صلى الله عليه وسلم).

لقد تعمدت الإطناب لسببين، السبب الأول أن أؤكد أن عواء الذئاب ونباح الكلاب والخنازير على الإسلام لم يتوقف أبدا، و أن المسرحية السافلة التي مثلت في مغارة اللصوص لم يكن استثناء و أنه لم يؤثر في الإسلام أبدا. والسبب الثاني أن أطرح على القراء منابع هذه الصورة الملفقة المشوهة والتي تمثل العقيدة الدينية الغربية الموروثة والتي تمثل المصدر الرئيسي للعلمانيين والقوميين والشيوعيين في بلادنا، لأنه إذا عرف المنبع النجس بطل العجب.

لقد كان هدف تلك الخنازير من ذلك التشويه، تحصين النصارى من أهل الذمة الذين أدركوا عدالة الإسلام وسماحة المسلمين، والحيلولة بينهم وبين اعتناق الإسلام خاصة بعد دخول الكثيرين منهم في الإسلام، فلم يجد وسيلة لتثبيت النصارى على دينهم سوى محاولة تشويه الإسلام بالباطل.

في هذا المستنقع النتن سوف نرى جذور العلمانيين العرب.

ولنطالع على سبيل المثال الترجمة المشوهة لمعاني القرآن الكريم التي قام بها (روبرت أوف كيتون) لحساب بطرس المكرم سنة ٥٣٧ هـ / ١١٤٣ م، أو رسائل الكندي. في هذه أو تلك سنعثر على مرجعية أنصار أمريكا وإسرائيل أدعياء السلام

والاستسلام، ومهاجمة شعائر الإسلام، واعتبار الحجْ عملاً من أعمال الوثنية، ويرى أن الجهاد في سبيل الله إنما هو عمل الشيطان.!!

هل تشمون الآن نتن روائح فكر نوال السعداوي ويوسف القعيد وصلاح عيسى وجابر عصفور و أدونيس ومجلة روز اليوسف؟ !

هل ترون فاروق حسني و أزلامه؟

هل ترون النخبة؟ ؟

هل ترون عبد الرحمن الراشد والشرق الأوسط والحياة والأهرام والأخبار؟ .

هل ترون رفعت السعيد وقد بارت كل تجارته، فكلما ازداد الخونة كسد سوقه وقل الطلب عليه؟ .

هل ترون المسوخ التي جاءت بدلا من المسوخ التي ذهبت؟ .

يقول الدكتور ربيع بن محمد بن علي وهو يفضح العدوان الفكري الإعلامي على الإسلام ونبيه محمد عليه الصلاة والسلام من جانب رجال الدين النصارى ووسائل الإعلام الغربية- الذي يُعبِّر عن عقيدة موروثة ويمثل الدوافع الحقيقية لحرب دينية مصطنعة- ليس إلا وسيلة تمهيدية ضمن وسائل كثيرة يشملها هذا العدوان السافر على الإسلام والمسلمين والذي يهدف ضمن ما يهدف- رغم كل الأقنعة الزائفة التي يستتر بها- إلى مسخ هوية الأمة الإسلامية وتحويلها عن دينها وتدمير عقيدتها، وتمزيقها إلى دويلات وطوائف متناحرة لا تدين بالولاء إلا لأمريكا وإسرائيل، ونهب ثرواتها ومقدراتها، وتحويلها إلى مجرد مجتمعات استهلاكية لمنتجات دولهم وتحويل كل فرد مسلم إلى مجرد كائن بهيمي لا حافز له ولا هم إلا السعي اللاهث وراء لقمة العيش وإشباع غرائزه الفطرية.

نعم.

مسخ لهوية أمتنا.

والقضاء على الإسلام.

وهذه المرجعيات والمراجع هي البركة العفنة التي تتربى فيها الديدان والجراثيم.

فهل تشمون روائح النتن يا قراء؟ .

وبرغم كل ما كان وما هو كائن فإننا لا نتهم المسيحيين ولا حتى اليهود.

هل تذكرون كيف انقلبت الدنيا من أجل تماثيل بوذا.

هل تذكرون كيف روعوا وشوهوا طالبان، وكيف اتهموهم بالهمجية والتخلف لأنهم لا يدركون قيمة تلك الأصنام، ثم كيف اتهموا الإسلام كله بالهمجية والتخلف لأنه لم يدرك ولم يدرك أهله قيمة تلك الآثار، هل تذكرون كم من واحد منا انخدع فانضم إليهم مهاجما طالبان المتوحشة التي تقتل التماثيل!!، غفر الله لكثير ممن ندعو لهم بالهداية والمغفرة، غفر الله لشيخنا العظيم القرضاوي ولكاتبنا الكبير فهمي هويدي.

خُدعوا بالحضارة فانخدعوا.

كان ابن عباس رضي الله عنه يقول : من خدعنا بالله انخدعنا له،

أما القسم من نخبتنا التي لا نظنها على خير فقد انخدعت بغير الله!!.

هل تعرفون ما فعل رواد الحضارة بعد ذلك بآثار العراق؟ .

لكننا – نحن خير أمة أخرجت للناس – لم نقل ماذا فعل الصليبيون بهذه الآثار، بل قلنا فقط ما روته صحيفة (الأسبوع) بتاريخ ٢٢/ ٣/ ٢٠٠٤ – ١٧/ ٥/ ٢٠٠٤- ١٤/ ١١/ ٢٠٠٤ وعلى لسان مدير المتاحف، ومدير المحفوظات الوطنية (سعد إسكندر) – أن هناك ما يزيد على (٥١) ألف قطعة أثرية عراقية مفقودة، فضلاً عن سرقة ونهب أكثر من ٦٠٪ من تاريخ العراق المكتوب، وهذه النسبة تمثل ملايين السجلات والوثائق الملكية منذ العهد العثماني.

لم نتهم – نحن الأمة الوسط – الصليبيين ولا اليهود رغم أن الجرائم الأمريكية

والصهيونية على تراث الأمة وحضارتها لا تقف عند حد، فقد نشرت صحيفة (الجارديان) البريطانية بتاريخ ١٥/ ١/ ٢٠٠٥ مقالاً افتتاحياً عن التدمير المتعمد الذي تعرض له تراث الحضارة البابلية على يد قوات الغزو جاء فيه: أن الدمار الذي سببه إنشاء قاعدة عسكرية أمريكية على حطام مدينة بابل التاريخية أحدى أهم وأشهر المناطق الأثرية في العالم، يعتبر أحد أدنأ الأعمال البربرية الثقافية في الذاكرة الحديثة، حيث إنه عمل لا تبرره أي ضرورة عسكرية وكان من الممكن تجنبه تماماً إذ لم تكن هناك ضرورة لبناء المعسكر في المدينة حيث كانت توجد حدائق بابل المعلقة إحدى عجائب الدنيا السبع في العالم القديم، وندرك- والكلام لا زال على لسان (د/ جون كورتيز) من المتحف البريطاني وكما جاء في تقريره- أن السلطات الأمريكية كانت على علم تام بتحذيرات علماء الآثار بالأهمية الأثرية العالية لهذه المنطقة ورغم ذلك فقد تجاهلت القوات الأمريكية هذه التحذيرات تماماً»، وأعرب د/ كورتيز عن دهشته إزاء «الدمار الهائل الذي لحق بالموقع فيما بعد والذي لم يقتصر على هدم بعض الصروح الأثرية النادرة مثل بوابة الإله (عشتروت) إحدى أشهر الآثار في العالم، بل امتد إلى ما يقرب من ثلاثمائة ألف متر مربع من المنطقة الأثرية تم تسويتها بالأرض ودفنها في الردم المأخوذ من مناطق أخرى، لإنشاء مهبط لطائرات الهيلوكوبتر ومواقف لسيارات النقل الثقيل لم يكن يجب أبداً وضعها فوق هذا الكنز الأثري- ويضيف د/ كورتيز- أن هذا العمل البشع من وجهة النظر الأركيولوجية، يعني أن مواقع أثرية لم يسبق التنقيب فيها قد أصبحت مدمرة للأبد، مما يحرم البشرية من الحصول على معلومات أثرية مستقبلة منها ومن هذه المنطقة الحدائق المعلقة نفسها، وقد تضاعف الدمار نتيجة استجلاب رمال وردم من مناطق أخرى قد يكون بعضها مواقع أثرية بدورها».

وقد نقلت الإذاعة عن مراسل من المتحف البريطاني أن الولايات المتحدة

تسببت في خسائر فادحة في مدينة بابل العريقة التي فاقت في روعتها أية مدينة أخرى، وأضاف المراسل في تقريره أن طرقاً مرصوفة منذ ألفي عالم قد دمرت بالعربات العسكرية، وأن بقايا الآثار استخدمت لحشو أكياس الرمل عندما أقيمت قاعدة عسكرية هناك، وأن المركبات العسكرية الأمريكية سحقت تحت عجلاتها وجنازيرها ألفين وستمائة عام هي عمر حجارة الرصيف الأثري الذي دمرته تلك المركبات، أما الرمال الأثرية التي تحتوي- حسب قول الإذاعة- على قطع أثرية، فقد أزيلت هي الأخرى واستخدمت لملء أجولة الرمال ولأغراض عسكرية أخرى، الأمر الذي أدى إلى طمس المعلومات حول المكان سيما بعد أن أزيلت أتربة التربة السطحية لثلاثمائة ألف متر مربع من المنطقة وتم تغطيتها بالحصى ومواد معالجة كيمائية، ونقلت الإذاعة على لسان أحد الباحثين وعن متحدث باسم القوات الأمريكية قولهما: إن المنطقة شوهت معالمها تماماً، وأن الغزو والتدمير كانا على نحو خطير، وطال إلى جانب الحدائق برج بابل الذي يعد هو الآخر كنزاً من كنوز العالم القديم ومعلماً بارزاً من معالم الحضارة البابلية التي قامت منذ أربعة آلاف سنة.

ومرة أخرى: تذكروا تماثيل بوذا!!

تذكروها واكتشفوا بأنفسكم نوع الكذب الخسيس المجرم الذي يواجه به هؤلاء الناس العالم، ابتداء بجورج بوش وانتهاء بالكاهن الساقط الذي بارك المسرحية السافلة مدعيا أنها تدين الإرهاب ولا تسيء للإسلام.

نعم.

هذا متصل بذاك.

ومسرحية الإسكندرية استمرار لخيانات قطيع غير بسيط من الأقباط لوطنهم عبر التاريخ ليتركز في النهاية في أقباط المهجر.

نعم، لم تكن مسرحية الإسكندرية استثناء ولا خطأ عارضا و إنما كانت استمرارا

لحقد قديم لم يمت أبدا، دفن تحت وطأة انتصار الإسلام الطاغي وإبهاره و إعجازه، دفن ولم يمت، نعم، دفن ولم يمت فتشبع عفونة معتقة عبر التاريخ تشمها في بعضهم فكأنها وصمة عارهم عبر التاريخ، وصمة عار تشمها في بوش كما تشمها في نابليون كما في كاترين وبطرس كما في كمال أتاتورك ومبارك وعبد الله وجمال عبد الناصر وصلاح عيسى والغيطاني ومئات و آلاف وملايين، ارتضوا غير شرع الله وحاربوا الله ورسوله.

***

نعم،

علاقة الأقباط بالمسلمين في مصر حفلت بتسامح هائل من المسلمين وبانحراف من بعض الأقباط، ولم يكن الانحراف بسبب وجود مشكلة لدينا في قبول النصارى، على العكس، كانت المشكلة في قبول النصارى للمسلمين.وكان المستشرق الفرنسي كيمون في كتابه (باثولوجيا الإسلام يقول: «أعتقد أنه من الواجب إبادة خُمس المسلمين، والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة، وتدمير الكعبة، ووضع قبر محمد وجثته في متحف اللوفر».

***

في المسرحية السافلة سوف نشم ذات الرائحة النتنة.

المشكلة ليست مشكلة المسرحية، فلم تكن المسرحية سوى آخر قطعة روث تلقى علينا.

كانت المشكلة عبر خمسة عشر قرنا انحرافا في صلب الفكرة المسيحية التي عجزت عن مواجهة الإسلام بالحق فواجهته بالباطل. وقد تعرض لهذه المشكلة الدكتور هاني السباعي مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية ـ لندن في مقالة متميزة – و إن كنت لا أتفق معه في كثير مما ورد فيها، ولكنها على أي حال جهد

وجهاد يحتمل الأجر أو الأجرين، وعنوان المقال: «هل كان للأقباط دور تاريخي في مقاومة المحتل (حملات صليبية - فرنسي - بريطاني)؟

يستعرض الدكتور هاني السباعي في بحثه استعراض النصارى للقوة واستقواء بعضهم بالأجنبي عبر التاريخ ونقضهم العهود، ونقضهم عقد الذمة منذ الفتح الإسلامي سنة ٢٠هـ، رغم تعامل ولاة المسلمين معهم بكل تسامح، فكانوا يتظاهرون ويعلنون العصيان المسلح على الدولة، ويقتلون عمال الحكومة ويتصلون بدولة الروم، ثم يتصدى الحكام لهم بإرسال من يطالبهم بفض العصيان في مقابل العفو عنهم، إلا أنهم في الغالب يتعنتون ويصرون على التمرد، بزعم أن دولة الروم قد تساعدهم، غير أن حساباتهم كانت على الدوام خاطئة، فسرعان ما ينتصر عليهم جيش المسلمين، ثم يعفو عنهم الخليفة أو الوالي، ويجددون له الولاء والطاعة والالتزام ببنود عقد الذمة المنصوص عليه في اتفاقيتي بابليون الأولى (الخاصة بأهل مصر قبل فتح الإسكندرية)سنة ٢٠هـ وبابليون الثانية (الخاصة بأهل الإسكندرية) سنة ٢٠هـ أيضاً، لكنهم يعودون مرة أخرى لعصيانهم متذرعين بأحداث لا تتناسب وحجم عصيانهم المسلح،

كما يلاحظ ما يحدث في العصر الحديث، حيث غر بعضهم تحريض أقباط المهجر وخفافيش البنتاجون، فراحوا يبتزون الحكومة، ويلاحظ الدكتور هاني السباعي أن تمرد الأقباط و أخطاءهم تقابل من السلطة بصبر منقطع النظير وغير معهود على رجال الشرطة الذين يتعاملون بمنتهى الرقة مع مثل هذه الأحداث رغم استفزاز المتظاهرين لقوات الأمن والحكومة وترديد شعارات معادية للإسلام وأهل البلد والحكومة نفسها (وصل الأمر إلى استعمال هتافات مثل الاستنجاد ببوش وشارون والهتاف: لا إسلام بعد اليوم). وبرغم ذلك فإن الحكومة عادة ما تستجيب للابتزاز، الحكومة التي دأبت على تدليل الأقلية القبطية والرضوخ لمطالبهم

المتعسفة، نعومة ورقة وضعف يفتقدها الشعب المسلم في مصر، بل يطالب عدد كبير من المسلمين أن تعاملهم الحكومة مثلما تعامل الأقلية المسيحية، حيث كل أنواع القمع والتضييق على المسلمين سواء في الفصل من الوظائف الحكومية والتربوية وإحالة العديد من المدرسين إلى وظائف إدارية، والطرد من المؤسسة العسكرية أو جهاز الشرطة أو الأجهزة الإدارية الحساسة وغير الحساسة في الدولة لكل من يشتبه أن له قريباً كان ذات يوم معتقلاً سياسياً أو يشتبه بأن هذا القريب كانت له صلة بالجماعات الإسلامية، بالإضافة إلى حملة حكومية منظمة بغية تجفيف المنابع الإسلامية سواء في برامج الإعلام أو المناهج التعليمية. هذا كله بالإضافة إلى مطاردة وملاحقة الإسلاميين (٦٠ ألف معتقل مسلم لا يوجد بينهم نصراني) عبر سلسلة المحاكمات العسكرية وتأميم النقابات المهنية وفرض الحراسات عليها والاعتقال طويل الأمد ومحاربة روح التدين، والسخرية من الهدي الظاهر لدى المتدينين المسلمين كالنقاب واللحية وتسخير كافة الأجهزة الأمنية لمحاربة الإسلاميين تحت شعار محاربة (الإرهاب).

يتحدث الدكتور هاني السباعي بعد ذلك عن تاريخ طويل من الغدر والتشويه والكذب ويدين بقوة موقفهم إبان الغزوة الفرنسية والإنجليزية لمصر. ويقرر أن ما يقوم به أقباط مصر بقيادة الأنبا شنودة الثالث هو إهانة لمشاعر المسلمين في مصر وفي العالم الإسلامي بأسره. الأنبا شنودة الذي عودنا على اعتكافه السياسي في وادي النطرون مهدداً القيادة المصرية الخانعة المرتجفة من ضغوط الغرب؛ لن يجدي اعتكافه هذا إذا تمخض الزلزال وخرج المارد من قمقمه فلن يتحمل الشعب المصري كل هذه الإهانات المتكررة من أقباط مصر، تلك الأقلية التي لا هم لها إلا الاستقواء بالغرب، لا، ولن تنفعهم أمريكا ولا قوات الناتو ولا من في الأرض جميعاً من غضبة الشعب المصري المسلم المكلوم المهان في دينه وكرامته، فأفيقوا قبل

أن يتمخض الزلزال، وساعتها سيقول الجميع ولات حين ندم!.

حاشية على بحث الدكتور هاني السباعي:

أعتقد أن الدكتور هاني السباعي يتحدث عن أقلية داخل أقلية، أقلية سافلة وسط أغلبية أفضل، تماما كأقليات اليسار السافل بين المسلمين، نعم، أقلية و إن كنت أظن أنها تزداد تدريجيا أقلية، لا أقولها نفاقا أو مجاملة للأقباط، فالتاريخ يتحدث فعلا عن ترحيب الأقباط- في مجملهم- بالفتح الإسلامي، ليس ميلا للدين الجديد ، و إنما لأنهم كانوا يعتبرون الرومان كفارا وأعداء معا وكانوا يرون أن المسلمين أقل كفرا من الرومان الذين عاملوهم بوحشية منقطعة النظير، لقد قتل جستنيان الأول عام ٥٦٠م ٢٠٠٠٠٠ في الإسكندرية وحدها. وكان التاريخ الدامي لا ينفك يذكرهم بكيفية دخول المسيحية لمصر في عام٥٥ م على يد مارمرقس الرسول وإنشاء أول كنيسة في مصر في منطقة بوكاليا في الإسكندرية وكيفية قتل مار مرقس الرسول بمعرفة الوثنيين بربطه من رقبته في عام٦٨ م بحبل وجره في الشوارع حتى ظهرت عظامه وكيف عاش المسيحيون في اضطهاد دائم في مصر وصل ذروته في عهد دقلديانوس حاكم الدولة الرومانية في عام٢٨٤ م حتى وصل عدد القتلى من المسيحيين إلى أكثر من مليون شخص. ويرى بعض المؤرخين المحايدين أن الفتح الإسلامي أنقذ قبط مصر من الإبادة. ثم إن المراجع القبطية نفسها – ومنها أنقل الآن- تذكر كيف بدأ الأقباط في مساعده عمرو بعد سقوط بابليون والإسكندرية واحتلاله(يعنون فتحه) البلاد وكان زعيم القبط وكبيرهم رجلا اسمه باليونانية سانوتيوس أو شنودة بالقبطية، عرّفوا عمرو بأحوال أهل البلاد وكيف اضطهدهم الأروام وهروب البابا بنيامين منهم واختفاؤه. فكتب عمرو بن العاص وعد عهد وأمان كالآتى (أينما كان بطريرك القبط بنيامين، نعده الحماية والأمان وعهد الله فليأت البطريرك إلى هنا في أمان واطمئنان ليلى أمر ديانته

ويرعى أهل ملته، وكان البابا بنيامين قد غاب عن كرسيه ١٣ سنة منها ١٠ سنين في عهد الأروام وحكم قورش(المقوقس) وثلاث سنين منذ غزا العرب مصر• كما أمر عمرو بإرجاع الكنائس التي اغتصبها الأروام من الأقباط. أما البابا بنيامين فلما عاد إلى كرسيه عمل وعلم بكل طاقته لإرجاع الذين أضلهم قورش فرجع منهم الكثيرون• وعاد الأساقفة أيضا إلى كراسيهم(أماكنهم) بعد هروبهم وأمر ملاك الله البابا أن يبنى بيعه (كنيسة) لأنها كانت أكثر الأماكن التي أهرق فيها الأروام والملكيين دماء الأقباط، ورمم أيضا أديرة وادي النطرون (دير الأنبا بيشوي وأبى مقار) بعد أن دمرها الفرس وقتلوا رهبانها. ثم تروي المراجع القبطية ما قاله المؤرخون العرب أنه خرج ٧٠٠٠٠ راهب قبطي من وادي النطرون بيد كل منهم عكاز عراة الأقدام وبثياب ممزقة، مهللين لعمرو بن العاص.

ولا تنفي المراجع القبطية هذا الخبر لكنها تنتقد العدد، وترى أن فيه مبالغة كبيرة.

***

هكذا جرت حملات الكذب لتشويه الإسلام والمسلمين وكان هدفها الرئيسي تنفير النصارى من الدخول في الإسلام، ولو لم تكن الغواية –من وجهة نظرهم– هائلة لما كانت الأكاذيب بهذا الحجم.

إنني أريد أن أفرق هنا بين أمرين أظنهما هامين، و أريد ألا أسقط في فخ الإساءة لأحد، كما لا أريد أن أسقط في مستنقع المجاملات الكاذبة المنافقة اللزجة.

وعلى سبيل المثال: عندما يقول المسلم : أن النصارى كفار فهذا ما قرره له القرآن الذي يقول : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾[المائدة: ٧٢] و﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ [المائدة:٧٣]. إنه لا ينطلق من حكم شخصي أو هوى مضل. إنه ينطلق من القرآن كحكم سماوي مطلق لا استئناف فيه

ولا قدرة لبشر على تغييره. نعم، أعلم أن النصارى لا يؤمنون بالقرآن، ولم نطلب منهم ذلك، لكننا نطلب فقط أن يفهموا أننا نؤمن به أكثر من إيماننا بوجودنا الأرضي (لا أقول ذلك لصرفهم عن محاولاتهم الساذجة السافلة لصرفنا عن الإسلام) وعندما نقول أنهم بدلوا في كتابهم، فإن ذلك يعني يقيننا المطلق بما أخبرنا به القرآن، وذلك لا يتعلق برغبة في الإهانة أو بموقف طائفي على الإطلاق، إنه لا يتعلق حتى بالنبأ الذي ذاع أن الكنيسة الكاثوليكية في روما توشك على الإعلان رسميا عن أن ٨٠٪ من الأقوال المنسوبة للسيد المسيح عليه السلام في الإنجيل، غير صحيحة تاريخيا. أليس هذا ما قاله الإسلام؟ أليس هذا ما حذر منه الرسول ﷺ.

على الجانب الآخر، ما هي مرجعية النصارى عندما يحكمون على المسلمين في شيء؟ هل قاله الله؟ هل نطق به عبد الله المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام؟ أم أنه رأي بشر، إنني أرجو من القارئ القبطي أن يفهمني، إنني أحاول مناقشة الأمر بصورة عقلية مجردة، لا أهدف منها أبدا إلى إقناعه بالإسلام، بل أهدف منها – وأقولها بلا خجل وبلا كبرياء مرذول – إلى استرضائه. نعم أريده أن يفهم أنني عندما أقول أن الله واحد أحد لم يلد ولم يولد فإنني لا أقصد إيذاءه، وحتى عندما أقول : لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة، فإنني لا أملك من الأمر شيئا ولا حيلة لي ولا لغيري فيه، بمعنى أنني من ناحية لا أقصد إيذاءه، ومن الناحية الأخرى فإنه إن كان ضروريا أن يمنعوا تلك الآيات من أن تتلى على الأرض فليس لهم إلا سبيل واحد، أن يقتلوا مليارا وثلاثة أرباع مليار مسلم، وهذا أيضا لن ينالوه أبدا، ليس استكبارا، ولكن أخبرنا الرسول ﷺ بذلك.

بشكل آخر: عندما يقول المسلم على النصراني أنه كافر فذلك أمر طبيعي، تماما كما أنه طبيعي أن يقول النصراني عن المسلم أنه كافر، وشد ما يصيبني الاشمئزاز من إنكار هذا المعنى أو الكفر به، فمن المؤكد أن المسيحي لا يقبل أبدا أن يقال أنه مؤمن

بنبوة سيد البشر وخاتم النبيين سيدنا وحبيبنا ومولانا رسول الله ﷺ، كما أن أي مسلم لا بد أن يشعر بالفخر الشديد حينما يذكر عنه أنه كافر بالتثليث، فذلك مدح لا قدح.

نعم، وبطريقة أخرى فالكفر يعني الغطاء، أو الإخفاء أو الإنكار، وبذلك فإن إنكار النصراني لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم تعني بالنسبة لي كفره، و إنكاري أن الله ثالث ثلاثة تعني بالنسبة له أنني كافر بما يقول، وهذا صحيح ولا يحمل أي نوع من الإساءة أو الإهانة. إن الأمر كما قال المستشار العلامة طارق البشري ذات يوم ضاربا المثل بالماركسية، فإن لها أسسا معينة فإن آمنت بها فأنت مؤمن و إن أنكرت المادية الجدلية فأنت كافر بها دون أن يعنى هذا الرغبة في الإهانة.

***

لست أدرى هل استطعت توضيح الفكرة السابقة أم لا ؟

وربما يحتاج القارئ الآن أن أخفف من جهامة الكلمات وشدة وطأتها بأن أروي له الحكاية التالية.

لست أدري من الذي أدخل في روعي أن الأستاذ نبيل الذي أتعامل معه مسيحي، وظلت علاقتي به طيلة عشرة أعوام شديدة الصفاء والنعومة، كنا نلتقي – لقاء عمل – كل عدة شهور، وكان هو يستمتع بخطئي و يتجنب كشف الحقيقة أمامي، إلى أن التقينا في الحج!!.بعدها قلّت مجاملتي له، و أصبحت أعنفه أحيانا إذا أخطأ فيقول مازحا: ليتك ما اكتشفت الحقيقة، فأوضح له الأمر، ذلك أنني في علاقتي بالمسيحي أحمل مسؤولية مضاعفة، مسؤولية : «الدين المعاملة»ومسؤولية توصية الرسول ﷺ بهم. لكن هل تعني المجاملة أن أنكر ما هو معلوم في الإسلام بالضرورة؟ نعم، لكم دينكم ولي دين، لكن، من هم هؤلاء الذين لهم دينهم ولي دين، إنهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾!

وقبل أن نعود إلى المسرحية المجرمة فإننا نعرض في إيجاز شديد رد فعل العالم على الأكاذيب القذرة والمسرحيات المجرمة وجميع وسائل الإعلام الخاضعة للصليبيين واليهود،

نعرض رد فعل العالم على الأكاذيب عابرة القارات والقرون.

هل انصرف الناس عن الإسلام؟ .

هل قل عدد المسلمين؟ ؟ .

على العكس.

رد الفعل أن عدد المسلمين ازداد وكذلك نسبتهم.

- فقد ازداد عدد المسلمين نسبة إلى سكان العالم من ١٨٪ عام ١٩٨٠ إلى ٢٣٪ عام ٢٠٠٠ ويتوقع أن يصل إلى ٣١٪ عام ٢٠٢٥ (مجلة البيان- ذو الحجة ١٤١٩).

وللمسلمين أقول أن ذلك يتم لأن الإسلام حق بذاته دون حاجة إلى دفاع ، كما أن فكرة التوحيد في الإسلام بالغة النقاء والرقي، نعم إنها نقية وشامخة للدرجة التي تخطف قلب أي إنسان على غير دين الإسلام عندما تصله بطريقة صحيحة بشرط أن تكون تربته النفسية صالحة، وسنجد ذلك في كثير من مذكرات من هداهم الله للإسلام.

***

النماذج الوضيعة التي لا تكف عن تشويه الإسلام ليست استثناء ولكنها أيضا، القاعدة في تناول الإسلام والمسلمين، إنها واسعة الانتشار. وعلى من يريد معرفة المزيد أن يلجأ إلى مواقع أقباط المهجر، وليست سوى أوكار للخونة والجواسيس والعملاء، وبالمناسبة سوف يذهل القارئ من أن أهم كتاب هذه الأوكار رفعت السعيد والعشماوي وحسن حنفي وفرج فودة والقمني وخليل عبد الكريم وصلاح

عيسى والغيطاني ومن على شاكلتهم. دعنا من ذلك. لديّ صحيفة كنسية توزعها الأهرام تتعرض لسيدنا عمر بن الخطاب باتهامات خسيسة قذرة بشعة كالصحيفة ومن أصدرها وباركها ووزعها، ولولا حرصي على عدم إشعال النار لذكرت التفاصيل.

***

كانت المسرحية إذن سطرا في سفر الأكاذيب يرتبط بما قبله وبما بعده.

كانت جزءا من الشحن المسعور للنصارى دون وازع ولا ضمير من أن هذا الشحن سيسفر عن فتنة طائفية وحرب أهلية. ولا أظن إلا أن الكنيسة تحاول إشعال هذه الحرب أملا في تدخل أمريكا وإسرائيل لتحققا لها ما تعرف أنها-رغم كل الكذب والرشوة والتشهير-عاجزة عن تحقيقه.

لم تستخف الكنيسة وهي تخرج المسرحية، بل قامت بهذا العمل الفاجر بتحد سافر للمسلمين ولأجهزة الدولة وقامت بعرض كل شيء من أسماء طاقم العمل بالكامل، فما المطلوب من هذا التصرف الوقح.هل هو إعلان التحدي والتمرد من قبل الكنيسة على الدولة؟ هل يتعدى ما قلناه من أن هدفه هو السعي إلى فتنة المفروض أن يكونوا أشد الناس خوفا منها؟ هل هو سوى الاستقواء الدنيء بالخارج ؟

يقول الدكتور يونان لبيب رزق - قبطي - في مجلة المصور : تصور نفر من الأقلية القبطية أنهم يستمتعون بالحماية الأمريكية ولعل هذا ما دفعهم إلي تأليف وتمثيل هذه المسرحية الركيكة والتي تفتقر إلى أبسط مبادئ الحبكة الدرامية، فهي تقوم منذ بدايتها على فكرة وهمية مؤداها نجاح إحدى الجماعات الإسلامية المتطرفة في إغراء شاب قبطي على الانضمام إليها ، ولم يحدث أن سمعنا من قبل أن هذه الجماعات قد سعت إلى ضم أي قبطي، الأكثر من ذلك أن هذا الشاب لسبب أو لآخر قد

استجاب لهذه الدعوة غير المنطقية، ولا ندري من كان وراء هذا التصرف الذي لا يمكن وصفه إلا بالتعصب وقصر بالنظر، أو على الأقل بفعل فاعل في نفس الفترة أخذت إحدى قنوات القمر الأوروبي هي قناة الحياة تبث برنامجا استفزازيا لقس مصري اسمه الأب زكريا حفل بالقصص الوهمية عن نجاحه في تنصير أعداد من المسلمين هذا فضلا عما يبشر به من معجزات وهمية.

***

هو الاستقواء الخسيس إذن، استقواء عميان يقودون عميانا، ولكن، إذا كان الأعمى يقود أعمى يسقطان معا في حفرة، و أنهم هم الذين ينطبق عليهم ما جاء في الطبعة المعاصرة للإنجيل : «كتب أن بيتي بيتا للصلاة يدعى، أما أنتم فقد جعلتموه مغارة لصوص». أو أنهم كما قال القديس أوغسطينوس الذي أعيد ذكر ما قاله كي لا يستنكر علىّ البعض وصفهم بالكلاب والخنازير : إنهم يرغبون في تدمير الحق الذي لا يمكن تدميره. أمّا الخنازير فتختلف عن الكلاب فهي لا تهاجم لتمزّق بأسنانها، لكنها تدنّس الشيء إذ تدوسه بأقدامها في طياشة. إذن لنفهم أن «الكلاب»تُشير إلى مقاومي الحق، «والخنازير»إلى محتقريه.

لقد بلغ الفجور بالكهنة الذين اشتركوا في هذه الجريمة أن كذبوا حتى على البابا شنودة نفسه، فقد ورد في مقدمة المسرحية أنها «حظيت بمباركة صوت البابا شنودة». والكلمة رغم غموضها أعطت انطباعا بتورط البابا نفسه تورطا مباشرا في هذا العمل الإجرامي. ولم يكن ذلك صحيحا، و إنما تدنى الكهنة إلى مستوى النصب والاحتيال، ولقد فسر الأنبا موسى الجملة، فقد أتوا بتسجيل موعظة من مواعظه و سجلوها في المسرحية لتباركها.

لقد قلت قبل ذلك أن الغرض من مثل هذه المسرحية السافلة والكهنة السفلة الذين تبنوها هو تشويه الإسلام كي يشوهوه عند أبنائهم ولكي يبغضوا لهم أتباعه،

لكن القبطي المحترم الوقور المحروم من قبل البابا شنودة: جمال أسعد عبد الملاك يخبرنا بسبب آخر، إن الكهنة الساقطين، أبناء الأفاعي الذين يلبسون ملابس الكهنة، يتاجرون في هذه المسرحيات ويكسبون منها، وذلك سبب هام آخر، وهو أيضا يؤكد أنهم ليسوا أتباع عبد الله المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، سواء بتحريف أو بدون تحريف (فحتى المسيحية المحرفة لا تأمر بالكذب الفاجر أو جرائم القتل والإبادة). و إنما هم أتباع يهوذا و أنهم ينتجون هذه المسرحيات من أجل الثلاثين فضة!!.

أين كانت الحكومات العميلة الساقطة وهي تتراجع تراجعا بعد تراجع وتفرط تفريطا بعد تفريط.

أين كانوا وهم يردون المؤمنات المحصنات ماريان مكرم عياد وتريزا إبراهيم ووفاء قسطنطين وغيرهن.

أين مباحث أمن الدولة التي لا تخفي عليها في المساجد خافية؟ ؟ أين؟ ؟

العار والشنار لأجهزة تسجل أسماء الشباب الذين يصلون الفجر في المساجد دون أن تجرؤ على التسلل لقلاع وحصون تسمى بعضها زورا كنائس.

الخزي والعار والشنار لأجهزة لا تجرؤ على التدخل في برنامج عمل الكنائس ثانية واحدة بينما تحرص على تقييد العمل في دور عبادة المسلمين الأعداء، في المساجد!!، يحرص كلاب النار على ألا يذكر اسم الله فيها، فلا تفتح إلا قبل صلاة الفرض بدقائق ثم تغلق بعد الصلاة مباشرة، لعنهم الله وأخزاهم، و أخزى وزيرا يوافق على هذا ويباركه.

الخزي والعار والشنار لأجهزة الأمن الباطش الجبار التي قتلت الناس داخل المساجد وأطلقت النار داخلها وهدمت بعضها لاتهامات كلها مزورة وصمتت صمت الجرذان عندما كانت الجرائم جرائم خيانة عظمى لكنها تحدث في الكنائس.

الخزي والعار والشنار لهم، الخزي والعار والشنار لهم، الخزي والعار والشنار لهم، إنني أوجه السؤال لهم أو لأي واحد منهم ما يزال لديه دين أو ضمير- وهو الأمر الذي أرتاب فيه- هل يمكن أن يفعلوا بالإخوان المسيحيين (!!) ما فعلوه بالإخوان المسلمين؟ ولا أقول بالجهاد أو الجماعة الإسلامية؟ ؟ .

لماذا استهان كلاب النار – أيا كانوا و أيا كانت مناصبهم، من الخفير إلى الأمير، بالمساجد وجبنوا أمام الكنائس التي تحولت إلى دويلات متناثرة داخل الدولة ؟ نعم، دويلات لها هيئة مستقلة وخصوصية خاصة داخل البلد، دويلات لها قوانينها وسجونها و أجهزة إعلامها بل وصحفها.

هل يدرك القراء أن من حق كل كنيسة أن تصدر صحيفة؟ ! لدي بعض هذه الصحف، وهي طباعة فاخرة، وليست للتوزيع الداخلي، بل تباع، ومكتوب في صفحاتها الأولى أنها توزيع الأهرام، فهل يدرك جهاز الأمن الباطش الجبار ذلك؟ وهو الذي يحاصر أي مطبوعة للمسلمين، وهو الذي يمنع بمنتهى الجبروت والقسوة عودة صحيفة الشعب رغم عشرات الأحكام القضائية النهاية ، الخزي والعار والشنار لجهاز أمن يفعل ذلك. خزي وعار يلحق أيضا الباقين جميعا، من الخفير إلى الأمير.

هل تراقب أجهزة الثقافة مسرحيات الكنائس ومطبوعاتها، وهي التي لا تسمح لأي مؤسسة مسلمة بأي نشاط، إلا إذا كان هذا النشاط نفاقا وازورارا عن الإسلام، هل تراقب هذه الأجهزة نشاطات الكنائس، أم أنها مشغولة كوزيرها الشاذ – فكريا!- بإخراج مسرحية صنع فيها – عليه من الله ما يستحقه- نموذجا للكعبة وأتى براقصة لترقص فوقه.

أين وزارة الداخلية، أين شرطة المصنفات وقسوتها الباطشة وهي تهاجم مساكين يرتزقون من بيع تسجيلات دينية معظمها صحيح لكنه لا يوافق هوى الشياطين

التي تحكمنا ثم لم تتحرك قيد أنملة لإزالة المسرحية الفاجرة.

فحيح ونباح وعواء انطلق يقول : إن المسرحية مثلت منذ عامين، لكن التساؤل: هل تسقط جرائم إهانة القرآن وسب الرسول بالتقادم؟ وبعد عامين فقط!!،

فحيح ونباح وعواء انطلق يقول : إن المسرحية مثلت مرة واحدة فقط، وهذا كذب لأنها مثلت مرات عديدة، أما المصدر فهم مسيحيون شاهدوا المسرحية، وأسلموا بعدها!!

فحيح ونباح وعواء انطلق يقول : إن المسرحية مثلت مرة واحدة ثم صدرت الأوامر بإيقافها، وهذا كذب، فقد مثلت في أغسطس الماضي حيث صورت، لكن دعونا من أجل الجدل نوافق، فإذا كانت الأوامر قد صدرت بإيقافها فمن سجلها؟ ومن طبعها؟

فحيح ونباح وعواء انطلق يقول : إن المسرحية لم يشاهدها مسلم قط، فكيف وصل تسجيلها إلى آلاف المسلمين إذن؟ (المسيحيون الذين هداهم الله للإسلام أقروا بأن التسجيل والتوزيع كان مقصودا به المسلمون وليس المسيحيين).

هل كل ضباط مباحث أمن الدولة مشغولون في مراقبة المساجد؟ أما من ضابط منهم يذهب ليقول لنا من الذي طبع القرص الفاجر ومن وزعه، ومن هو الفاجر الذي وافق أو بارك؟ !.

ثم: أين شيخ الأزهر سيد طنطاوي، لا عفوا، أنا أسحب السؤال يا قراء، لا أسأل عن شيخ الأزهر ولا أناديه فالرجل موظف، والموظف ملتزم بشرع ولي نعمته لا بشرع خالقه.

أين المفتي؟ لقد فقد الرجل احترامي كله وهو ينكر وجود تسجيل للمسرحية أصلا، وهو قول كاذب لم يجرؤ عليه حتى البابا شنودة نفسه.

أين النائب العام، الذي أكتفي بصدده بأن أشكوه إلى الله، ليس في هذه القضية

فقط. بل في كل قضية يكون الحاكم طرفا فيها، و أحيل القارئ إلى مقال لي نشرته منذ أعوام ثم ضمنته كتابي «إني أرى الملك عاريا »عن صدام عنيف مع النائب العام آنذاك حين صارحته أن قاضيا في الجنة وقاضيين في النار.

أين وزير العدل – المزور كما اتهمه القضاة أنفسهم-.

إنني أنقل تعليقا من رسالة قيمة لبعض من تصدوا للمسرحية الفاجرة، تعليقا يستنكر كيف أن أصحاب هذا العمل المسرحي الهزيل قيمة ومضموناً، نشروا مثل هذه الأفكار دون أن تطرف لهم عين. ودون أدنى مسؤولية أو شعور بالآخرين. إننا كنا نتصور أن مصر من كافة طوائفها وأفكارها ومثقفيها وبُسطائِها قبل علمائها كانت ستعلن التنديد والاستنكار على الفور إذ ما تجرأ أحدهم من دولة قريبة أو بعيدة بمثل هذا العمل. إننا لم نتصور أبدا أن نُؤتى من مأمننا. ونُطعن من مكمننا. كنا نتصور أن هؤلاء الذين يسبون الإسلام(مثل زكريا بطرس وأعوانه في القنوات المشبوهة) في الخارج هم أعداء لديننا ودولتنا ، وكنا نعلم أن أغراضهم الرخيصة المكشوفة في إثارة الفتنة الطائفية بين المسلمين والمسيحيين لن يعبأ بها شبابنا الواعي للوحدة الوطنية ولمستقبل وأمن بلاده، فإذ بعيوننا تتحول عن مكامن الخطر الخارجي لنجدها هنا ونشاهدها من الداخل للأسف. المشكلة أن الطعنة هذه المرة جاءت صريحة من قلب أقباط مصر أنفسهم ، وليس كما اعتدنا نتلقى السهام من أقباط المهجر في الخارج. الشيء المؤسف أن هذه الطعنة وهذا الاستهزاء الرهيب بشرائع الإسلام جاء من قِبَل أكبر مِلّة طائفية مسيحية في مصر وهم الأرثوذكس ، والذي يشكلون معظم أقباط مصر المسيحيين. ولو كان هذا العمل قد قام به مجموعة من الشباب كحالة منفردة لكنا قد سكتنا ولكذبنا أنفسنا وأعيننا ، وقلنا لأنفسنا ولأبنائنا المسلمين لا تحزنوا ولا تغضبوا لأنهم مجموعة عشوائية من الشباب لا تمثل أبدا الكنيسة المصرية ، ولا تمثل أبدا إخواننا الأقباط. إلا أن الصدمة هذه

المرة كانت من قبل أحد الكنائس الأرثوذكسية التي يقودها ويرأسها البابا شنودة نفسه، حيث أن العمل تم في «كنيسة ماري جرجس – بمحرم بك- الإسكندرية»، هذا العمل المسرحي الذي يشرف عليه قساوسة كبار وليس مجرد مجموعة من الشباب المتعصب أو غيره. إن الشيء المحزن أن هؤلاء القساوسة يفترض أنهم أكثر استيعاباً وإدراكاً للمسئولية في مثل هذه الفترات ، ولا بد أن يكونوا قدوة للآخرين ، لأنهم رجال دين وفي محل نظر واهتمام الآخرين حيث إن تصرفاتهم وأفعالهم محسوبة عليهم. وللأسف أن أي شخص سيشاهد هذه المسرحية سيدرك أن العمل لم يكن عشوائياً ، بل كان عملا منظما متكاملا ضخما داخل مسرح الكنيسة وخارجها ، عمل فني بما يعرفه المشاهدون من طاقم تصوير وموسيقى وديكور وكمبيوتر وملابس ومكياج وتأليف وإخراج وطبعاً لا تنسوا القساوسة ومباركتهم للعمل بأنفسهم. بل إن الجمهور المسيحي الذي كان يحضر هذا العمل لم يكن بضع أفراد ولم يكن العمل سرياً، بل كان جمهورا كبيرا ضخما بالمئات أصرت الكاميرات إظهاره عدة مرات لتوضح مدى سعادتهم وتصفيقهم الحار للعمل إعجابا به!!. وتلك نقطة أخرى لا أتوسع فيها حرصا، إذ كيف يهبط هذا الجمهور الغفير إلى هذا الدرك السافل دون احتجاج واحد، وهل هذا الجمهور لا يمثل إلا نفسه أم أنه عينة عشوائية صادقة للانحطاط والكفر والسفالة.

***

إن عنوان المسرحية نفسه يعود إلى رواية وردت في الإنجيل تقول:

«وفيما هو مجتاز رأى إنسانا أعمى منذ ولادته. فسأله تلاميذه قائلين : يا معلّم من أخطأ هذا أم أبواه حتى ولد أعمى. أجاب يسوع :لا هذا أخطأ ولا أبواه لكن لتظهر أعمال الله فيه. ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني ما دام نهار. يأتي ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل. ما دمت في العالم فأنا نور العالم.

قال هذا وتفل على الأرض ، وصنع من التفل طينا ، وطلى بالطين عيني الأعمى. وقال له : اذهب اغتسل في بركة سلوام. الذي تفسيره مرسل. فمضى واغتسل وأتى بصيرا »

«فالجيران والذين كانوا يرونه قبلا أنه كان أعمى قالوا : أليس هذا هو الذي كان يجلس ويستعطي، آخرون قالوا هذا هو. وآخرون إنه يشبهه. وأما هو فقال : إني أنا هو. فقالوا له كيف انفتحت عيناك. أجاب ذاك ، وقال. إنسان يقال له يسوع صنع طينا وطلى عينيّ ، وقال لي : اذهب إلى بركة سلوام واغتسل. فمضيت واغتسلت فأبصرت».(...) اسألوه فهو يتكلم عن نفسه. قال أبواه : هذا لأنهما كانا يخافان من اليهود. لأن اليهود كانوا قد تعاهدوا إنه إن اعترف أحد بأنه المسيح يخرج من المجمع. لذلك قال أبواه : إنه كامل السن اسألوه، فدعوا ثانية الإنسان الذي كان أعمى وقالوا له أعط مجدا لله. نحن نعلم أن هذا الإنسان خاطئ ، فأجاب ذاك وقال : أخاطئ هو؟ لست أعلم. إنما أعلم شيئا واحدا. أني كنت أعمى ، والآن أبصر ».يوحنا ٩: ١-٤١.

***

إنني أريد أن أنبه القراء، والمسيحيين قبل المسلمين أن هذه الطريقة الساقطة في الهجوم على الإسلام تفيده ولا تنتقص منه ذلك أن الشاب المسيحي يفاجأ عندما تزال غشاوة الصعاليك الذين تحدث عنهم القديس أوغسطينوس من على عينيه، عندما تزال هذه الغشاوة يدرك هذا الشاب عظمة الإسلام وعمقه، إن الشاب يدرك كم خدع، ويكتشف كم كذبوا عليه، ويكتشف كم كان هذا الكذب خسيسا، بل ويكتشف الشاب فوق ذلك من عظمة الإسلام ما يدفعه لإشهار إسلامه حين يكتشف أن الإسلام لم يأت مكذبا لنبيهم ولا سابا له ولا متورطا في محاولة قتله ولا مدعيا على أمه مثل ما ادعى اليهود بل قال في عيسى وأمه: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة :٧٥].

فعيسى عليه السلام عبد الله ورسوله جاء ذكره في السلسلة النبوية الكريمة شأنه شأن إخوانه من الأنبياء والمرسلين كإبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى عليهم الصلاة والسلام، وقصة عيسى ذكرت في أكثر من موضع في القرآن الكريم ولم يرد في موضع واحد من القرآن الكريم ما يمس عيسى عليه السلام بسوء أو يشينه كما أنه لم يرد فيه شيء يمس جناب أمه، أو يشينها بل خص القرآن الكريم أمه بسورة كريمة من سوره هي سورة مريم عليها السلام ، فلنستمع إلى ما سطره الوحي الرفيع من الآيات في حق عيسى وأمه مريم عليها السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [آل عمران] ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [آل عمران: ٤٥].

ولا يوجد فرق كبير بيننا وبين النصارى في شخص مريم عليها السلام ، فنحن نؤمن بها صديقة ، وبأنها بشر وبأنها عذراء ، لم يمسها بشر، طاهرة، صالحة، تقية، نقية، تعهدها الله برعاية خاصة وفضلها تفضيلا عظيما على نساء العالمين.

والفرق بيننا وبين رجال الكنيسة يتمثل أول ما يتمثل في شخص المسيح عليه السلام فنحن نؤمن بأنه رسول قد خلت من قبله الرسل ولا نؤمن بأنه إله ولا ابن إله ولا أنه يجلس إلى جوار أبيه في السماء ونؤمن بأن النصرانية الصحيحة التي نزلت على عيسى تنزلت بما نؤمن به وأن فرقا كثيرة من النصارى كانت عقيدتها موافقة لعقيدتنا ولكنها ووجهت بحرب إبادة فأبيدت. (راجع: التبشير والخطة الحكيمة لمقابلته: الشيخ علي بن أحمد بن طه المسيري)

لقد كتب عادل حمودة، الذي لا يجمع بينه وبين الإسلاميين إلا العداوة والشحناء – من طرفه- كتب في صحيفته «الفجر»عن الوقائع فأدان الكنيسة وحملها مسؤولية ما حدث بقوله:

«لقد أشعلت الكنيسة القبطية الفتنة هذه المرة في الإسكندرية، مسرحية لا لزوم

لها، تتدخل في عقيدة الجيران، ولا تحترم القاعدة الفقهية والوطنية والقانونية (لكم دينكم ولي دين)، وقد تصورنا أن آباء الكنيسة وعلى رأسهم البابا شنودة سوف يبادرون بالشرح والتفسير والتبرير والاعتذار لكن، ذلك لم يحدث، إن كل مؤسسات الدولة في مصر اعتذرت للكنيسة عما نشر في صحيفة النبأ رغم أن ذلك كان خطأ شخصيا لم ترتكبه، وعوقب رئيس تحرير الصحيفة على ما نشر بالسجن ومات قبل أن يكمل فترة العقوبة، وكان متوقعا أن تبادر الكنيسة بالاعتذار عما جرى فى الإسكندرية خاصة أنها مسؤولة عنه، كما أن الخطأ لم يكن شخصيا هذه المرة، بل كان إهانة مباشرة يعاقب عليها القانون، لكن. الكنيسة تغطت بالصمت، وبدت وكأنها مظلومة لأنها أيدت انتخاب الرئيس مبارك ، وروجت له دون أن تجد من بين قائمة المرشحين على قائمة الحزب الوطني سوى اثنين فقط من رعاياها، أحدهما وزير المالية يوسف بطرس غالي، والآخر في الإسكندرية، حيث الطبعة الأخيرة من الفتنة الطائفية، وكأن الكنيسة تعاقبنا على ما فعلته السلطة بها، كأنها تطالبنا بدفع فواتير بضاعة سياسية حصل عليها غيرنا، وكان تفسير رموز الحزب الوطني صفوت الشريف وكمال الشاذلي ، وقد سألتهما مباشرة عن سر ندرة الأقباط بين مرشحي حزبهم ، أنه لم يتقدم للترشيح من الأقباط سوى عدد محدود جدا لا يزيد على خمسة طبقت عليهم معايير الاختيار التي طبقت على غيرهم، لكن ذلك التفسير لا يريح البابا شنودة الذي طالب أكثر من مرة بنسبة من مقاعد مجلس الشعب للأقباط تناسب حجمهم وعددهم ولو قاطعوا العمل السياسي وجلسوا في بيوتهم لتأتيهم المقاعد المطلوبة بالتليفون ، مثل البيتزا والفراخ المشوية، هوم ديلفري. وتصورنا أن آباء الكنيسة القبطية وعلى رأسهم البابا شنودة سيقدمون المتهمين فيما جرى إلي سلطات التحقيق لتهدئة الخواطر ، وإطفاء النار قبل أن تتحول إلى جحيم، لكن ذلك لم يحدث، بل علي العكس، نقلت رئاسة الكنيسة

المتهمين إلى دير وادي النطرون ، وأخفتهم هناك، مع السيدة وفاء قسطنطين وأخواتها اللاتي حاولت الانتقال من المسيحية إلى الإسلام، وكأن الدير أصبح منطقة مستقلة عن السيادة المصرية لا يجوز تسليم أحد يلجأ إليه أو ينقل إليه، وفي هذه الحالة يجب توقيع اتفاقية للتعاون القضائي وتبادل المجرمين بين الحكومة المصرية والكنيسة المصرية.»

و أضاف نبيل عمر في نفس الصحيفة:

«وأظن أن الاعتذار في فتنة الإسكندرية كما يطالب الغاضبون لا يكفي، أو بمعني أصح ليس هو الحل، لأن القضية الآن ليست خناقة على قارعة الطريق تحتاج إلى قاعدة صلح وكلمتين لتطييب الخواطر، وإنما تحتاج إلى تفعيل القانون، فالقانون هو الدرع الذي يجب أن يحتمي به المصريون جميعا! وكلنا يعرف ماذا حدث في قضية رئيس تحرير النبأ ، إحالة إلى النيابة وتحقيقات ومحكمة وحكم بالسجن، ثم عزل من نقابة الصحافيين ، وإلغاء ترخيص الجريدة! وهو ما يجب أن يتم في حادث المسرحية المغضوب عليها، أن تحال إلى النيابة العامة وتحقق فيها بعيدا عن المهاترات والبيانات، والقانون المصري به من المواد التي تعاقب على الإساءة المتعمدة للأديان، إذا ثبت أن المسرحية بها من المشاهد والحوار ما يمس الدين الإسلامي أو يسخر منه بأي شكل من الأشكال»..

***

يظل الطبيب الجراح متمتعا بحماية القانون وحصانته طالما التزم المعايير العلمية المهنية الصحيحة، بل ويعفى من العقاب حتى عن الخطأ غير المتعمد مادام لم يشبه إهمال أو تقصير أو تعمد، فإذا شابه أيٌّ من ذلك، أو إذا استعمل آلات الجراحة، أو مهاراته للإيذاء، كأن يستعمل مبضع الجراح في طعن خصم، أو أن يستغل علمه في أن يسدد الطعنة في موضع يسبب ضررا أكبر، إذا ما فعل ذلك، فإن القانون لا

يسحب عنه حصانته فقط، بل إنه يتشدد في عقابه، ليكون عقابه على الجرم، أكثر من عقوبة الشخص العادي.

وبهذا المعيار نفسه، فإن القسيس أو الكاهن أو البابا ولو كان بابا روما أو الإسكندرية، أو الشيخ – ولو كان شيخ الأزهر- والمفتي ولو كان مفتي الديار، والوزير حتى لو كان وزير الأوقاف، إذا ما خرج على مقتضيات منصبه، وتجاوز اختصاصات وظيفته، فلا حصانة له، وعلينا أن نتوقف على الفور عن التعامل معه كرجل دين – في حالة المسيحيين- أو كعالم في الدين في حالة المسلمين (ليس في الإسلام رجال دين). نعم، علينا أن نتوقف عن التعامل معه بوضعه السابق، لنتعامل معه كمجرم استغل ما اؤتمن عليه، واستعمله كما يستعمل الجراح المجرم مبضعه، للقتل لا للإنقاذ.

يدخل في هذا الإطار لينطبق عليه الحكم كل مجرم ادعى أن المسرحية (التي مثلت في مغارة لصوص أو وكر شيطان) لا تسيء للإسلام. كما ينطبق نفس الحكم على من رفضوا الاعتذار بحجة أن المسرحية لا تسيء للإسلام. فلقد كان رفض الاعتذار إهانة مضاعفة. كان الأمر أشبه برجل يسب آخر، فيقول له: «أنت كلب». فيطلب منه الناس الاعتذار، فلا يزيد عن قوله: «لكنني لم أشتمه». وذلك كما لا يخفى على القارئ سباب إضافي، و تأكيد للسباب الأول.

نعم.

كل من شارك في العمل المجرم مجرم، وكل من رفض الاعتذار أيضا كذلك.

أما من تلاعب بالأحداث وغير الوقائع و أنكر المعلوم بالضرورة فهو أكثر من مجرم ومن خسيس.

والحمد لله الذي هدى البابا شنودة إلى ما يشبه الاعتذار (وهو غير كاف بأي حال) ، فقد نزع مؤقتا فتيل انفجار يعلم الله ماذا كان يمكن أن يحدث لو انفجر،

ولقد كان فيما صدر عن البابا من شبه اعتذار كابح لإجراءات كانت قد بدأت في الظهور. وكانت ستنال الأقباط وتمسهم مسا مباشرا. إجراءات كالمقاطعة الاقتصادية، حيث يسيطر المسيحيون على ٦٠٪ من اقتصاد الإسكندرية، و ٤٠٪ من اقتصاد مصر، وعلى غير ما يدعي عملاء المخابرات الأمريكية والإسرائيلية، ومن أقباط المهجر، لعنهم الله أينما كانوا، على غير ما يدعون، فإن المسيحيين يتمتعون في مصر بوضع لا تتمتع به أي أقلية في العالم، إلا الأقليات الخائنة تحت سيف الطاغوت (كما كان البيض في جنوب أفريقيا واليهود في العالم العربي). أقول أن ما يجب أن يحرص عليه الأقباط هو المحافظة على الوضع الذي وصلوا إليه، و أن يدركوا أن هذا الوضع يحمل أشد الغبن للمسلمين، الذين يشكلون الأغلبية الساحقة. و أن يدركوا، أن العالم الإسلامي، و إن كان غير قادر على الانتصار الآن فهو غير قابل للتلاشي. وأن هذه الخاصية ستدور به مع الزمان حتى يجيء النصر الموعود، ولقد كان البابا شنودة، شديد الوعي بذلك حين منع الأقباط من زيارة القدس، حتى لا يكونوا أول من خان. ولقد كان موفقا في هذا، للدرجة التي جعلت تقدير كثير من المسلمين له، يفوق تقديرهم لشيخ الأزهر (سيد طنطاوي)، فنحن مأمورون ألا يجرمنّا الشنآن ألا نعدل، ومأمورون أن نحكم بالظاهر، و ألا نشق عن قلوب الناس. وليس في هذا مبالغة، ولا مخالفة للولاء والبراء، ولا موالاة لغير مسلم على مسلم، بل لقد أدرك الضمير الجمعي الديني للأمة، أن الناس سبعة: أولها المؤمن ، وثانيها المسلم ، وثالثها الكتابي المسيحي ، ورابعها الكتابي اليهودي ، وخامسها المشرك والكافر ، وسادسها المرتد ، أما سابعها فهو المنافق الذي هو في الدرك الأسفل من النار، و أن ضمير الأمة يضع البابا في المركز الثالث، بينما يضع بعض شيوخنا – دون تعيين – في المركز السابع.

أقول إن البابا منع باعتذاره مقاطعة اقتصادية كانت ستؤذي الأقباط بلا شك،

كما أنه كبح شعورا راح يتنامى بعد أن منعه الحياء من ذلك، شعور بالغبن، وبالمهانة، و بأن الحكومة الضعيفة، فاقدة الحس والنخوة والكرامة، تستجيب للمسيحي مهما كان افتراؤه وظلمه، وتتنكر للمسلم مهما كان حقه.

وكان من ضمن ما يحرك هذا الشعور هو أن تعداد الأقباط لا يزيد عن ستة في المائة، و أن الحكومات المتعاقبة، الحكومات العاجزة الفاسدة العميلة، تتعمد عدم ذكر النسبة مجاملة للأقباط أو خوفا منهم، هذا الشعور لو وصل إلى غايته فسوف يطالب بحصر دقيق للأقباط، وسوف يتجاوز على سبيل المثال عن أن يحصل الستة في المائة على ١٠٪ أو حتى ١٢٪ من الاقتصاد لكن ليس أكثر، كما سوف يطالب بالتعامل وفقا للعرف الدولي، الذي يتجاهل بالكامل الأقليات الإسلامية في دول العالم، حتى لو وصلت هذه الأقليات إلى ٣٠ أو ٣٥٪ دون أي تمثيل على أي مستوى، بل سيطالب بإعطائهم تمثيلا يوازي تمثيل المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية أو فرنسا أو ألمانيا، حيث تتقارب نسبة المسلمين هناك مع نسبة المسيحيين في مصر.

***

لقد كتبت ذات مرة أن تعداد النصارى في مصر يكاد يصبح لغزا، ليس لأنه مجهول ، لكن لأن هناك طريقة طريفة في النصب والاحتيال لا يتبعها إلا نصاب محترف، ذلك أن عدد الأقباط في مصر منذ الحملة الفرنسية إلى الآن يتراوح ما بين ٥-٦٪ من عدد السكان (حوالي أربعة ملايين نصراني) ويأتي النصابون من النصارى والعلمانيين الأشرار الذين يتملقونهم نكاية في الإسلام، ليخلطوا بين الرقمين: رقم العدد (وهو هنا أربعة ملايين) وبين النسبة (وهي هنا ٦٪). ففي المرحة الأولى يتم استعمال رقم النسبة المئوية بدلا من العدد فيكون تعداد النصارى ستة ملايين نسمة (وليس أربعة ملايين أو ٦٪ من عدد السكان) لكننا إذا ما حسبنا

النسبة المئوية التي يشكلها الرقم المغلوط وهو الستة ملايين لوجدناهم يمثلون ٨٪ من عدد السكان، وهو الرقم الذي يستعمل مع النسبة المئوية بشطب ما نشاء من طرفي المعادلة ليكون تعدادهم في المرحلة التالية ثمانية ملايين، لكن الثمانية ملايين لا يساوون ٨٪ من عدد السكان بل ١٢٪، يستعمل هذا الرقم عدة أسابيع ثم يتحول إلى أن عدد النصارى ١٢ مليون نسمة، وبعد عدة أسابيع من الحداثة ونسيان الماضي يكتشفون أن ١٢ مليون مسيحي يشكلون ١٨٪ من السكان، وهكذا دواليك، حتى وصل الرقم الآن إلى ٢٥٪ من عدد السكان نصارى.

وبهذه الطريقة لا يبقى سوى عدة خطوات ليكون النصارى هم الأغلبية في مصر.

وخطوات أخرى لتصل نسبة المسيحيين إلى ١٠٠٪ من الشعب المصري.

وفي مصر – بالذات – يمكن للنسبة أن تزيد عن ١٠٠!!٪.

***

ورغم أن الدراسات العلمية الصادرة مؤخرا من باحثين مسيحيين لبنانيين تتحدث عن تعداد مسيحيي العالم العربي كله من المحيط إلى الخليج بأقل من عشرة ملايين، ورغم أن جميع الإحصائيات الرسمية المصرية منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى الإحصاء المعلن الأخير عام ١٩٨٦ تؤكد على أن نسبة الأقباط من عدد سكان مصر شبه ثابتة ، وتتراوح حول ٦٪ ، فإن البعض لا يكف عن التشكيك في صحة هذا الرقم، وللأمانة فإن منع إعلان الدولة للأرقام الإحصائية للسكان في العقد الأخير هو نوع من المجاملة للكنيسة.

في بحث علمي رصين أورده الدكتور محمد مورو في كتابه القيم: يا أقباط مصر انتبهوا – الناشر: المختار الإسلامي – حرر المسألة بأسلوب علمي خلصها من الأكاذيب التي تنشر عنها وتنشر حولها.

يقول الدكتور مورو (بتصرف واختصار) : موضوع القضية همس يدور وشائعات تبذر في الظلام بأن الأقلية القبطية في مصر قد بلغ تعدادها أربعة ملايين ثم إذا بالرقم يرتفع إلى ستة ملايين ثم إلى ثمانية ملايين ويرتب مثيرو هذه الشائعات على هذا الادعاء حقوقا يضمنونها منشورات لم تعد سرا تداولتها الأيدي. والسؤال هو كيف وصل مثيرو هذه الشائعات إلى هذه الأرقام الإحصائية. والرد العملي يكمن في مناقشة هذا الادعاء في هدوء وموضوعية، ومع ذلك فلأي مواطن أن يطعن في هذه البيانات الرسمية أمام جهات الاختصاص كالمحكمة الدستورية أو مجلس الدولة مؤيدا دعواه بالأدلة القانونية، ولكن هذا الإجراء، الذي يبدو أنه الإجراء الوحيد لإثبات الحقيقة، هو الإجراء الوحيد الذي تجنبه الأقباط طول الوقت، ولقد طالبوا بكل شيء معقولا كان أم غير معقول، خائنا كان أم شديد الخيانة، لكنهم لم يتورطوا قط في أن يطلبوا – على سبيل المثال – إجراء تعداد للسكان تحت إشراف الأمم المتحدة. تجنبوا ذلك لأنهم يدركون أنه لو حدث، فسوف يكشف كذبهم ويدحض ادعاءهم ويفضح مؤامرتهم.

لكن، ماذا تقول الإحصاءات الرسمية عن نسبة الأقباط بين السكان؟ .

- أجرى أول تعداد في مصر على أسس علمية نظامية في أول يونيه ١٨٩٧ بإشراف من دولة الاحتلال للتعرف على التركيبة الحقيقية للمجتمع المصري وأشرف على عملية الإحصاء المستشار المالي البريطاني مستر ألبرت بوانه وساعده في متابعة العملية عدد من الموظفين الإنجليز.

- في هذا الإحصاء بلغ مجموع سكان مصر ٩٧٣٤٤٥٠ نسمة منهم ٨٩٧٧٧٠٢من المسلمين أي بنسبة ٢٣ , ٩٢٪ والباقي من المسيحيين واليهود، وفي هذا التعداد كانت نسبة الأقباط الأرثوذكس:٣ , ٧ ٪.

- توالت عمليات التعداد كل عشر سنوات وتوالى ارتفاع عدد السكان

بمختلف طوائفهم مع ثبات النسبة المئوية لكل طائفة، ففي تعداد عام ١٩٠٧ وكانت نسبة المسيحيين من جميع المذاهب بما فيهم الأقباط الأرثوذكس إلى ٨ , ٧٪

- وفى مارس ١٩١٧ أجرى التعداد الثالث تحت إشراف المستر كريج مراقب الإحصاء والدكتور أ. ليفي وهو إنجليزي يهودي وبلغت نسبة غير المسلمين (مسيحيين ويهود) ٨٪.

- وفى ٩ يناير ١٩٢٧ أجرى التعداد الرابع وأشرف عليه حنين بك حنين مراقب مصلحة الإحصاء وهو قبطي أرثوذكسي بمعاونة المستر كريج فبلغت نسبة جميع الطوائف المسيحية واليهود ٣٣ , ٨٪ مع ملاحظة تضاعف عدد الأقباط الكاثوليك ستة أضعاف والأقباط البروتستانت خمسة أضعاف (تحت وطأة الضغوط والدعاية الأمريكية).

ولقد حافظت النسبة المئوية للسكان على أساس الديانة في جميع التعدادات التالية مع فارق الارتفاع التدريجي للأقباط الكاثوليك و البروتستانت لكن النسبة العامة للمسلمين إلى مجموع السكان ظلت مستقرة تقريبا وهى ٩٢٪. ذلك أن الإسلام في الأغلب الأعم دين يتحول الناس إليه ولا يتحولون منه. أو قل هو الدين.

في تعداد عام ١٩٣٧ وكذلك عام ١٩٤٧ و ١٩٦٠ كانت نسبة جميع الطوائف المسيحية ٣٣ , ٧٪ منهم ٤٩ , ٦٪ من الأقباط الأرثوذكس. وتكررت النتيجة في تعداد عام ١٩٧٦ كانت نسبة غير المسلمين ٣٢ , ٦٪ منهم ٦٨ ٪ من الأقباط الأرثوذكس، هذا الانخفاض النسبي يعزى إلى ارتفاع في عدد الأقباط الكاثوليك والبروتستانت وإلى هجرة أعداد من الشباب القبطي الأرثوذكس المتعلم إلى أستراليا وكندا والولايات المتحدة.

إن مناقشة هذه الأرقام التي جاءت نتيجة لنظام وضعت أسسه تحت إشراف إنجليزي وانتقل إلى إشراف مصري قبطي أرثوذكسي لا يسمح بإثارة الشكوك

حوله ولا يسمح بنقض أو رفض و إلا تحولت أية مناقشة إلى سفسطة بسبب الإمعان في المبالغة والاختلاف وتحويل المئات إلى آلاف والآلاف إلى ملايين...

يواصل الدكتور مورو حديثه المفعم بالمرارة والاستياء والاستهجان:

إن تعداد سكان دولة كمصر يحتاج إلى أكثر من ٣٠ ألفا من الموظفين المسلمين والأقباط للمشاركة في إجرائه، وهل يمكن أن تجرى في الظلام مؤامرة يشترك فيها ثلاثون ألفا لا يعرف بعضهم البعض؟

ولعل الدكتور مورو يقصد تلك الأكاذيب الفاجرة التي يطلقها أقباط المهجر مع أصوات داخلية تدعي في صفاقة ليست غريبة على الطواغيت والمستعمرين والقتلة واللصوص في التاريخ، فيزعمون أن الحكومة المصرية تأمر آلاف مكاتب السجل المدني بتسجيل المسيحيين كمسلمين!!

ولم يقدم أبناء الأفاعي مثلا واحدا، نعود إلى الدكتور مورو الذي لا يكتفي بكل ما أورده بل يلجأ إلى أرقام إحصائية تفصيلية أخرى تؤكد ما ذهب إليه فينشر الإحصاءات التفصيلية على مستوى المحافظات التي تكاد أن تكون نسبتها مستقرة ثابتة، ففي الفترة بين عام ١٨٩٧ و ١٩٧٦ تراوحت نسبة الطوائف المسيحية في المحافظات الآتية (على سبيل العينة) على النحو الآتي:

أسيوط بلغت النسبة (وهي أعلى ما يكون على مستوى البلاد) بين ٧ , ٢١ ٪ و ٩ , ١٩ ٪ وفي القاهرة بين ٩ , ١٥ ٪ و ١٣ , ١٠ ٪، وفي قنا بين ٥٦ , ٨ ٪ و ٥ , ٧ ٪ وفي الشرقية بين ١ , ٢ ٪ و ٣ , ١ ٪ وفي الدقهلية بين ٠ , ٢ ٪ و ١ , ١ ٪ فمن ثم متوسط النسبة المئوية للطوائف المسيحية مجتمعة على مستوى الجمهورية منذ عام ١٨٩٧ حتى اليوم هي ٧٢ , ٧ ٪.

ومع أن هذه البيانات استخلصت من إحصاءات مباشرة فإن هناك ميزانا لتقنين مدى صحتها وذلك بإجراء مقارنة لعدد المواليد والوفيات خلال عام من الأعوام

على أساس الديانة وهي بيانات مثبتة في شهادات الميلاد والوفيات وتخطر بها أولا بأول منظمة الصحة العالمية ومنظمة الأغذية والزراعة التابعتين لهيئة الأمم المتحدة. نأخذ مثلا عفويا قريبا وهو عامة ١٩٧٤ ففيه بلغت جملة المواليد في مصر ١,٢٨٧,٦١٤ منهم ١,٢٢٣,٣٠٠ من المسلمين و ٦٤,٣٦٤ من غيرهم (طوائف مسيحية ويهود (وقد بلغت جملة الوفيات في نفس العام ٤٥٧,٦٢٠ منهم ٤٣٠,١٢٢ من المسلمين و ٢٧,٤٩٨ من غيرهم أي أن مجموع الزيادة العددية للسكان في هذا العام بلغت ٨٢٩,٩٩٤ منها ٧٩٣١٧٨ من المسلمين و ٣٦,٨١٦ من غيرهم.

من هذا يتضح أن النسبة المئوية على أساس المواليد والوفيات لغير المسلمين تدور في جميع الحالات حول ٦,٢٢ ٪ وهو ما يؤكد صحة التعدادات المباشرة.

إذن فإن أي همس للتشكيك في صحة هذه الأرقام هو في الحقيقة فحيح يرمي إلى بث السموم ولا يستهدف إحقاقا لحق أو تصويبا لخطأ.

ليس الصوت الأعلى نبرة تمنح صاحبه حقوقا ليست له، وليست هذه النغمة التي نسمعها اليوم جديدة وليست هذه الحملة غريبة ولكنها تبرز كلما وجدت الوقود لها ولنرجع إلى الماضي غير البعيد ولنحتكم إلى أصوات لا يتهم أصحابها بالتواطؤ أو المحاباة.. يوضح اللورد كرومر في مؤلفه (مصر الحديثة) الروح المتعصبة لبعض الأقباط المتطرفين (مجلد ٢ فصل ٣٦ الطبعة الإنجليزية) بقوله: -

(إن مبادئ الحيدة الدقيقة التي طبقها البريطاني كانت غريبة عن طبيعة القبطي وعندما بدا الاحتلال البريطاني أخذت تساور عقله آمال معينة فكان القبطي يقول لنفسه: إنني مسيحي والإنجليز مسيحيون فلو كان الأمر بيدي لكنت تعصبت للمسيحيين على حساب المسلمين.. وكان يقول لنفسه ولما كان للإنجليز السلطة فإنه من المؤكد أنهم سوف يحابون المسيحيين على حساب المسلمين.. هذا هو الخطأ

المحزن الذي يلام هؤلاء الأقباط عليه ، ولما اكتشف القبطي أن هذا الأسلوب في التفكير عقيم وأن سلوك الإنجليزي مرجعه مبادئ لم يضعها القبطي في اعتباره ويعجز عن فهمها تملكه إحساس بالفشل عمق ضغينته.. لقد كان يرى أن تطبيق العدالة بالنسبة للمسلمين يعني الظلم له وكان يعتقد ولو بطريقة غير شعورية بأن الظلم وعدم محاباة الأقباط ألفاظ مترادفة) انتهى.

يواصل الدكتور محمد مورو شهادته:

... نستمع إلى بريطاني آخر لا يتهم كذلك بالمحاباة وهو السير ألدون جورست المعتمد البريطاني ودعنا نقلب تقريره المرفوع إلى حكومته بتاريخ ١٠ مايو ١٩١١ والذي يلقى الضوء على محاولات بعض المتطرفين الأقباط إثارة الخواطر بدعوى أن الأقباط في مصر لا يتمتعون بنفس الحقوق التي يتمتع بها المواطنون المسلمون قال ما ترجمته:

إن المسلمين يؤلفون ٩٢ ٪ من مجموع السكان ويمثل الأقباط أكثر قليلا من ٦ ٪ (٢٠٠ ألف) وإن هذه الأقلية القبطية موزعة توزيعا غير متساو بين أنحاء البلاد فهم يمثلون أقل من ٢ ٪ من السكان في ٣٠ مركزًا إداريًا بين ٤٠ مركزًابالوجه البحري بينما ترتفع نسبتهم إلى ٢٠ ٪ في ٩ مراكز فقط من ٣٧ في الصعيد..

***

يؤكد الدكتور محمد عمارة نفس الأرقام في كتابه: «في المسألة القبطية: حقائق وأوهام- دار الشروق». ويضيف قائلا: وعلى هذا الدرب- الكذب في الأرقام والإحصاءات- سار سعد الدين إبراهيم وغيره حتى رأيناهم يبلغون بعدد أقباط مصر إلى سبعة ملايين، وأحيانا عشرة، وأحيانا خمسة عشر مليونا!!، يحدث ذلك في بلد يقوم بإحصاء رسمي ودقيق ومحايد لعدد السكان وديانتهم وطبقاتهم وتخصصاتهم كل عشر سنوات، ويحدث ذلك في مصر منذ الاستعمار الإنجليزي

حتى الآن، وهذه الإحصاءات تعلن الثبات التقريبي لنسبة الأقباط إلى المسلمين، منذ أن كان القائم على التعداد الإنجليز والموظفون الأقباط وحتى آخر تعداد، ففيما بين ١٩٠٧ م و ١٩٣٧م كانت نسبة النصارى- كل النصارى- إلى المسلمين أعلى قليلا من ٨٪، ثم هبطت في تعداد ١٩٤٧ م إلى ٩ , ٧٪، ثم أخذت- بسبب ارتفاع أعداد المهاجرين الأقباط، وهجرة من هاجر من الأجانب مع جلاء جيش الاحتلال- في الهبوط، فكانت في سنة ١٩٦٥ م ٣ , ٧ ٪، وفى إحصاء ١٩٨٦ م ٩ , ٥٪، أي أن تعداد الأقباط - في ذلك الإحصاء- أقل من ثلاثة ملايين، وليس عشرة ملايين، أو خمسة عشر مليونا؟ !، والذي يقر هذه الحقيقة، ويؤكد على صدق الإحصاءات الرسمية، ليس كاتبا إسلاميا، وليس مرجعا كتبه مسلم، وإنما هو مرجع في المعلومات والإحصاءات كتبه اثنان من النصارى، أحدهما فرنسي- هو فيليب فارج- رئيس المركز الفرنسي بمصر- والثاني لبناني- هو رفيق البستاني- ففي هذا المصدر (أطلس معلومات العالم العربي: المجتمع والجغرافيا السياسية)- والذي نشرته دار نشر قومية- وليست إسلامية- هي «دار المستقبل العربي! سنة ١٩٩٤م». في هذا المصدر الحجة، نقرأ تحت عنوان (أقباط مصر) ما يؤيد ما سبق.

«ويصرخ الدكتور عمارة مفسرا تناقص أعداد المسيحيين:

الحقيقة أن أقباط مصر، شأنهم في ذلك شأن مسيحيي الشرق الآخرين، سبقوا المسلمين إلى تخفيض عدد المواليد، ولذلك قد هبطت نسبة عدد الأقباط بالنسبة للعدد الكلى للسكان من ٣ , ٧٪ في سنة ١٩٦٠ م إلى ٩ , ٥٪ في عام ١٩٨٦ ». تلك هي الحقيقة، كما أعلنها العلماء المحايدون، المتدينون بالنصرانية، من غير المصريين!!

لكن الهدف- من الكذب الفاجر- هو «تضخيم الورقة»، التي تتحول!- بالكذب أيضا- إلى عقبة أمام الهوية الإسلامية للدولة والمجتمع والدستور والقانون!!.

***

يؤكد المستشار طارق البشري ما سبق ، ويضيف إليه في كتابه «الجماعة الوطنية: دار الهلال- أبريل ٢٠٠٥»فيقول:

واطرد التعداد كل عشر سنوات ، فجاء تعداد سنة ١٩٧٦ باجمالى عدد السكان نحو ستة وثلاثين مليونا وستمائة وستٍ وعشرين ألف نسمة ، المسلمون منهم نحو أربعة وثلاثين مليونا وثلاثمائة وأربعين نسمة بنسبة حوالي ٧ , ٩٣٪ من الإجمالي والمسيحيون عددهم حوالي مليونين ومائتين وخمس وثمانين ألف نسمة بنسبة ٢٤ , ٦٪ من السكان. وفى تعداد سنة ١٩٨٦ بلغ العدد الإجمالي للسكان نحو ثمانية وأربعين مليونا ومائتين وأربع وخمسين ألف نسمة ، المسلمون منهم يبلغون نحو خمسة وأربعين مليونا ومائتي ألف نسمة بنسبة لا تقل عن ٩٤٪ من السكان ، والمسيحيون عددهم لا يجاوز ثلاثة ملايين نسمة بنسبة لا تجاوز ٦٪ من سكان ، وفى تعداد سنة ١٩٩٦ بلغ الإجمالي العام نحو تسعة وخمسين مليونا وثلاثمائة وثلاثة عشر ألف نسمة ، بنسب مسلمين وأقباط مشابهة ، ورأت الحكومة عدم إذاعته لئلا يتكرر اللغط في هذا الشأن مثلما حدث في سنة ١٩٧٦ عندما نشرت نتائج تعداد سنة ١٩٧٦ مبينا أن عدد الأقباط في مصر لا يجاوز ٢ , ٣ مليون نسمة بنسبة لا تجاوز ٢٤ , ٦٪ من الإجمالي ، وقد أثار بعض من أقباط المهجر القاطنين في الغرب ، وفى الولايات المتحدة الأمريكية بخاصة ، هذا الأمر مثيرين الشكوك حول صوابه ، وانعكس ذلك في الصحف الغربية وفي استقبالات الرئيس السادات في زياراته للولايات المتحدة ، وأثير الموضوع في مجلس الشعب ، فتشكلت لجنة لتقصى الحقائق بالمجلس لدراسة نتائج التعداد ومناقشة المسئولين عن إعداده في الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء، وكان ذلك في عدة جلسات أهمها الاجتماع الثالث التي انعقد في ١٥ يونيه سنة ١٩٨٠ برئاسة وكيل مجلس الشعب السيد محمد رشوان محمود، وكان أعضاء اللجنة وهم من أعضاء مجلس الشعب هم الأساتذة مختار هاني ووجيه

لورانس ود. حلمي الحديدي ونشأت كامل برسوم. وحضر الاجتماع الفريق جمال عسكر رئيس الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء، وذكر رئيس الجهاز المركزي في شروحه لعملية التعداد أن من اشترك في عملية التعداد كانوا حوالي ٧٠ ألف فرد وظهرت نتائجه في ٨١ مجلدًا، وشرح مراحل التدريب للعاملين بالتعداد وإجراءات العملية، وإن البيانات تتحول إلى أرقام رمزية ويجرى التعامل بهذه ا لأرقام، وأن إحدى استمارات التعداد تبين منها أن شخصا مسيحي وأن زوجته مسلمة فبقى البيان كما هو، وإن مسيحيين كثيرين اشتركوا في عملية التعداد ومنهم وكيل وزارة هو السيد/ موريس حنا غبريال كان هو المسئول تقريبا عن تعداد الوجه البحري كله. كما ذكر أن نسب المسلمين والمسيحيين في التعداد لم تتغير على مدى ثمانين سنة، وبيانات المسيحيين تشمل كل الطوائف المسيحية بما فيها الأجانب، وأن نسبة المسيحيين كانت في تعدادي ١٨٩٧ و ١٩٠٧ كانت في حدود ٦,٣٪، ثم ارتفعت في التعدادات الثلاث التالية (١٩١٧، ١٩٢٧، ١٩٣٧) إلى أكثر من ٨٪ نتيجة ضم جيش الاحتلال الإنجليزي بما يشمله من أسر إلى المسيحيين، وبقى الأمر كذلك تقريبا في تعداد ١٩٤٧ بسبب انتشار قوات الاحتلال الإنجليزي في أنحاء مصر وما يتبع ذلك من تواجد أسرهم، فضلا عن التبعيات الأجنبية المختلفة ذات الديانة المسيحية في غالبها، وكان ثمة مجموعات من الأجانب المسيحيين الذين أقاموا في مصر لمدد طويلة ثم تمصروا بعد إلغاء الحماية على مصر في سنة ١٩٢٢ وإلغاء المحاكم المختلطة. وذكر أنه كما أن الزيادة في نسبة الأقباط من ٦,٣٪ إلى ما يجاوز ٨٪ لم يكن نتيجة نمو طبيعي إنما يرجع إلى الهجرة إلى مصر قبل الحرب العالمية الأولى وأثناءها، فكذلك فإن الانخفاض النسبي في نسبة الأجانب من سنة ١٩٦٠ يعكس هجرة الأجانب والمتمصرين من مصر بعد ثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢ ومع تصفية كثير منهم أعمالهم في مصر، وبخاصة بعد حرب سنة ١٩٥٦ ومع قرارات

التأميم التي صدرت منذ عام ١٩٦١، ثم الهجرة المسيحية شبه المنظمة إلى الخارج بعد حرب ١٩٦٧ للاستيطان في الولايات المتحدة وكندا وأستراليا ». وذكر في حديثه أيضا أمام اللجنة أن جميع التعدادات المصرية التي أجريت قبل سنة ١٩٤٧ كان أشرف عليها خبراء إنجليز وفرنسيين، وإن مدير الإحصاء في تعداد ١٩٠٧ كان فرنسيا ، ومدير الإحصاء في ١٩١٧ كان إنجليزيا ، وهو الذي أشرف على تعدادي ١٩٢٧ و ١٩٣٧ ويدعى مستر كريج ، وأن رئيس الإحصاء آنذاك كان حنين بك حنين ، وهو قبطي مصري ، ثم قدم إلى لجنة تقصى الحقائق بيانا بالإخوة المسيحيين الذين اشتركوا في التعداد (يقصد تعداد ١٩٧٦ لم سواء في اللجنة التحضيرية أو في التنفيذ الميداني ، أو في التعداد التجريبي والمراجعة وأعمال الإدارة ، وذكر أن نسبة المسيحيين إلى المسلمين تكاد تكون واحدة ، ذلك لأن نسبة نمو السكان واحدة ، سواء لدى المسلمين أو لدى المسيحي. ثم ذكر أن وصله خطاب سب من شوقي فلتاؤس كراس المقيم في الولايات المتحدة يتهمه فيه بتزوير البيانات ويطلب محاكمته ، وأنه رد عليه بما يوضح نسبة تسلسل السكان المسيحيين إلى المسلمين على مدى مائة سنة(...) .

وكان ممن عقبوا على هذا حديث السيد روجيه لورانس عضو لجنة تقصى الحقائق الذي ذكر: «أنه خلال السنوات العشر السابقة على التعداد الأخير ، لاشك أن هناك أعدادا مهولة من الشبان الأقباط قد هاجروا وأقاموا في بلدان أخرى كأمريكا وأستراليا».

***

من حقي إذا بعد هذا الاستعراض المفصل لأعداد الأقباط في مصر أن أسأل بني قومنا النصارى الذين أوصانا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أي تمثيل نسبي و أي حقوق؟ .

إنهم يحصلون بالفعل على أكثر من حقوقهم بكثير في بحر من سماحة إسلامية بلا حدود.

أم أنهم يستقوون بالأجنبي ليحصلوا على باقي حقوق المسلمين.

و إلى أي مدى يبلغ هذا الاستقواء.

هل يبلغ إلى مدى الاستعمار الكامل لمصر.

ويجب أن نعترف أنهم حصلوا في عهود الاستعمار على مزايا تتجاوز عددهم بصورة ظالمة، فهل يحن بعضهم إلى أيام الاستعمار؟ .

أي تمثيل نسبي و أي حقوق إذن؟ .

النسب السابقة لم نوردها نحن ولم ندَّعِها، لقد سجلها المندوب السامي البريطاني ووجهها إلى حكومته في عام ١٩١١ وهو مسيحي وليس مسلما!!.

وعلينا أن نلاحظ هنا أن الأقباط الذين كانوا وما يزالون يتمتعون بنسبة من الثروة والوظائف والمهن تفوق عشرة أضعاف نسبتهم العددية ، لم يقنعوا بهذا ، إنهم يريدون أكثر، لكن إلى أي حد؟ !، لم يقولوا حينها ولكن بعضهم يقولونها الآن: يريدون كل شيء!! إلى حد طرد المسلمين من مصر!! لأن المسلمين أتباع دين بدوي وافد!!، وكأنما الأديان محلية، وكأنما عبد الله المسيح عيسى ابن مريم قد أرسل إلى مصر، ولماذا هم مسيحيون إذن وقد أرسل عبد الله سيدنا عيسى في فلسطين؟ ! لماذا والمسيحية دين وافد أيضا.. لماذا يمارسون الإسقاط والاستهانة برعي الغنم وبالبدو وهم يقصدون بذلك العرب والصحابة عليهم رضوان الله وسلامه؟ ألم يرع كل الأنبياء الغنم حتى اعتبر رعي الغنم من خصائص وعلامات النبوة؟ في كلمة واحدة لعبدة الشيطان : ألم يرع عبدا الله موسى وعيسى عليهما السلام الغنم؟ ؟ .

***

من حقي أن أسأل بني قومنا النصارى الذين أوصانا بهم رسول الله صلى الله

عليه وسلم:

أي تمثيل نسبي و أي حقوق؟ .

ينقل الدكتور محمد عمارة عن كتاب «آدم متز»: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري«ترجمة د. محمد عبد الهادي أبو ريدة. ط بيروت-٦٧:

لقد درس المستشرق الألماني الحجة «آدم متز»(١٨٦٩-١٩١٧ م) تاريخ المجتمعات الإسلامية، ورأى كيف كانت الدولة وأجهزتها الحساسة في أيدي الأقليات النصرانية، فكتب يقول:

لقد كان النصارى هم الذين يحكمون بلاد الإسلام.

***

أي تمثيل نسبي و أي حقوق؟ .

يواصل د عمارة أن الأرقام- التي لا تكذب ولا تجامل- تعلن أن الأقلية القبطية- التي لا تتعدى الثلاثة ملايين- (وقت نشر كتابه) هي الحاكمة الفعلية في المجتمع المصري- الذي يزيد تعداده على الستين مليونا!!- فهم يملكون ويمثلون: ٢٢,٥٪ من الشركات التي تأسست بين عامي ١٩٧٤ م و ١٩٩٥ م !.

- و ٢٠٪ من شركات المقاولات في مصر.
- و ٥٠٪ من المكاتب الاستشارية.
- و ٦٠٪ من الصيدليات.
- و ٤٥٪ من العيادات الطبية الخاصة.
- و٣٥٪ من عضوية غرفة التجارة الأمريكية، وغرفة التجارة الألمانية.
- و ٦٠٪ من عضوية غرفة التجارة الفرنسية (منتدى رجال الأعمال المصريين والفرنسيين.
- و ٢٠٪ من رجال الأعمال المصريين.

- و ٢٠٪ من وظائف المديرين بقطاعات النشاط الاقتصادي بمصر،
- وأكثر من ٢٠٪ من المستثمرين في مدينتي السادات والعاشر من رمضان.
- و ٩، ١٥٪ من وظائف وزارة المالية المصرية.
- و ٢٥٪ من المهن الممتازة والمتميزة- الصيادلة والأطباء والمهندسين والمحامين، والبيطريين.

أي أن ٩,٥٪ من سكان مصر- الأقباط- يملكون ما يتراوح بين ٣٥٪ و ٤٠٪ من ثروة مصر وامتيازاتها ؟ !.

الدكتور محمد عمارة لم يؤلف هذه النسب، بل لقد استقاها من مصادر بعضها أكثر نصرانية من النصارى، كروز اليوسف، نعم، كل الإحصائيات السابقة منقولة عن: تقرير «روزاليوسف) واتحاد المهن الطبية، و«اتحاد المقاولين»و«مجلة المختار الإسلامي»عدد ١٥ ربيع الأول سنة ١٤١٩ هـ- يوليو سنة ١٩٩٨ م. وجمال بدوى (الفتنة الطائفية) ص ١١٦ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٢ م،

فأي تمثيل نسبي و أي حقوق؟ .

***

ترى كم هي نسبة الأقباط في الأمية وفي سكنى المقابر وفي البطالة وفي المعتقلات وفي المقتولين من التعذيب؟ ؟ وكم نسبتهم في الجامعات، كم نسبتهم في أصحاب البلايين وكم نسبتهم في أصحاب الملايين.

كم نسبتهم،

كم نسبة الكنائس إلى عدد السكان؟ و أيها أكثر.؟

نسبة الكنائس أو نسبة المساجد؟ ؟ ولماذا لم يتطرق الأقباط إلى هذه التساؤلات قط.

كم نسبتهم.

ثم أن المسلمين سيطالبون حكوماتهم الفاسدة الفاسقة العاجزة العميلة، بمساواة المساجد بالكنائس، وجعلها قلاعا لا يعرف أحد ماذا يجري فيها، وبتمكين كل مسجد من إنشاء فرقته المسرحية و إصدار صحيفته!!، بل قد يفكر البعض بأن العدل يقتضي باعتماد نسبة المسيحيين التي يقولونها هم بألسنتهم، ليكون لهم في المعتقلات دون محاكمة ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف، و أن يعدم منهم – بأحكام عسكرية – عشرون أو ثلاثون، و أن ينكل بهم ويعذبوا كما ينكل بالمسلمين!!.أو بأن تفتح الكنائس قبل الصلاة بخمس دقائق وتغلق بعدها بخمس دقائق، تحت رعاية مباحث أمن الشيطان.

أما عن تمثيلهم في المجالس النيابية فلماذا لا يعرضون أنفسهم على الناس؟ لماذا لا يتقدمون للترشيح؟ لماذا يقتصر جهدهم على لطم الخدود وشق الجيوب لأن الحزب الوطني لا يرشحهم على قوائمه، والحزب الوطني لا يرشحهم لأنهم انفصلوا عن الناس، وسوف يفقد الحزب المقعد الذي يرشحهم عليه، كما أنهم يعلمون أن نواب الحزب ينجحون في الأغلب الأعم بالتزوير. لقد كان نواب الأقباط ينجحون بأصوات المسلمين عندما كانوا يدافعون عن الأمة والوطن والشرف والكرامة، بل وعن المسيحية الأرثوذكسية أيضا، لكن، بعد أن انضموا إلى أمريكا و إسرائيل، بعد أن خرجوا على إجماع الأمة وخانوها في لحظة حرجة من لحظات التاريخ لن تنسى لهم أبدا، و أظن الوقت الذي سيبدؤون دفع الثمن فيها قد اقترب إن لم يكن قد بدأ بالفعل.

نعم، بعد هذا كله أصبح من الصعب جدا إن لم يكن من المستحيل أن يحصلوا على أصوات المسلمين، بل ولا على أصوات المسيحيين الشرفاء أيضا.

***

إن المسلمين يسجنون ويطاردون ويعتقلون ويعذبون ويقتلون في أمريكا لمجرد

أنهم مسلمون، فهل عانى المسيحيون طيلة عهود الدولة الإسلامية مثل ذلك؟ !.

***

كنت أراقب بعض الوجوه على شاشة التلفاز تتحدث، أعترف أن بعضها كان من روز اليوسف، وبعضها من حزب التجمع وبعضها من الحزب الوطني، أما البعض الآخر فهو وجه النخبة العلمانية من أدعياء الثقافة. كنت أراقب الوجوه جزعا فزعا، قلت لنفسي : ليس لهم من البشر إلا الإهاب، كل شيء فيهم لم يتعفن ويتنتن فقط بل قد ذوى وتلاشى أيضا، إنهم كتلك الحيوانات المحنطة التي تحنط بإتقان شديد، حيث يفرغ داخلها كله وتحشى بالقش، نعم، لا روح ولا عقل ولا قلب، فقط القش، لا شيء له قيمه، فقط القش، كنت أتأمل الوجوه في فزع وخلاياي تصرخ: شاهت الوجوه، شاهت الوجوه، شاهت الوجوه وانعدمت الضمائر، كانوا بلا روح وكانت رائحة عفنهم تتسلل عبر شاشة التلفاز إليّ، كنت أعرف أن صفقة كهذه لا يمكن أن تتم إلا بمباركة الشيطان وتوجيهاته ورعايته، الشيطان أصلا لا فرعا وحقا لا مجازا، كنت أستعيد بعض قصيدة لأمل دنقل:

تُرى، حين أفقأ عينيك و أضع جوهرتين مكانهما.

تُرى، هل تَرى.

هي أشياء لا تُشترى.

قلت لنفسي، بل لم تكونا جوهرتين، كانا كيسين من القش.

***

الأقباط جزء من نسيج الشعب المصري، ليسوا أكفأ أو أكسل، ولا هم أذكى ولا أغبى، وكان الوضع الطبيعي أن يتمتعوا بنسب من الثروة والأعباء تتناسب مع عددهم، ولكن الاستعمار الصليبي خلق هذا الخلل الشديد وجعلهم يتمتعون بعشرة أمثال نسبتهم العددية لخلق وضع غير قابل للاستمرار، لزرع شحنة قابلة

للانفجار في أي وقت، لكن سماحة الإسلام والمسلمين تغاضت عن هذا كله، دون أي محاولة لتغيير الوضع أو إزالة الظلم الواقع عليهم من واقع مقلوب، ولم يحاولوا تغييره ولا حتى بالانحياز الاقتصادي لإخوانهم من المسلمين أو مقاطعة الأقباط.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ .

إن نسبة الكنائس إلى السكان أعلى من نسبة المساجد، فحسب التقرير الاستراتيجي للأهرام لسنة ١٩٩٩ ، فإن هناك كنيسة لكل سبعة عشر ألف قبطي ، بالمقابل هناك مسجد لكل ثمانية عشر مسلم.

ويعلق الدكتور عمارة على ذلك قائلا: إذا كانت نسبة الكنائس لعدد النصارى تكاد أن تساوى نسبة المساجد لعدد المسلمين. فإن الواقع يقول: إن الكنائس مفتوحة على مدار النهار والليل، والمساجد تغلق عقب الصلاة، ومنبر الكنيسة حر كل الحرية، ومنبر المسجد مؤمم، لا يرقاه إلا من ترضاه وترضى آراؤه «الأجهزة»!، والشباب القبطي المتدين ينام في بيته آمنا، ونظيره المسلم يعيش في رعب قوائم «الاشتباه »!، وأروقة الكنائس مفتوحة أمام التبتل النصراني- وحتى الرهبنة- بينما الشاب المسلم إذا أراد الاعتكاف بالمسجد في رمضان، لا يتاح له ذلك إلا إذا تقدم بصورة البطاقة إلى «الأجهزة»، التي تضعه- فورا- في القوائم المرشحة لما يعرفه الجميع!!، وأوقاف الكنائس قائمة، وفى نمو- وهى تحفظ لها استقلال الموقف والتوجه والقرار-، بينما أوقاف المساجد والأزهر ومؤسسات الخير الإسلامية، قد أممت، واغتالتها البيروقراطية الحكومية، واغتالت معها حرية هذه المؤسسات في التوجه والقرار!!.

***

أي تمثيل نسبي و أي حقوق؟ .

والمسلمون يتمنون المساواة بالأقباط على كافة المستويات.

أما الأمل في أن تتساوى الأقليات الإسلامية في العالم بمثل ما تتمتع به الأقلية القبطية في مصر فيبدا مستحيلا.

***

من حقي أن أسأل بني وطننا من النصارى الذين أوصانا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أي تمثيل نسبي و أي حقوق؟ .

أسألهم جميعا و على رأسهم البابا.

أستثني من السؤال فقط الفجرة من نشطاء المهجر وهم ليسوا أقباطا بل مجرمين وعملاء وجواسيس وهم مستعدون للقدوم على ظهر الدبابات الأمريكية لينكلوا بالشعب كله مسلمين و أقباط.

أسأل أي حقوق.

أسألهم.

أسأل البابا شنودة أي حقوق مهضومة لهم و أي مظالم مدعاة تقع عليهم، وليذكر لي البابا. أو أي واحد من الأقباط أقلية مدللة كما يدلل الأقباط في مصر.

بل هاتوا لي أقلية مسلمة تتمتع بمعشار ما يتمتع به الأقباط في مصر.

هل يتمتع المسلمون في الهند أو الصين أو حتى أوروبا و أمريكا بما يتمتع به الأقباط في مصر؟

يبلغ عدد المسلمين في الهند مائة مليون (١٥٪ من السكان) يذبحون ويحرقون أو يغرقون أحياء وينكل بهم أيما تنكيل.

وفي الصين يبلغ عدد المسلمين ١٢٠ مليونا (١١٪ من السكان) وقبل أن يتشكك القارئ في العدد الهائل عليه الرجوع إلى كتاب نشره كتاب اليوم (أكتوبر

٢٠٠٥) بعنوان «المسلمون في الصين». وسلسلة كتاب اليوم هذه ليست تابعة لطالبان ولا للشيخ المجاهد أسامة بن لادن ﷺ بل لمؤسسة أخبار اليوم، وهي مؤسسة نبتت في البداية في رحم الأمريكيين، ولم تثر حولها طيلة تاريخها أية شبهة للتعاطف مع الإسلام أو المسلمين.

ينال المسلمون في الصين حقهم الكامل من السحق والتذويب رغم أن نسبة عددهم تصل إلى ضعف نسبة عدد الأقباط في مصر.

وفي روسيا حوالي أربعين مليونا من المسلمين (٢٠٪ من السكان) ينكل بهم منذ ثلاثة قرون على الأقل، سحقوا وحرموا من ممارسة أي شعيرة من شعائر دينهم وكان القتل نصيب من يكتشفون أنه ما يزال مسلما، نعم، عانى المسلمون في روسيا من شتى صنوف التعذيب والاضطهاد ومنعوا من إقامة الصلاة والصيام والحج والزكاة حتى الكتب الدينية والمصاحف لم تسلم من الروس فمنعوا طباعتها، وتم إنشاء مدارس لتلقين أصول الإلحاد وخلق جيل إسلامي لا يعرف عن الدين شيئا وانتشرت الكتب والمجلات التي تشوه صورة الإسلام والمسلمين.

وعندما حاولت أذربيجان المسلمة الاستقلال تعرضت لحرب صليبية حتى يخبو صوتها، وفي الشيشان تعرض أهلها لشتى أفانين البطش والتعذيب فكان يتم نقل الأهالي في عربات الماشية ويتم إلقاؤهم بمجاهل الصحراء وتعرضوا لشتى أنواع التعذيب والتصفية الجسدية وتم طرد المسلمين من منازلهم وضياعهم واستولوا على ممتلكاتهم.

***

نعم، كان عدد المسلمين داخل ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي أربعين مليونا، ويلاحظ أن عدد الولايات أو الأقاليم ستة عشر، منها ستة أقاليم يمثل المسلمون فيها أكثرية تبلغ في بعضها ٩٥٪ وبالطبع تلاشت هذه الأكثرية وتحولت إلى أقلية؛

فألغيت المحاكم الشرعية في المناطق الإسلامية عام ١٩٢٦م، ومنعت الأنشطة الإدارية الدينية، واشتدت حملات الإرهاب الشرسة ضد المسلمين فاعتقل ابتداء من عام ١٩٢٨م أكثر من مليون ونصف المليون من المسلمين، وفي عام ١٩٢٩م أغلقوا وهدموا أكثر من عشرة آلاف مسجد، وأكثر من أربعة عشر ألف من المدارس الإسلامية. واتبعت الشيوعية أساليب ترجو من ورائها إذابة المسلمين وتمييع كيانهم، وكان لمحنة الأقليات المسلمة في الاتحاد السوفيتي أبعاد ذات خطورة لا يتصورها عقل بشري وخاصة ونحن في القرن العشرين; حيث هيئة الأمم المتحدة، ومجلس الأمن ومحكمة العدل الدولية، ولجنة حقوق الإنسان والقانون الدولي العام.

وفي بلغاريا يتم إجبار المسلمين على تغيير أسمائهم.

دعنا من أسبانيا، فلم يعد فيها أية أقلية مسلمة، أبيد الجميع أو طردوا بعد أن سُرقوا ونكل بهم.

وفي كل من بورما و الفليبين يبلغ عدد المسلمين ٦٪ وفي الغابون ٥٪ وفي جبل طارق ٨٪ وفي رواندا ١٤٪ وفي رومانيا ٢٠٪ وفي فرنسا ٧٪ وفي الفليبين ١٤٪ وفي زامبيا ١٥٪ وفي زيمبابوي ١٥٪وفي الولايات المتحدة الأمريكية ٥ , ٣٪ (حوالي عشرة ملايين) وفي ليسوتو ١٠٪ وفي فيجي ١١٪ وفي بنما ٤٪ وفي غويانا ١٥٪ وفي يوغسلافيا (صربيا) ١٩٪ وفي سيريلانكا ٩٪ وفي منغوليا ٦ , ٥٪ وفي بتسوانا ٥٪ وفي السويد ٦ , ٣٪ وفي سويسرا ٥ , ٤٪ وفي ناميبيا ٥٪ وفي نيبال ٤٪ وفي النمسا ٥٪ وفي النيجر وفي ترينداد وتوباغو ١٢٪ وفي جورجيا ١١٪ وفي أنجولا ٢٥٪ وفي إندونيسيا ٨٨٪ وفي أوزبكستان ٨٨٪ وفي أوغندا ٣٦٪ وفي إيران ٩٩٪ وفي باكستان ٩٧٪ وفي البحرين ١٠٠٪ وفي الإمارات ٩٦٪ وفي أثيوبيا ٦٥٪ وفي إريتريا ٨٠٪ وفي أفغانستان ٩٩٪ وفي جمهورية أفريقيا الوسطى ٥٥٪وفي ألبانيا

٨٠٪ وفي بروناي ٦٧٪ وفي بريطانيا ١ , ٥٪ وفي بلجيكا ٤٪ وفي بلغاريا ٣٥٪ وفي بنجلاديش ٨٣٪ وفي بينين ٢٠٪ وفي بوركينوفاسو ٥٠٪وفي بوروندي ٢٠٪ وفي البوسنة والهرسك ٤٣٪ وفي تركمانستان ٨٧٪ وفي تركيا ٨ , ٩٩٪ وفي تشاد ٦٥٪ وفي تنزانيا ٦٥٪ وفي توغو ٥٥٪ وفي تونس ٩٨٪ وفي الجزائر ٩٩٪ وجزر القمر ٩٨٪ وفي جيبوتي ٩٤٪ وفي ساحل العاج ٦٠٪ وفي السعودية ١٠٠٪ وفي سنغافورة ٢٥٪ وفي السنغال ٩٥٪ وفي سوازيلاند ١٠٪ وفي السودان ٨٥٪ وفي سوريا ٩٠٪ وفي سورينام ٢٥٪ وفي سيراليون ٦٥٪ وفي الصحراء الغربية ١٠٠٪ وفي الصومال ١٠٠٪ وفي طاجكستان ٨٥٪ وفي عمان ١٠٠٪ وفي العراق ٩٧٪ وفي غامبيا ٩٠٪ وفي غانا ٣٠٪ وفي غينيا ٩٥٪ وفي غينيا الاستوائية ٢٥٪ وفي غينيا بيساو ٧٠٪ وفي فلسطين المحتلة قبل ٦٧: ١٢٪ وفي غزة والضفة ٨٥٪ وفي قازاقستان ٥١٪ وفي قبرص ٣٣٪ وفي قرقزستان ٧٦٪ وفي قطر ١٠٠٪ وفي الكونغو ١٥٪ وفي الكويت ٨٩٪ وفي الكاميرون ٥٥٪ وفي كينيا ٥ , ٢٩٪ وفي لبنان ٧٠٪ وفي ليبيريا ٣٠٪ وفي ليبيا ١٠٠٪ وفي مالطا ١٤٪ وفي المالديف ١٠٠٪ وفي مالي ٩٠٪ وفي ماليزيا ٥٢٪ وفي المجر ٦٪ وفي مدغشقر ٢٠٪ وفي مصر ٩٤٪ وفي المغرب ٩٩٪ وفي مقدونيا ٤٠٪ وفي ملاوي ٣٥٪ وفي موريتانيا ١٠٠٪ وفي موريشيوس ٢٠٪ وفي موزمبيق ٢٩٪ وفي نيجيريا ٧٥٪ وفي اليمن ٩٩٪. (بتلخيص شديد وتصرف عن: جمعان بن عبدالله الغامدي).

أسأل البابا شنودة و أي قبطي مصري هل يتمتع المسلمون في أي من هذه البلاد بما يتمتع به الأقباط في مصر،

بل لقد بلغ الأمر أن هناك بلادا كالحبشة يصل تعداد المسلمين فيها إلى ٦٥٪ وهم محرومون من حقوقهم السياسية حرماناً كاملاً، لا وزير لهم في الحكم، ولا رجل في منصب حيوي. ولا يدرس لأبنائهم الإسلام في مدارس الدولة التي

يشرف عليها النصارى، ولا يتاح لهم أن يفتحوا مدارس لتعليم أبنائهم القرآن والدين.

وفي فرنسا، قلب الحضارة الغربية، تقوم دعوة متزايدة تنادي بطرد المسلمين من فرنسا، وارتكب أصحاب تلك الدعوة أعمالا وحشية، فألقت بخمسة من المسلمين من قطار «المترو »أحياء، أثناء سير القطار، فقتلوا على التو. وتهاجم مظاهراتهم المسلمين - والنساء المحجبات خاصة - في طرقات باريس، مدينة النور، وإحدى كبريات عواصم «العالم الحر »! هذا والمسلمون في فرنسا هم الأغلبية الثانية بعد النصارى، ويبلغ عددهم خمسة أو ستة ملايين.

ليعطينا البابا شنودة المثل الذي يريدنا أن نحتذيه.

ليختر أي أقلية في هذا العالم المترامي الأطراف ويقول لنا: عاملونا مثل هؤلاء!!.

***

أسأل البابا شنودة ألا يخشى من النار التي يشعلها رعاياه في الداخل والخارج؟ !.

أسأله ألا يخشى أن ينفد صبر المسلمين الذي يبدو فعلا بل حدود.

أسأله ألا يخشى أن رد الفعل لا يكون دائما من علماء يلتزمون بقواعد الشرع، بل ربما يأتي من عامة الناس غضبا لدينهم واحتجاجا على استفزاز مجرم يمارسه مجرمون من الأقلية ضد الأغلبية، ألا يخشى أن قوات الأمن التي حمت الكنائس والأقباط – بمساعدة الأهالي المسلمين – هذه المرة يمكن تحت وطأة الاستفزاز الفاجر أن تنضم إلى الجماهير في المرة القادمة.

هل يتصور مدى المذبحة.

ألا يخشى البابا شنودة على نفسه.

إنني أقرأ المستقبل من كتاب مفتوح كما قرأته في حرب الخليج و أنذرت دون مجيب.

نعم،

أقرأ المستقبل.

مصر الآن ليست الهدف المباشر، و إنما يتم التسخين فيها فقط.

الدور المباشر الآن على سوريا، تتلوها السودان، تتلوها إيران، ثم يأتي دور مصر ليسبق القضاء المبرم على السعودية.

أقرأ المستقبل لا اطلاعا على الغيب ولا تنجيما ولا كهانة و إنما أستعمل عقلا وهبنيه الله فأرى كيف سيتم إشعال الفتنة في مصر.

نعم، سيتم اغتيال اثنين أو ثلاثة لينفجر بعدها طوفان الدم.

سوف يتم اغتيال البابا شنودة، والدكتور يوسف القرضاوي وعمرو خالد، لتبدأ عاصفة الشيطان التي يحملها إلى العالم رسول الشيطان : بوش!!..

لكن يبدو أن البابا شنودة متورط في المشروع الغربي بأكثر مما نظن.

لكن هذا التورط للأسف – وربما العكس!!- ليس دينيا.

كما أن ثقته في هذا المشروع الغربي أكثر مما يجب.

لذلك يلجأ باستمرار إلى التصعيد والصدام، غير مدرك أن نهايته ستكون في موجة من موجات ذلك التصعيد، على يد عميل للموساد أو المخابرات الأمريكية، ثم يتم اتهام مسلم، ويأتي الخنزير ميليس، ويكون البابا قد خدم «شعبه القبطي!!»حيا وميتا، يكون قد خدم شعبه ودمر أمته ووطنه.

***

نعم

يستقوي أقباط المهجر بالعدو، بالأمريكيين و إسرائيل.

ولقد صمد معظم الأقباط المصريين للغواية طيلة التاريخ، ولم يبدأ انهيارهم إلا منذ نهاية الستينيات وبداية السبعينيات، للأسف مع مجيء البابا شنودة. الذي تنكب

عن إعطاء ما لقيصر لقيصر، بل ازدرى قيصر العربي واستهان به وابتزه واستقوى بالرومان عليه حتى أصبح كأنه هو القيصر!!.

قبل الإسلام كان القبط ينظرون إلى المسيحيين الرومان ككفرة. وكان هذا هو السبب في ترحيبهم بالمسلمين عند فتح مصر، واستمر هذا الموقف أثناء الحروب الصليبية، حيث انضم القبط إلى المسلمين في دحر العدو، بل إن الخط الهمايوني الذي لا يكفون عن الصراخ منه والتنديد به وفضحه كان مطلبا ملحا من الأقباط إلى الباب العالي لحمايتهم من الأمريكيين الذين كانوا قد بدؤوا يبنون عشرات الكنائس في صعيد مصر في القرن التاسع عشر (نفس توقيت إنشاء الجامعة الأمريكية في بيروت). ويعلق الأستاذ جمال سلطان في مقال له بمجلة المنار على ذلك بأن الخط الهمايوني إنما تم بطلب ملح ومتكرر من قبط مصر ، وبعد استغاثات للكهنة والوجهاء الأقباط في مصر إلى الباب العالي لحمايتهم من الغزو الكنسي الكاثوليكي والبروتستاني الذي انتشر في مصر انتشار النار في الهشيم في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وأصبحت الكنيسة الأرثوذكسية المصرية مهددة بالانقراض بعد تحول أعداد كبيرة من أتباعها إلى الكاثوليكية والبروتستانتية ، وللمعلومية ما زالت هذه المخاوف تقض مضاجع الكنيسة المصرية وفي خاطرها دائما واقعة الأب دانيال البراموسي الذي انشق عنها ومعه عشرة آلاف قبطي تحولوا جميعا إلى الكاثوليكية، المهم أنه بعد أن بدأت قوات الغزو الأجنبي في تعزيز ودعم بناء الكنائس الأخرى ، استغاث أقباط مصر بالباب العالي وناشدوه وقف بناء مثل هذه الكنائس وحظر البناء أو الترميم إلا وفق شروط مشددة ، فاستجاب الباب العالي بعد إلحاح كبير ، وعندما صدر هذا القرار اعتبرته الكنيسة المصرية عيدا ويوما تاريخيا.

بيد أن الدكتور محمد عمارة يفاجئنا مفاجأتين هامتين في كتابه: «في المسألة القبطية: حقائق و أوهام»دار الشروق القاهرة.

نعم.

يفاجئنا بمفاجأتين خطيرتين: الأولى أن الخط الهمايوني الذي لم يكفوا عن تشويهه والتنديد به كان إصلاحا هائلا نتمنى أن يطبق على الأقليات المسلمة حتى الآن.

أما المفاجأة الثانية فهي أن القانون لم يطبق في مصر على الإطلاق.!!

ويكاد الدكتور محمد عمارة يتفتت من الألم وهو يصرخ:

- اكذب، ثم اكذب، فإنك لابد واجد من يصدقك!!

تلك كانت فلسفة النازية والفاشية في الثقافة والإعلام، ترديد أكاذيب، والإلحاح على عقول الناس بتكرار هذه الأكاذيب، حتى يصدقها الناس، بل وتصبح عندهم من البديهيات والمسلمات!، ولقد كانت تتوارد إلى خاطري هذه المعاني كلما سمعت أو قرأت- بصدد الهجوم على مصر، والتهجم على حكومتها- أن مصر مازالت- بعد نحو قرن من زوال الدولة العثمانية- تطبق على مواطنيها الأقباط قانونا عثمانيا- صدر سنة ١٨٥٦ م- اسمها الخط الهمايوني!، وأن بناء الكنائس في مصر لا يزال إلى الآن محكوما ببنود هذا الخط الهمايوني!، وكان عجبي يتزايد، ليس فقط من الكذب والكاذبين، وإنما من حكومتنا التي تنفق بسخاء على طوابير من المثقفين ومن ترزية القوانين، كيف لا تفكر هذه الحكومة في تحقيق هذا الأمر، لنفى ودحض هذه الأكذوبة، التي غدت سبة في جبينها، يرددها صباح مساء العملاء من أقباط المهجر، والأعداء في دوائر الكونجرس الأمريكي، واللوبي الصهيوني في أمريكا(...) وإذا كان الهدف هو تجلية الحقيقة، لنفى ودفن الأكذوبة، فلنبدأ بتعريف القارئ بمعنى هذا (الخط الهمايوني). إن معنى كلمة الخط هو القانون، ومعنى الهمايوني هو الشريف، «الخط الهمايوني»إذن هو القانون السلطاني الشريف والمعظم. وهذا الخط الهمايوني، هو واحد من القوانين الإصلاحية- التي سميت بالإصلاحات الخيرية- تلك التي أصدرها السلطان عبد المجيد خان

(١٢٥٥ - ١٢٧٧هـ) لإنصاف الأقليات غير الإسلامية من رعايا الدولة العثمانية، وإزالة مظاهر التمييز بينهم وبين المسلمين، وتقرير المساواة بين كل رعايا الدولة، بصرف النظر عن العقيدة الدينية، (...) أي أن هذا الخط الهمايوني، قد صدر ليحقق الإنصاف والإصلاح، سدا لثغرات التدخل الاستعماري في شئون الدولة، تلك الثغرات التي كانت متمثلة في الأقليات ذات الارتباطات والعلاقات المذهبية مع القوى الاستعمارية الكبرى في ذلك التاريخ- القيصرية الروسية، وفرنسا، وإنجلترا، ولقد نص هذا الخط الهمايوني على ضرورة رفع المظالم المالية عن النصارى، سواء تلك التي كانت لحساب جهاز الدولة أو لحساب كبار رجال الدين في طوائف هؤلاء النصارى ففي هذا القانون تقرر رفع المظالم عن كاهل النصارى، وتنظيم الرواتب والمعاشات للرهبان ورجال الدين وتكوين مجالس- بالانتخاب العام- لإدارة شؤون هذه الملل والطوائف غير المسلمة، (...) ولتقرير المساواة بين جميع الرعية، من كل الديانات والمذاهب، في تولى الوظائف العامة بالدولة، والمدارس، المدنية والعسكري(...) وفوق كل ذلك، فتح هذا الخط الهمايوني، الباب لهذه الطوائف والملل كي تنشئ المدارس الخاصة بها، على اختلاف تخصصاتها (...) كذلك نص الخط الهمايوني على كامل المساواة بين المسلمين وغيرهم في الخراج، والخدمة العسكرية، وسائر الحقوق، (.) ولتقرير المساواة بين غير المسلمين والمسلمين في التكاليف المالية والخوارج، وإزالة أي تفرقة أو تمييز بين الرعية في ذلك.(،). أما بناء الكنائس الجديدة، فلقد أباحه الخط الهمايوني، بعد تقديم طلب البناء، والتأكد من ملكية الأرض التي سيتم عليها البناء، وذلك دون رسوم أو تكاليف،

يصرخ الدكتور محمد عمارة أن هذه الإصلاحات قد صدرت قبل قرن ونصف قرن إلا أنها ما زالت تمثل مطالب ومقاصد، بل وأمنيات، للأقليات المسلمة في كثير

من بلاد النور والتنوير والديمقراطية الغربية في القرن الواحد والعشرين!!، لكن الكذبة لا يكتفون بتشويه التاريخ، اعتمادا على الجهل وسوء النية، وإنما ذهبوا إلى حد الزعم بأن مصر لا تزال حتى الآن تطبق على أقباطها هذا الخط الهمايوني، رغم زوال الدولة العثمانية وكل تقنيناتها منذ ثلاثة أرباع القرن، بينما الحقيقة الصارخة والمذهلة تقول: إن هذا الخط الهمايوني لم يكن في يوم من الأيام مطبقا في مصر، حتى عندما كانت مصر ولاية من ولايات الدولة العثمانية!!، فمصر منذ قيام دولة محمد على باشا (١١٨٤-١٢٦٥ هـ ١٧٧٠- ١٨٤٩ م) أي قبل نصف قرن من صدور الخط الهمايوني- قد حققت استقلالها في التشريع والتقنين عن الدولة العثمانية- أي الاستقلال في «العدل والحقانية»، بلغة ذلك التاريخ، وهى قد حققت هذا الاستقلال في الفقه والتشريع والتقنين لكل أبنائها، مسلمين كانوا أو مسيحيين، ولم يكن القانون العثماني حاكما في مصر، لا على المسيحيين ولا على المسلمين، حدث هذا بحكم الأمر الواقع- في الاستقلال- الذي حققته دولة وسلطة محمد على باشا، ثم جرى تقنين هذا الاستقلال التشريعي في اتفاق كوتاهية سنة ١٨٣٣ م، وحتى عندما جاءت معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ م فانتقصت من سيادة مصر واستقلالها، فإنها قد وقفت بذلك الانتقاص عند وضع القيود على قوة مصر العسكرية، وعند تقرير الجزية التي تدفعها مصر للدولة العثمانية، وظلت سيادة مصر واستقلاليتها في المعاملات المالية الخارجية، وفى التقنين والتشريع، ليس حبا من الدول الأوروبية- التي عقدت معاهدة لندن- في استقلال مصر بتلك الميادين، وإنما حرصا على فتح الباب أمام مصر لتستدين من أوروبا، ولتأخذ بالقوانين الأوروبية، دونما عائق عثماني في هذه الميادين.

ويشهد على هذه الحقيقة- حقيقة استقلال مصر في العدل والحقانية والتشريع والتقنين، وأن القانون العثماني، ومنه الخط الهمايوني، لم يكن مطبقا بمصر في يوم من

الأيام، منذ قيام دولة محمد على باشا- أن الإصلاحات التي صدر لأجلها الخط الهمايوني سنة ١٨٥٦ م، قد سبقت إلى تقريرها مصر في عهد الخديوي سعيد (١٢٧٣- ١٢٧٩ هـ ١٨٢٢-١٨٦٣ م) بما سنته من إلغاء للجزية، ومساواة النصارى بالمسلمين في قواعد الجندية سنة ١٨٥٥ م، بل إن القانون العثماني، الخاص بالمسلمين لم يكن هو الآخر مطبقا في مصر- بسبب استقلالها في التشريع والتقنين- حتى أن الدولة العثمانية عندما قننت فقه المذهب الحنفي سنة ١٨٦٩ م، واعتمدت «مجلة الأحكام العدلية» في القضاء العثماني، لم تطبق تشريعات وتقنينات هذه «المجلة» في مصر أيضا، بينما طبقت في سوريا والعراق وغيرهما من الولايات. ويشهد بهذه الحقيقة المهندس سمير مرقص- مدير مركز البحوث بأسقفية الخدمات العامة والاجتماعية بالكنيسة المصرية الأرثوذكسية، كما يشهد بهذه الحقيقة الباحث والمفكر نبيل مرقص في (تقرير الحالة الدينية في مصر) لسنة ١٩٩٥ م- ص ٨٨.

***

فهل رأيتم يا قراء كمّ الافتئات الفاجر رغم أنهم يعرفون الحقيقة لكنهم لا يكفون عن الكذب أبدا، فلا فرق بين أكاذيب نابليون وبوش، ولا كرومر وبلير، ولا أسلحة الدمار الشامل والخط الهمايوني.

كذب فاجر.

كذب مجرم لا يخشى من افتضاح أمره أبدا لأن من كان يمكن أن يخشى من افتضاح أمره أمامهم هو الذي حرضهم.

بل كذب كافر، كما أخبرنا سيد ولد آدم وخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم.

كذب كافر، وكل الكذب كافر.

ذلك أن الله الذي خلق لهذا العالم عقله هو الذي يعطيه معقوليته أيضا، هو الذي

يمنحه موازينه، ومن هذه الموازين قيمة القيم، قيمة الصدق مثلا أو القيمة السلبية للكذب، فالله موجود في العلاقة بين النتائج والأسباب، وبين الغايات والأهداف، والذين لا يؤمنون بالله هم الذين تنمحي عندهم العلاقة بين الغايات والأهداف وبين الأسباب والنتائج، ويصبح لا فرق هناك بين الكذب والصدق، ولا يوجد فائدة لهذا أو ضرر. لذاك إلا بقدر ما يجلبه من فائدة أو يدفعه من ضرر، وسوى ذلك، لا فرق على الإطلاق،

***

بيد أن هذا الكذب الخسيس لا يصارح أبدا بما يريد، إنه يضغط ويضغط ويضغط حتى تنفذ له ما يريد، وهو مختلف تماما عن الأكاذيب التي ابتزك بها.

ألم يحدث هذا في حرب الأفيون مع الصين؟ ألم يحدث في أكاذيب أسلحة الدمار الشامل في العراق، ألا يحدث الآن في قضية مقتل الحريري الذي لا أشك لحظة واحدة في أن الأمريكيين هم الذين قتلوه، أما ضغطهم على سوريا وتهديدهم لها فليس سببه كما يعلنون الرغبة في كشف الحقيقة، فهم أول من يعرف هذه الحقيقة، كان المطلوب من صدام حسين الاعتراف بإسرائيل وكانت أكاذيب أسلحة الدمار وحقوق الإنسان ستتوقف على الفور، والمطلوب اليوم من سوريا أن تبرم الصلح (هو في الواقع استسلام وليس صلحا) مع إسرائيل، و أن تتخلى عن حزب الله، لكن الأهم من ذلك كله أن يدخل الجيش السوري ليواجه المقاومة العراقية كمرتزقة بدون أجر.

دعنا الآن من مستوى الفجور.

لكن هذا هو المطلوب من سوريا والذي لم يعلن أبدا، وسيظل الضغط مستمرا حتى تنفذ المطلوب منها، ورغم أن الموضوع ليس موضوعنا في هذا المقال إلا أنني شديد العطف على بشار الأسد، وشديد الإدانة أيضا لأنه طاغوت كالطواغيت

لكن الزمن لم يتسع له ليتغول كالباقين، طاغوت تأسس نظامه على الكفر، ثم أنني واثق أنه كمبارك وعبد الله وكل الآخرين لو أمنوا رد فعل شعوبهم لأرسلوا جيوشهم لتموت بدلا من الأمريكيين في العراق، و أنهم يفعلون ما هو دون ذلك ولكن سرا، ولا تنسوا الفضيحة التي فجرها مصطفي بكري بتعاقد الأمريكيين مع المسرحين من الجيش المصري. و أذكر القارئ أن القوات السورية دخلت لبنان بطلب أمريكي وكان طبيعيا أن تخرج بطلب أمريكي، غير الطبيعي والذي فات الأوان لتصحيحه هو استسلام سوريا لنزع لبنان منها سنة ١٩٢٠، كانت تلك أولى خطوات التمزيق. راجع: «دمشق من عصور ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية»للكاتب الفرنسي جيرار ديجورج ترجمة محمد رفعت عواد - المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة ويتهم المؤلف بلاده بأنها وضعت بذور النزاع في سوريا منذ عام ١٩٢٠ حين أعلنت قيام دولة لبنان مستغلة النعرة الطائفية الموجودة عند بعض الموارنة كما حاولت ضم السكان في حكم ذاتي محلي وأنشأت دولة حلب ودولة دمشق وجبل العلويين.

ليس هذا موضوعنا إلا من زاوية واحدة، أن المخطط الذي تم به تفتيت الشام، والمخطط الذي يستعمل الآن لتفتيت سوريا ولبنان، هو نفس المخطط الذي يستعمل الآن لتفتيت مصر، والذي يعتبر البابا شنودة أحد أهم الأعمدة فيه، كما تمثل المسرحية الساقطة معولا مما استعمل ويستعمل في هدم بناء كان ذات يوم شامخا.

***

هل لاحظ القارئ نوع الكذب الأمريكي.

إنه وثيق الصلة بالكذب المصري عندما تشهر الدولة بأحد للوصول إلى غرض معين، لاحظوا مثلا التشهير بالمشير أبي غزالة لمنعه من التنافس على الرئاسة،

ولاحظوا أيضا سحق أيمن نور، ولم ينطق أي شيطان من الحزب الوثني بالحقيقة، فقط يستمر الضغط حتى يستسلم الضحية أو يموت.

لكن الأنسب أن أضرب مثلا يجلي الصورة، فالأمر يشبه رئيس عمل قواد فاجر، يراود إحدى موظفاته عن عرضها، وهي تأبى، فيبدأ في إثارة المشاكل والإشاعات حول كفاءتها وذكائها و إتقانها للعمل، ومهما حاولت أن تتقن العمل و أن تتفانى فيه فإن ذلك لن يشفع لها أبدا.

الأمر الوحيد الذي يجعل الهجوم يتوقف هو استسلامها للاغتصاب.

وهذا ما تريده أمريكا من العالم العربي.

وما تريده حكوماتنا العربية من شعوبها.

وهذا هو الأمر الذي يتواطأ فيه البابا شنودة مع أعداء وطنه ضد أهله وقومه.

نعم، إنهم لا ينطقون إلا كذبا.

الكذب يسري في دمائهم، منذ لويس التاسع وحتى كاهن مار جرجس الساقط.

لكن سلامة الرأس كانت تعوض عن أخطاء الجسد لتؤسس نوعا من التوازن.

نعم.

كان التوازن قائما عندما كان توجه رأس الكنيسة المصرية وطنيا، عندما سادت مقولة مكرم عبيد التي ترفضها الآن رأس الكنيسة: أنا قبطي دينا ومسلم وطنا. عندما تغيرت المقولة إلى: أنا قبطي دينا وصليبي وطنا، أو و أمريكي وطنا، عندما حدث ذلك حدث الخلل.

يقول عبد العظيم رمضان في مقال منشور بصحيفة الوفد، وهو ليس شاهد عدل، لكنه في أي قضية سيشهد في صف البابا وليس ضده، ومع الأقباط ضد المسلمين، لكنه بالرغم من ذلك يقول:

ومن المصادفات البحتة أن الكنيسة التي جلس على عرشها البابا شنودة كانت

تختلف عن الكنيسة التي جلس علي عرشها من سبقوه. فمنذ أواسط الخمسينيات، وبسبب ظروف حكم ثورة يوليو التي أشرنا إليها من قبل حدثت هجرة واسعة لعدد من شباب الأقباط الذين خرجوا يحاولون بناء حياة جديدة في الغرب، خصوصا في الولايات المتحدة وكندا وأستراليا. وعندما جاءت قوانين التأميم في يوليو ١٩٦١ لحقت بهذه الموجة موجة أخرى مكونة في هذه المرة من أغنياء الأقباط، الذين ذهبت عائلات بأكملها مع جزء كبير من ثروتها، وجد هؤلاء لأنفسهم موطنا جديدا في سويسرا وفرنسا وغيرها من بلدان أوروبا. وقد كان نتيجة لهذه الهجرات أن أصبح للكنيسة القبطية فروع عبر البحار، تتبع تعاليم الكنيسة الأم، وتبعث إليها بمساعداتها، وتمثل قوة ضغط تستطيع الكنيسة الأم أن تستخدمها في مواجهة السلطة المصرية عند اللزوم! وقد أدرك البابا شنودة الثالث هذا المصدر الجديد من مصادر القوة، فأخذ يركز على كنائس الخارج، ويتوسع فيها، ويرسم لها أساقفة جددا، كما أخذ يوثق علاقات الكنيسة القبطية ببقية الكنائس الكبرى في العالم، وراح يحقق تواجدا دوليا ملحوظا لكرسي مرقص الرسول، بلغ ذروته حين وقع في سنة ١٩٧٣ إعلانا مشتركا مع البابا بول في الفاتيكان، يعربان فيه معا عن اهتمامهما المشترك بتحقيق الوحدة بين كل الكنائس المسيحية.

وفي عهده زاد التوجه السياسي للكنيسة المصرية وتقديم مفهوم جديد للنصرانية على أنها دين ودولة، مستخدماً في ذلك سياسة الانتشار الدولي، والتقارب مع الكنائس الغربية ومؤسساتها لدعم السياسات الداخلية للكنيسة وتحقيق أغراضها، كما أعلن عن تنظيمات جديدة للكنيسة، ودعا إلى تطوير الكلية الأكليريكية وإعادة الكنيسة إلى مكانتها العالمية، فزاد اهتمامه بإنشاء الكنائس في الخارج وعيّن لها الأساقفة، من أجل ذلك تعددت جولاته ولقاءاته. ومن أبرز هذه اللقاءات: لقاؤه ببابا الفاتيكان بولس السادس عام ١٩٧٣م، الذي تمت فيه المصالحة بين الكنيسة

الكاثوليكية الغربية والكنيسة المصرية الأرثوذكسية. وتوقيعه وثيقة رفع الحرج المتبادل بين كنيسته والكنائس الأرثوذكسية الكلدونية وغير الكلدونية في شميزي عام ١٩٩٠م. أيضاً الاتفاق على تحقيق الوحدة بين كل الكنائس النصرانية، وزيارته لرئيس أمريكا كارتر عام ١٩٧٧م والتي كان لها أثرها السياسي والديني لصالح الكنيسة المصرية.

***

من أخطر ما يمكن، أن ننظر إلى الأمور نظرة جزئية منفصلة عن السياق العام، فنكرر قصة العميان والفيل في المأثورة الشعبية (لا أظن أن هناك من لا يعرف القصة لشهرتها، وهي باختصار تتحدث عن أربعة من العميان راحوا يتحسسون فيلا ليصفوه، فقال الذي أمسك ساقه إنه كالشجرة، وقال الذي أمسك خرطومه : إنه كالثعبان الضخم، وقال الذي تحسس بطنه وهو واقف تحتها إنه كالسقف، وقال الذي أمسك بأذنه إنه كشجرة الموز، والمعنى واضح عن قصور النظرة الجزئية.)

لا نريد أن نغرق في التفاصيل، ولا نريد في نفس الوقت أن نغمض أعيننا عن علامات الطريق.

منذ منتصف القرن التاسع عشر بدأت أمريكا تشعر بقوتها وترسل إرسالياتها التبشيرية إلى العالم ومنه مصر.

يقول الدكتور محمد مورو في كتابه الهام: «يا أقباط مصر انتبهوا »:

وفى أوائل عقد السبعينيات في القرن التاسع عشر (١٨٧٠)- نصب الأنبا كيرلس الخامس بطريركا للأقباط وواصل مقاومته للتيار التبشيري وسافر البطريرك إلى أسيوط ونشر في مقاومة الإرساليات وأمر بتجريد قسيس من رتبته لسماحه لأخيه المتخرج من مدرسة الإرسالية الأمريكية بالخدمة في الكنيسة القبطية كما أصدر مطران أسيوط فرمانا كنسيا لثلاثة من تلاميذ الإرسالية، وأمر البطريرك

بإحراق كل الكتب البروتستانتية في أسيوط، ثم سافر إلى أبو تيح وإخميم حيث أغلقت مدرسة الإرسالية هناك.

وبالطبع لم تيأس أمريكا التي كانت تؤسس لمشروعها الأضخم عابر القارات والقرون، فتتسلل من الباب الخلفي إلى المثقفين، وليسوا بمثقفين وإنما هم الذين استسلموا للغواية.

يقول الدكتور مورو:

بدأت عناصر من المثقفين الأقباط والمتأثرين بالحضارة الغربية، ومعهم عدد من كبار الأغنياء الأقباط والوجهاء المرتبطين بالمصالح الاقتصادية بالمشروع الاستعماري الأوروبي. بدأ هؤلاء جميعا محاولتهم للسيطرة على المجتمع القبطي. بدأوا بالسيطرة على المجالس الملية، أو قل: ضغطوا على البابا كيرلس الخامس لاستحداثها لتكون وسيلة من وسائل تأثير القوة الثالثة على المجتمع القبطي والكنيسة القبطية. وسرعان ما دب الخلاف بين هذه المجالس الملية وبين البابا كيرلس الخامس. وحدث الصدام بين البابا كيرلس الخامس وبين بطرس غالى الذي كان يرأس تلك المجالس الملية. إلا أن الشعب القبطي وقف مع البابا في هذا الصراع. وحاول عناصر تلك القوة الثالثة المتمثلة في الوجهاء- المثقفين المغتربين- كبار الأغنياء الأقباط- الإطاحة بالبابا كيرلس الخامس. وتنصيب بابا جديد من المؤمنين باتجاهاتهم والموالين لسياساتهم. واستعان بطرس غالى والمجلس الملي بالاحتلال وبالخديوي ونجح هؤلاء في استصدار قرار بتعيين بطريرك آخر مكان الأنبا كيرلس الخامس. إلا أن الإكليروس القبطي ومعه الشعب القبطي تجمعوا ومنعوا الأنبا الجديد من دخول مقر البطريركية، وكانوا يهتفون ارجع يا محروم.

(جملة اعتراضية: أرجو أن يلاحظ القارئ البصمات الأمريكية القبيحة وطريقة تسللها).

وكانت هذه التجارب مدعاة لإدراك ضرورة السيطرة بالزحف الهادئ على الإكليروس وعلى كرسي البطريركية، وليس بالانقلاب السافر عليها. وهكذا تم دفع عدد من شباب القوة الثالثة وخاصة من خريجي الجامعات إلى التحاق بالأديرة طلبا للانخراط في سلك الرهبنة (...) وكذلك تم الاهتمام بالسيطرة على أقباط المهجر في أمريكا وكندا وأستراليا وأوروبا، ليكونوا من دعاة القوة الثالثة ومن عناصرها النشيطة التي تعمل على ربط القوة الثالثة في مصر بالكنائس الأوروبية، وتحقق لها أيضا من خلال العمل في المهجر النفوذ السياسي والدعم المالي. وفى سنة ١٩٥٩ انحازت عناصر تلك القوة الثالثة إلى انتخاب البابا كيرلس السادس على أساس أنه يمثل حلقة وسيطة، لأن قوتهم لم تكن تسمح بتصعيد بطريرك من داخلهم. وتمسك البابا كيرلس السادس بالتراث القبطي التقليدي، إلا أنه سمح للقوة الثالثة بالنفاذ إلى المجتمع القبطي عن طريق إنشاء أبراشيات جديدة يتولون إدارتها لرئاستها. وفى سنة ١٩٧١، توفى البابا كيرلس السادس ووجدت القوة الثالثة أن الفرصة مواتية فلديهم الكثير من العناصر في الإكليروس القبطي، كما أن الظروف المحلية والدولية في ذلك الوقت كانت تسمح بذلك، وهكذا جاء البابا شنودة الثالث وأصبح بطريركا للأقباط سنة ١٩٧١.

***

فلنترك الدكتور مورو قليلا.

كانت تلك الحقبة هي التي تفجرت فيها رغبة أمريكا المحمومة في السيطرة على العالم، أو على الأحرى كان الغطاء قد انكشف عنها فظهر ما كان مستورا، كانت قد خرجت منتصرة من الحرب فتسللت إلى كل دول العالم للسيطرة عليها، وانقلبت حتى على أخلص حلفائها لتحل محلهم في المستعمرات، و كانت أقسى لحظات حياة تشرشل حين أدرك أنه لا يتعامل مع الحليف والصديق بل مع عدو مصر على

التهامه، وهو نفس الشعور الذي شعر به أنتوني إيدن عام ٥٦. وقد ترتب على هذا أن بريطانيا وهي تجلو عن اليمن الجنوبي سلمته للشيوعيين نكاية في أمريكا. كانت أمريكا تتمدد في العالم كله، في آسيا و إفريقيا و أمريكا اللاتينية، وكانت كوريثة قيصر تركز على بلاد المسلمين، كانت قد استولت – بلا غزو ولا تزال – على السعودية واستعادت إيران وبدأت سياسة الانقلابات في سوريا ودعمت الانقلاب في مصر.

وكانت قد جندت السادات والملك حسين.

وكانت تصوغ جورباتشوف.

ثم..

ثم..

ثم، في نفس السياق والإطار جاء البابا شنودة!!.

***

يذكر محمد حسنين هيكل في كتابه (خريف الغضب) أن السادات وممدوح سالم وزير الداخلية ١٩٧١ وغيرهما من الجهاز الحكومي كانوا يفضلون انتخاب البابا شنودة كبطريرك للكنيسة القبطية عقب موت الأنبا كيرلس السادس وأن هيكل قد عارض في ذلك وطرح أسبابه لتلك المعارضة وألمح الأستاذ هيكل في نفس الكتاب إلى احتمال استخدام الحكومة المصرية لنفوذها لترجيح كفة البابا شنودة على غيره من المرشحين للكرسي البطريركي، بل إنه روى واقعة الانتخاب وقيام الطفل باختيار الورقة التي ظهر فيها اسم البابا شنودة بطريقة معينة تجعلك تشك ولكنها لا تورطه!!

***

وكما قلنا أن موقف الكنيسة المصرية من الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية كان

حادا جدا، وكان ثمة إدراك عميق بالتباين الحضاري بين هذه وتلك، و إدراك أن الكنيسة الأرثوذكسية لا تمثل الصواب العقدي فقط، بل وتمثل الهوية الوطنية ورفض التغريب، وكانت الكنيسة المصرية تحارب بضراوة مجلس الكنائس العالمي، الذي تشرف عليه المخابرات المركزية الأمريكية كما يقول الدكتور مورو: وهذا الكلام ليس من عندنا ولكن عليه شهادات من كتاب لا يمتون للاتجاه الإسلامي بصلة. فعلى سبيل المثال يقول محمد حسنين هيكل في كتابه خريف الغضب : إن مجلس الكنائس العالمي يعكس دون أدنى شك رغبة جهات أمريكية معينة في أن يقوم الدين بدور رئيسي في الصراع، وإن التحقيقات التي جرت في الكونجرس أثبتت أن مجلس الكنائس العالمي كان من الجهات التي حصلت على مساعدات ضخمة من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية. ويضيف هيكل : وفوق منصة الرئاسة يوم الافتتاح كان جلوس وزير الخارجية الأمريكي جون فوستر دالاس شقيق رئيس إدارة المخابرات المركزية الأمريكية آلان دالاس إلى جانب رئيس مجلس الكنائس العالمي وكان مما قاله دالاس: أن نبشر بالمسيحية فهذا معناه أن نبشر بالحضارة الغربية. أما الكاتب القبطي المعروف د. وليم سليمان قلادة فيقول في كتابه «الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية »(إن دعوة مجلس الكنائس العالمي تتجه في صراحة تامة إلى ضرورة تدخل الكنائس داخل البلاد المستقلة حديثا في سياسة بلادها، وابتداع لاهوتية جديدة لتبرير هذا الاتجاه تقول بأن نشاط الدولة في كل نواحيه السياسية والاقتصادية والاجتماعية هو تحت سلطان الله ولابد للكنائس من أن تبدى رأيها في هذا النشاط ولابد من الاستعانة بخبرة الكنائس الغربية حتى يكون اتجاه الكنيسة داخل الدولة المستقلة حديثا متفقا مع اتجاه الكنائس المسيحية في الغرب (...) أما الناقد الأدبي القبطي د. غالى شكري فهو ينقل النص السابق للدكتور وليم سليمان قلادة في كتابه «الأقباط في وطن متغير»ويضيف إليه (أنه في

ديسمبر سنة ١٩٦١ عقد في العاصمة الهندية نيودلهي المؤتمر العام الثالث لمجلس الكنائس العالمي وأصدر قرارا يبرئ اليهود من دم المسيح ويحذر الكنائس من التعليم المعادي لليهود، وكان هذا القرار- والكلام ما يزال لغالى شكري- هو أداة الضغط الأولى على الفاتيكان ليصدر وثيقته الشهيرة في تبرئة اليهود من دم المسيح.

ولخطورة الأمر فإن الدكتور مورو يعيد عرض الأمر ملخصا:

إذن فمجلس الكنائس العالمي تابع للمخابرات الأمريكية على حد قول هيكل وله دور مشبوه في الترويج لقيم الحضارة الغربية والسياسة الغربية عموما والأمريكية، خصوصا على حد قول د. وليم سليمان وهو موال لإسرائيل على حد شهادة غالى شكري، والطبيعي والمسألة هكذا أن الموقف الوطني الصحيح هو رفض ومناهضة هذا المجلس، وبالفعل كان هذا الموقف الصحيح هو موقف الأقباط المصريين حتى جاء البابا شنودة فأصبح رئيسا له!.

نعم.

أصبح البابا شنودة رئيسا له على عكس التراث الكنسي المصري وعلى عكس المصالح الوطنية وعلى عكس المتوقع وعلى حساب المشروع الحضاري الوطني وانحيازا وتبعية للمشروع الحضاري الغربي.

وننقل هنا ما قاله الأستاذ عبد اللطيف المناوي في كتابه «الأقباط: الكنيسة أم الوطن:(ما الذي تغير في موقف الكنيسة المصرية حتى تنخرط في أنشطة مجلس الكنائس العالمي بصورة أوسع وحتى تدفع بيطريرك أقباط مصر إلى سدة رئاسته).

ويجيب (أهم متغير فيما نرى هو الطرف الثالث في المعادلة المتمثل في الأنبا شنودة شخصيا الذي تولى منصبه سنة ١٩٧١).

وبعد أن عدد الحقائق حول الدور المشبوه لمجلس الكنائس العالمي، من ارتباطه بالمخابرات الأمريكية- واختراق الصهيونية لكنائس البروتستانتية الأوروبية

والأمريكية وهى المسيطر على المجلس منذ إنشائه يعود ليتساءل هل يمكن أن تكون الخطوة حلقة في جر الكنيسة المصرية إلى تلك الساحة؟ .

***

لماذا غير البابا شنودة موقعه ولماذا بدل موقفه.

هل كف الغرب عن طغيانه؟ .

هل تغيرت الكنيسة؟ ؟

أم تغيرت الفريسة؟ ؟

***

«إن البابا شنودة خيب الآمال ، وتنكب الطريق المستقيم الذي تمليه عليه قوانين البلاد ، واتخذ من الدين ستارا يخفي أطماعا سياسية ، كل أقباط مصر براء منها وإذا به يجاهر بتلك الأطماع واضعا بديلا لها على حد تعبيره بحرا من الدماء تغرق فيه البلاد من أقصاها إلى أقصاها ، باذلا قصارى جهده في دفع عجلة الفتنة بأقصى سرعة ، وعلى غير هدى ، في كل أرجاء البلاد ، غير عابئ بوطن يأويه ، ودولة تحميه ، وبذلك يكون قد خرج عن ردائه الذي خلعه عليه أقباط مصر »

هذا نص حرفي من حيثيات حكم محكمة القضاء الإداري بتاريخ ٣/ ١/ ١٩٨٢، في التظلم المقدم من البابا شنودة ضد قرار رئيس الجمهورية بعزله عن منصبه.

سبحان الله.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾ .

الطاغوت الخائن المجرم الذي جاء وعاش برعاية أمريكا اتهم الإخوان بما ليس فيهم، فأذله الله بشنودة وأقباط المهجر وهو لا يستطيع التنفس ببنت شفة.

اتهم الطاغوت الإخوان بأنهم عملاء للأمريكان.

وكان الطاغوت و أتباعه هم العملاء.

فانظر كيف أذله الله على يد من هم أكثر منهم عمالة.

سبحان الله.

لكم نكل الطاغوت المجرم بالمجاهدين والمسلمين.

كان تخطيط المجاهدين المسلمين يتشابه إلى حد كبير مع ما نفذه البابا شنودة بالفعل، لكن في الاتجاه المضاد.

كان التخطيط المسلم يسعى لتكوين مراكز عالمية تابعة للتنظيم في مصر كي تكون نواة لوحدة إسلامية تعز مصر وتغنيها وتزيد من قوتها، وكان التخطيط الصليبي الشنودي يسعى لإنشاء مئات الكنائس الأرثوذكسية في العالم تتبع البابا شنودة وتمثل مراكز إعلامية خطيرة تستعمل في الضغط على مصر لتحجيمها وإرهابها وتفتيتها والتشهير بها، ومنع اتحادها بالدول الإسلامية الأخرى.

كان التخطيط المسلم يدرك أنه يمثل الأمة الوسط، وميزان التاريخ والشهادة على الأمم، و أنه كلما قويت مصر قويت الأمة وكلما قويت الأمة اعتدل ميزان التاريخ، وكان التخطيط الصليبي الشنودي يسعى لتذويب الأمة في الحضارة الغربية الوثنية المنحلة.

كان التخطيط المسلم يدرك أن عداوة الشيوعيين له ليست أخطر من عداوة الأمريكيين والصهاينة، وكان التخطيط الصليبي الشنودي يحتضن اليسار ويتجه به إلى اليمين كي يكونا معا عملاء للصليب والصهاينة.

وكان الاتهام الذي وجه للمسلمين هو الاتهام بالعمالة لأمريكا.!! (يا للحسرة والاشمئزاز والألم).

وكان عملاء أمريكا هم الجانب الآخر الذي لم يجرؤ أحد على اتهامه بالعمالة وهو العميل.

بل كان العملاء هم الذين وجهوا الاتهام بالعمالة!!

كان القاضي هو اللص والمدعي هو الجلاد والحاكم طاغوت.

ذبحوا الشهيد وكرموا الخائن.

فسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، صبرا على قضائك لا إله سواك.

نعم.

كان الخونة هم الذين اتهموا الشرفاء وحاكموهم وذبحوهم.

أما من خان فعلا ومالأ أعداء الأمة والوطن والدين فإن الطاغوت الخسيس المجرم لا يجرؤ على إدانته، بل ينافقه ويتزلف إليه!!.

والحديث في هذا طويل لكنه موضوع آخر.

***

أذكر القارئ بما سبق أن ذكرته به في بداية المقال عن الجراح الذي يستعمل مبضعه للقتل فيتوقف القانون عن اعتباره طبيبا.

و أذكره بأن أي إنسان يخرج عن مقتضيات وظيفته يفقد الحصانة التي تمنحها له هذه الحصانة، ومن هنا حقنا في التنديد بما يفعله البابا شنودة.

يلفت الدكتور مورو النظر إلى قضية خطيرة تترتب على انحيازات البابا، ذلك أن الأقباط جميعا ملزمون بطاعته باعتباره بطريركا وملزمون بدعم مشروعه السياسي حتى لو تعارض مع رؤاهم السياسية وهنا مكمن الخطر فإذا أدركنا أن الجذور السياسية للبابا شنودة تعكس الرفض للمشروع الحضاري الوطني، وتتعاطف مع المشروع الحضاري الأوروبي وترى ضرورة التعاون مع الكنائس الأوروبية لأدركنا خطر المسألة على مصالح الوطن عموما وعلى المشروع الحضاري الوطني عموما، وعلى الأقباط والكنيسة القبطية خصوصا.

نعم.

أصرخ فيكم يا ناس.

لقد انشق البابا عن إجماع الأمة.

ومسيحنا الذي نعرفه لا يقر له بذلك.

ولا حتى مسيحه الذي يعرفه يقر له بذلك.

لم يقل عبد الله المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام أن نخون الوطن والأمة والعشيرة لننضم إلى سفاح وقاطع طريق اسمه جورج بوش.

ولا قال عبيد الله المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام أن أناصر اليهود ظالمين على من سواهم.

***

المشكلة ليست في المسرحية السافلة ولا في كاهن أو كهنة ساقطين أجازوها.

المشكلة أكبر بكثير.

المشكلة أن البابا شنودة يؤمن في داخله بما جاء في هذه المسرحية السافلة.

و أن هذه المسرحية و أمثالها جزء من مخططه.

وأن دموعه التي سالت لم تكن بسبب ضغوط مورست عيه، بل بسبب أنه بعد جهد خمسة وثلاثين عاما من التدمير وجد أن المسلمين ما تزال لديهم ذبالات روح.

كانت الدموع تثير الغضب لا التعاطف.

هل يمكن أن يتعاطف المرء مع قصاب يدمع لأنه لم يتمكن من ذبح فريسته؟ !.

بل هل يمكن أن يتعاطف المرء مع نصاب لأنه فشل في خداع ضحيته؟ .

المشكلة في اختراق رأس الكنيسة وعجز الأقباط عن مواجهة هذا الاختراق.

تماما كما تم اختراق رأس النخبة المسلمة – اسما – وأيضا عجز المسلمون عن

مواجهة الاختراق وصده أو حتى كبحه.

المشكلة لخصها أنور السادات وهو يتحدث عن البابا شنودة في خطابه أمام مجلس الشعب في ١٠ مايو ١٩٨٠ حيث اتهمه بأنه يريد أن يجعل من الكنيسة سلطة سياسية، وأن من أهم أسباب الفتنة الطائفية البابا شنودة نفسه، وأنه يحرض أقباط المهجر أمام الأمم المتحدة وأمام البيت الأبيض الأمريكي وأنه يتصل بالرئيس كارتر ليحثه على لي ذراع السادات وإحراجه أمامه. وأنه يقف وراء المنشورات التي توزع في أمريكا عن الاضطهاد الذي يتعرض له المسيحيون في مصر، وكذلك المقالات والإعلانات المنشورة في الصحف الأمريكية وأن البابا شنودة يقف وراء مخطط ليس لإثارة الأقباط فقط، ولكن لإثارة المسلمين واستفزازهم.

إن البابا شنودة هو أكبر من أضر بالأقباط، وأنه لم يضر أحد بالأقباط مثلما فعل شنودة وأن هناك عددا من الأقباط يحارب في صفوف الموارنة في لبنان.

في تقرير لمجلس الشعب المصري أعدته لجنة فرعية مكونة من محمد رشوان وكيل المجلس وكل من حافظ بدوى ومحمد محجوب وكمال هنري أبادير وكامل ليلة وألبرت برسوم سلامة ومختار هاني وكمال الشاذلي وإبراهيم شكري وألفت كامل وإبراهيم عوارة ، وقد جاء في التقرير:

تأكد للجنة أن بعض المتطرفين من القيادات المسيحية وبعض المتعصبين من رجال الكنيسة قد حاولوا تضخيم بعض الأحداث الفردية وتصويرها في صورة صراع ديني وأنها اضطهاد للأقباط. بل ووصل الأمر إلى حد افتعال بعض الأحداث وإلصاق التهمة بالمسلمين بهدف إذكاء نار الفتنة واتخذ بعض القسس من مثل هذه الأحداث مادة للموعظة التي يلقونها في الكنائس، فتحولت بعض الكنائس إلى منابر لنشر الشائعات الكاذبة وبث روح الفرقة بين المسلمين والمسيحيين. وتسجل اللجنة أسفها مما لديها من قرائن ودلائل على أن بعض

القيادات الكنسية ومنها رأس الكنيسة دأبوا على التشكيك وأنهم تمادوا في مسلكهم وأوعزوا بطبع منشورات وتسجيلات عن الأحداث دونما تمحيص وأوعزوا بنشرها في المجلات الصادرة بالداخل والخارج، و أن البابا شنودة يريد أن تقيم الكنيسة من نفسها دولة داخل الدولة.

إن مجمل هذه الأقوال والتصريحات تشكل اتهاما بالخيانة العظمى.

هذا تقرير اللجنة وليس منشورا للشيخ المجاهد عمر عبد الرحمن.

تقرير أعدته لجنة منها نصارى.. حكمت بهذا..

و إحقاقا للحق.

فليست رأس الكنيسة فقط هي التي تستحق هذا الاتهام لأن رؤوسا من أكبر الرؤوس في السلطة والأزهر تستحقه.

يقول الدكتور مورو:

أقباط مصر أبرياء من هذا السلوك الذي يسلكه البابا شنودة، والبابا شنودة هنا خارج على التراث الكنسي التقليدي. إن البابا شنودة يدفع عجلة الفتنة بأقصى سرعة، وهذه بالطبع جريمة كبرى. إن البابا شنودة يريد إغراق البلاد في بحر من الدماء وهذه تهمة أكبر. إن للبابا شنودة أطماعا سياسية، وهذا بالطبع مخالف للتراث الكنسي، ومخالف لحدود العقيدة المسيحية القبطية التي رسمتها لدور البطريرك. وهكذا فإن الحقائق الثابتة التي أكدتها حيثيات حكم محكمة القضاء الإداري والتي أكدتها الوقائع الثابتة تؤكد كلها أن القوة الثالثة التي نجحت بالوصول بممثليها، وخاصة البابا شنودة إلى الإكليروس المسيحي القبطي، هي قوة تعادى المشروع الحضاري للأمة، وتريد إلحاق الأقباط بالمشروع الحضاري الغربي، ولا تحافظ على الاستقلال التقليدي للكنيسة القبطية في مواجهة الكنائس الأوروبية، وهى تسعى لإغراق البلاد في الفتنة الطائفية لتحقيق كل هذا، وإنه يخرج عن حدود وظيفته

الدينية التي حددها التراث الكنسي ويتدخل في أمور سياسية، وأنه يعادى المشروع الحضاري للأمة الذي يؤمن به الأقباط والمسلمون أي هو هنا خارج على الإجماع الوطني ومنحاز إلى المشروع الحضاري الغربي، وأنه هنا خرج على الوجدان القبطي المنحاز عموما إلى المشروع الحضاري الإسلامي، باعتبار أن الأقباط جزء من النسيج الثقافي والحضاري الإسلامي.

***

المشكلة إذن أكبر بكثير من أن تكون مشكلة مسرحية سافلة و كهنة ساقطين.

المشكلة ليست في الأطراف بل في الرأس، وهي مشكلة يعجز الجسد عن حلها.

و للإنصاف الذي تعلمناه من ديننا فإن الانحراف ليس مقصورا على الأقباط، بل إنه عندنا أخطر بحكم الغلبة العددية. وليس البابا شنودة بأخطر على مصر من مبارك وحاشيته أو من شيوخ في الأزهر. بل إنني قد ألتمس المعذرة للبابا شنودة، فالرجل ينصر طائفته و أمته ظالما ويحرضها على الظلم لكن في صف – ما يعتقد – أنه شعبه و أمته وربه، أما قياداتنا فينصرون أعداء الأمة والله والدين عليها.

***

المشكلة أن المسرحية السافلة والكاهن الساقط الذي أجازها جزء من مخطط شامل.

مخطط لتفتيت الأمة.

مخطط يتحدث عنه الدكتور محمد عمارة فيذكر أن المستشرق الصهيوني القذر برنارد لويس (كلاب العلمانية يرفعونه إلى عنان السماء، فاحذر). قد ذكر تفاصيله، وهذا المخطط يقضي بتفتيت العالم الإسلامي- من باكستان إلى المغرب- على أسس عرقية و«اثنية» ودينية ومذهبية، وذلك حتى يزداد التشرذم في هذا العالم- المتشرذم أصلا- فتضاف إلى كياناته القطرية- التي تزيد على الخمسين- كيانات جديدة تزيد

على الثلاثين، لتتحول كل تلك الكيانات- حسب تعبير «برنارد لويس إلى »برج ورقي، ومجتمعات فسيفسائية، أو مجتمعات الموزايك فيتحقق الأمن لإسرائيل لنصف قرن على الأقل.!!.

هذا المخطط هو الذي احتشدت جيوشنا في حفر الباطن لتدشينه لعن الله كل من شارك فيها.

ولقد تحدث هذا المخطط عن تقسيم العراق إلى دويلات ثلاث:

دولة كردية سنية في الشمال و دولة سنية عربية في الوسط، ودولة شيعية عربية في الجنوب، وهو ما يجرى تنفيذه اليوم على أرض العراق، أما مصر فلقد خطط «لويس »لتقسيمها إلى دولتين على الأقل.

فهل هذا هو المخطط الذي يدفعنا إليه البابا شنودة؟ !.

هل هذه هي النهاية البئيسة لمن حسبناه شاعرا مثقفا وطنيا؟ .

سوف تحرك أجهزة المخابرات الصليبية والصهيونية الأقليات في العالم الإسلامي وفي قلبه مصر لتدمير هذه المجتمعات المستقرة، وتشعل النار في مشاعر الأقليات المسيحية في المنطقة، وتوجهها نحو المطالبة بالاستقلال، «- كما جاء بالحرف في عبارات «بن جوريون »- بمذكرات «موشى شاريت

هل ينفذ البابا شنودة هذا المخطط؟ !.

في مصر ظهرت في النصف الأول من الخمسينيات- «جماعة الأمة القبطية»- التي تدعو إلى تحرير مصر من الإسلام والمسلمين!.

ويتحدث الدكتور عمارة - انظر أيضا لكاتب هذا المقال : إني أرى الملك عاريا- عن وثيقة إستراتيجية إسرائيل في الثمانينيات »- التي نشرتها مجلة المنظمة الصهيونية (الاتجاهات) كيفونيم في ١٤ فبراير سنة ١٩٨٢ م- تقول: «إن مصر المفككة والمنقسمة إلى عناصر سلطوية كثيرة- وليس على غرار ما هي اليوم- لن تشكل أي

تهديد لإسرائيل، وإنما ضمانة للأمن والسلام لوقت طويل. وهذا في متناول أيدينا اليوم.»! بل وتحدثت هذه الوثيقة عن أن تفتيت مصر هو مفتاح تفتيت كل بلاد العروبة والإسلام، فقالت- بالحرف-: فإن دولا مثل ليبيا والسودان والدول الأبعد منهما لن تبقى طويلا على صورتها الحالية، بل ستقتفى أثر مصر في انهيارها وتفتتها، فمتى تفتتت مصر تفتت الباقون. إن رؤية دولة قبطية مسيحية في صعيد مصر، إلى جانب عدد من الدول ذات سلطة أقلية- مصرية، لا سلطة مركزية كما هو الوضع الآن، هو مفتاح هذا التطور التاريخي الذي أخرته معاهدة السلام، لكنه لا يبدو مستبعدا في المدى الطويل«! فنحن، إذن، أمام مخطط معلن! لانهيار مصر وتفتيتها»- ولسنا أمام «مؤامرة سرية» ولا «هوس بنظرية وذهنية المؤامرة». وفى ضوء هذا المخطط علينا أن نرى «خارطة» كل ما يقال ويطبق اليوم باسم الأقليات.

في ضوء هذا علينا أن نقرأ تصرفات البابا شنودة، و تأليف المسرحية السافلة وعرضها!.

وفي ضوء السخرية من القرآن واللغة العربية في المسرحية السافلة علينا أن نفهم المحاولات المريضة لإحياء اللغة القبطية، لا كلغة آثارية وتاريخية لأهل الاختصاص، وإنما لتحل محل اللغة القومية - العربية-!، حتى ليصل الأمر إلى حد أن يعلن الرجل الثاني في الكنيسة الأرثوذكسية- الأنبا «غريغوريوس »- في صحيفة «وطني، ٣٠ يوليو سنة ٢٠٠٠ م- »أن اللغة القبطية هي لغتنا بوصفنا قبطا، وهى تراث الماضي ورباط الحاضر!! وهى من أعظم الدعائم التي يستند إليها كيان الشعب المسيحي، وأن إهمالنا للغة القبطية كان من اكبر العوامل التي عمل بها المستعمر الدخيل فقضى على الفوارق التي كان لابد من بقائها لتكون سورا يحمى كياننا من الانصداع ووحدتنا من التفكك !، فهم يحيون اللغة القبطية لتكون سورا بين الشعب المسيحي وبين المستعمر الدخيل أي المسلمين المصريين!!،

هل تلاحظون يا قراء إذن ذلك التسارع المحموم نحو تفضيل الهيروغليفية أو القبطية أو حتى العامية على العربية الفصحى.

بالنسبة لنا فإن اللغة ليست وعاء للمعرفة والثقافة فقط، إنها روح الأمة وتراثها ووجدانها، إنها مسألة هوية ونسيج ضام يحمي الأمة من التفتت، لذلك ستجد كل شركاء المؤامرة يهاجمون اللغة العربية ويدعون إلى سواها.

وراجع أيها القارئ ذاكرتك لتتذكر كل خؤون هاجم اللغة.

راجع تضافر جهود السفهاء في كل مكان في وزارة الثقافة والإعلام وفي الكتاب والمخرجين والممثلين الذين جعلوا من اللغة العربية أو من تحية الإسلام علامة على الإرهاب.

لم يكن ذلك مجرد انحراف عقدي، بل كانت وضاعة من يبيع شرفه بثمن بخس ولو كان ملايين الجنيهات.

***

يتساءل المستشار طارق البشري والدكتور عمارة والدكتور مورو عن سر تزايد نفوذ أقباط المهجر على كنيستهم الأرثوذكسية، يطرحون السؤال ويتركون الإجابة للقارئ أو للسلطة، يتحدثون عن مليار دولار تصل إلى الكنيسة كل عام.

مليار دولار.

كان هذا منذ عشرة أعوام ولا ريب أن المبلغ تضاعف.

الطواغيت والسفلة اتهموا الإسلاميين بكل فصائلهم بالتمويل الأجنبي، ولم يثبت ذلك قط.

فلما ثبت على الأقباط تصرفت السلطة و أجهزة الأمن ككلب مذعور دس ذيله بين فخذيه وراح يختلس النظر رعبا وهو يتصنع أنه لم ير شيئا.

كذا مليار دولار لا يدري أحد فيم تنفق وكيف تنفق وعلى من تنفق، وهل كانت مئات الألوف التي أنفقت على طباعة قرص المسرحية السافلة من هذا المال؟ .

مليار دولار حسمت توجه رأس الكنيسة.

كتب الأستاذ جمال أسعد في صحيفة العربي في ٢ يناير سنة ٢٠٠٥ رسالة وجهها إلي البابا شنودة، وذكر فيها الأموال التي لا تحصي ولا تعد والتي يتم إرسالها للكنيسة، تلك الأموال التي كانت سببا في فض العلاقة الكنسية بين الشعب وبين الإكليروس، حيث أصبح الإكليروس في غير احتياج للشعب لأن البديل كان أموال الخارج ثم استطرد موجها الحديث إلي البطريرك هنا لا تنسي مقولتك عندما قلت: (لقد انتهي اليوم الذي يمد فيه البابا يده لأغنياء الأقباط) ولكل ذلك ضاع الأمل في إصلاح كنسي كنا نتمناه.

وكانت النتيجة صدور قرار بحرمان جمال أسعد.

ولقد تكررت قرارات الحرمان في الداخل لكل شريف يقول كلمة حق، كنظمي لوقا الذي كتب يمتدح الإسلام والقس إبراهيم عبد السيد الذي كتب ينتقد البابا، لكن هذه القرارات لم تلحق أبدا فاجرا مثل زكريا بطرس لا يجرؤ أبدا على مواجهة شاب مسلم في العشرينيات لديه الحد الأدنى من العلم الديني (كما حدث في قصة فتاة حلوان). ولكنهم أعطوه قناة فضائية حيث يحصل على مائة وعشرين ألف جنيه مقابل كل محاضرة – واحدة – يلقيها، وهو الجاهل عبد الشيطان!!.

نعم، حرم البابا من لا يتفق فكرهم مع فكره.

نعم، حسمت أموال الخارج توجه رأس الكنيسة.

فتعداد هؤلاء المهاجرين، وإمكاناتهم المادية والأدبية، ونفوذهم وحركيتهم، وعلاقاتهم مع ولائهم للبلاد التي يحملون جنسيتها، وتسخيرهم أحيانا لخدمة المصالح الاستعمارية لتلك البلاد- وخاصة في أمريكا-، وكذلك زيادة الفروع

الخارجية لهذه الكنيسة، ومن ثم ثقل ونفوذ هذه الفروع، كل هذا الجديد قد أحدث تطورا نوعيا وكيفيا – على حد تعبير الدكتور مورو- في حسابات وتوجهات الكنيسة، التي اتجهت غربا أكثر فأكثر، بعد رجحان كفة رعيتها الغربية على رعيتها الداخلية الوطنية، ولقد كان دخولها في «مجلس الكنائس العالمي»- الذي أقامته المخابرات الأمريكية، إبان الحرب الباردة، لخدمة الهيمنة الأمريكية- بعد أن ظلت هذه الكنيسة رافضة دخوله لسنوات طويلة- كان ذلك إعلانا عن هذا التحول في التوجهات، حتى لقد أصبح بعض الغيورين عليها- حتى من أبنائها- يخشون من اهتزاز طابعها الوطني التاريخي لحساب الغرب والتغريب!، وهذا هو ما حدث، تحول البابا شنودة إلى قيصر.

ولقد كتب مدحت بشاي يهاجم البابا شنودة في مقال له بجريدة روز اليوسف:

- ألا تري سيدي البابا أن انشغالكم بأمور سياسية والتحدث في شأنها إلي جميع الأجهزة الإعلامية وتبني مواقف قد تكون متسرعة تأتي بشكل قاطع وحاد في أحيان كثيرة قد أدى بنا إلى حدوث ظواهر سلبية وتبعات تحدث هنا وهناك مثل أن تتبني جماعة قبطية فكرة السعي إلى إنشاء حزب الأمة القبطية الذي يرفع شعارات شديدة التطرف، أو يتم تنظيم مؤتمرات لأقباط المهجر تناقش أحوال أقباط الداخل بشكل منفرد ودونما تنسيق مع الكنيسة الأم في مصر؟

ـ لماذا تفرض سيدي البابا سلطانك الروحي والتأديبي إذا لزم الأمر علي المسيحيين داخل البلاد، أما التابعون للكنيسة في بلاد المهجر ورغم حبهم الجارف لقداستكم نجد منهم المارقين المتاجرين بمواقف عنترية مبالغ فيها وبدلا من أن يمدوا أيادي العون الخيرة للمساهمة في حل مشاكل المواطن المصري يرفعون الشعارات الكثيرة للفتن والمشاكل، فلماذا لا تجدون وسيلة لوقف محاولاتهم التي قد تودي بأحلام السلام الاجتماعي في وطنهم الأم.

- ألا ترى قداستكم أن ما استحدثتموه من أشكال احتفالية بمناسبة الأعياد في مقر الكنيسة الأم والتي صارت طقوسا سنوية بداية من ارتداء البابا لحلة جديدة تخطف الأبصار من شدة بريق الإكسسوارات ذات الألوان الفضية والذهبية والقرمزية المبهرة للاحتفال بمولد المسيح الذي اختار لميلاده مِزود بقر ثم الاحتفال بقيامته وهو الذي رآه العالم على الصليب برداء متواضع لا يكاد يستر بدنه، فلماذا البابا الراهب الزاهد يطل علينا ملكا يرتدي بزة أباطرة القرون الوسطي؟ ثم تطوف بنا الكاميرا فنلمح الصف الأول وقد شغلت كراسيه مجموعة كبيرة من المسؤولين يمثلون رموز الدولة والسلطة التنفيذية والتشريعية بالإضافة لعدد من الشخصيات العامة ونجوم المجتمع أقباطا ومسلمين في صورة تليفزيونية أمريكية، وهنا أناشد الكنيسة أن توضح للناس مبرر مشاهد سيناريو احتفالات ليالي الأعياد وتجيب عن أسئلة المواطنين التالية: لماذا تشاركنا تلك النخبة صلاة العيد، فإذا كان للتهنئة فأظن أن مكانها هو الصالون البابوي في الكاتدرائية ولا مانع من حضور كل كاميرات العالم لترصد تلك اللحظة العبقرية والتفضل الأخاذ في ضرب الأمثلة علي التواد والمحبة! أما إذا كان ليتفضل البابا بتقديمهم بامتنان للمجتمع المسيحي الحضور في الكاتدرائية والمتابعين لصلاة العيد عبر شاشات التليفزيون فأرى أنه مشهد عبثي لم تعد مدلولاته المظهرية المتكررة ذات معني أو قيمة، فما معنى أن يتابع الضيوف طقوسا شديدة الخصوصية، تعذبهم موجات الوقوف والجلوس المتكررة ويصعب عليهم بالطبع فهم ما يقال باللغة القبطية التي يصعب على المسيحيين أيضا فك طلاسمها ويتعجبون لهذا الإصرار من الكنيسة على استخدامها في تباعد مترفع عن وجدان مصلين بسطاء يرفعون أكف الضراعة إلي المولى فتخرج من صدورهم حروف مفردات عامية بسيطة صادقة، فالرب المستجيب للدعاء لم يشترط لصلاتنا أن تكون بالقبطية. هل تشارك الرموز المسيحية في احتفالات المسلمين بحضور

صلاة عيد الفطر أو الأضحى في المساجد وساحات الصلاة أم يتم الاكتفاء بالمشاركة بزيارات تهنئة لرجال الدين في مكاتبهم وهو الأمر الطبيعي والمقبول، فلماذا التزيد على الجانب الآخر!؟ هل صارت من طقوس الأعياد المسيحية شعائر تتضمن قراءة كشوف أسماء المهنئين يعقبها تصفيق الحضور وزغاريد النساء؟ .

***

يتحدث الدكتور محمد عمارة عن تداعيات الصلف والمليارات والغباء والتعاون مع العدو ضد مصلحة البلاد، يتحدث عن سقوط النخبة في مراكز «البحث »- في داخل مصر- في براثن العمالة والخيانة، ويتحدث عن أموال حرام استقطبت غلاة العلمانيين، وسواقط الماركسيين، والتي تمولها- بسخاء يسيل اللعاب- الدوائر والمؤسسات الأجنبية، لتعد «الملفات »عن ما يسمى باضطهاد الأقباط وهموم الأقباط ومظالم الأقباط، تلك «الملفات »التي تفتحها وتستخدمها الدوائر المعادية لوحدة مصر في الخارج، حتى لقد وصل الأمر بأحد هذه المراكز : «مركز ابن خلدون- مع الاعتذار لاسم فقيه الإسلام ابن خلدون!» أن يدعو صاحبه- د. سعد إبراهيم- إلى تنفيذ المخطط الإمبريالي- الصهيوني لتفتيت العالم العربي- أكثر مما فتتته اتفاقية «سايكس- بيكو»سنة ١٩١٦ م- فيطالب بإقامة كيانات «فيدرالية»، تحقق «تعددية سياسية»- نعم تعددية سياسية- لكل الأقليات في الوطن العربي «لأن المجتمعات التي تتسم بالتعددية الاثنية في الوقت الحالي، ينبغي أن تكون متعددة من الناحية السياسية أيضا.

نحن أمام جريمة خيانة عظمى ولسنا أمام مسرحية سافلة أو كاهن ساقط أو مغارة لصوص أو قيادات خائنة.

نحن أمام جريمة خيانة عظمى أيا كان وضع مرتكبها.

يصرخ الدكتور عمارة محذرا أن المشروع الغربي لا رابطة بينه وبين المسيحية

الشرقية ومنها الأرثوذكسية المصرية- فهذه الأرثوذكسية، فضلا عن أنها جزء من نسيجنا الوطني والقومي والحضاري والثقافي والقيمي، فإن مسيحية الغرب لا تعترف بمسيحيتها؟ ! وإنما يتخذ الغرب الاستعماري- والصهيونية- منها «ورقة» يلعب بها في معركته ضد الاستقلال الحضاري للشرق، واليقظة القومية لأمته وشعوبه.

***

لا أستطيع الانتهاء من هذا الفصل قبل تناول أمرين:

أولهما: هل البابا شنودة هو المسؤول الوحيد.

وثانيهما : تساؤل عن موقف النائب العام.

سوف أبدأ في ذلك على الفور.

لكن دعوني أبدأ بطرفة أمريكية من العيار الفاجر، فقد صدر عن الخارجية الأمريكية تقريرها السنوي عن الحريات الدينية لعام ٢٠٠٥، أما الطرفة فهي انتقاد التضييق على البهائيين وانتقاد اتهامهم بالكفر، وفي نفس الوقت يطالب التقرير بعدم السماح للإخوان المسلمين بالحركة لأنها حركة محظورة.

هل ضحكت يا عزيزي القارئ؟ .

أم بكيت؟ !.

***

والآن لنبدأ بالسؤال الأول، والإجابة: لا، ليس البابا شنودة هو المسؤول الوحيد عن الكارثة التي نقف الآن على مشارفها.

فالمشكلة التي نواجهها في حقيقتها ليست قوة مفرطة ظهرت على الأقباط فجأة، بل ضعفا مستمرا مخططا حاق بالمسلمين، كل من شارك فيه خان الله والرسول والأمة والوطن والدولة والهوية.

قبل البابا شنودة يأتي الملك فاروق وزمرة حاشيته وحربه الخائنة على الإسلام والمسلمين وزعاماتهم وعلى رأسهم الشهيد الإمام حسن البنا.

قبل البابا شنودة يأتي جمال عبد الناصر وحربه الفاجرة على الإسلام والمسلمين وفي مقدمتهم الإخوان المسلمين وعلى رأسهم الشهيد العظيم سيد قطب.

قبل البابا شنودة يأتي أنور السادات الذي ادعى أن لا دين في الساسة ولا سياسة في الدين فكانت كلمة الكفر.

قبل البابا شنودة يأتي حسني مبارك وهو أخطر الجميع، لأنه يقتل بالخنق وليس بالذبح أو بإطلاق الرصاص، يقتل دون أن يدرك الآخرون أنه قتل[1].

قبل هؤلاء جميعا يأتي محمد علي وهزيمة علماء الأزهر أمامه، كان محمد على امتدادا للمشروع الفرنسي، بنفس الدرجة التي كان بها سعد زغلول امتدادا للمشروع الإنجليزي.

قبل البابا شنودة أيضا تأتي مباحث أمن الشيطان، ليهنئوا الآن بعارهم، فقد كان جهدهم طيلة نصف قرن لصالح إسرائيل و أمريكا والبابا شنودة، فهنيئا لهم خزي الدنيا وعار الآخرة.

قبل البابا شنودة يأتي الشيوعيون والقوميون فقد كانت علاقتهم بأمتهم علاقة الذئب بالقطيع.

قبل البابا شنودة يأتي دور الأمة التي سمحت لكل هذا أن يحدث.

***

في الحلقات التي يذيعها هيكل على قناة الجزيرة كان يتحدث عن الموقف الأمريكي من إنشاء إسرائيل (لا حظ أن تحليلات هيكل يجب أن تؤخذ بمنتهى الحرص والشك، ولاحظ أيضا أنه مسؤول قبل البابا شنودة). قال أن أمريكا كانت

(١) كتب هذا المقال ونشر بنصه الكامل عام ٢٠٠٥.

ضد إنشاء دولة إسرائيل لأن معلومات مخابراتها كانت تؤكد أن العرب و إن أخذوا على غرة في البداية سوف يستجمعون قواهم في فترة وجيزة لن تتعدى الشهرين، وسيحاربون إسرائيل وسيقضون عليها، و أن مئات الآلاف من المجاهدين سوف يهرعون إلى فلسطين، ويقول هيكل أن ذلك لم يحدث، و أنه كان يمثل مفاجأة صارخة للولايات المتحدة الأمريكية غيرت بعدها موقفها بالكامل من القضية الإسرائيلية العربية.

عدم وجود رد الفعل إذن مسؤول قبل البابا شنودة.

لقد أدركت أمريكا مدى ضعف العرب وهشاشتهم وعدم قدرتهم على رد الفعل فأخرجتهم من حسبانها (دعنا الآن من أن هيكل لم يفسر لنا لماذا ظلت أمريكا على نفس الموقف بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو وقيادتها للعالم العربي).

كان علينا مواجهة العنف بالعنف فلم نفعل فكان حقا أن يفعل بنا البابا شنودة ما يفعله.

عدم قيامنا برد العنف المستعمل ضدنا بعنف أشد هو الذي وصل بنا إلى هذا الحال.

وزير التربية والتعليم مسؤول قبل البابا شنودة.

وزير التعليم العالي مسؤول قبله، ووزير الإعلام أيضا.

كل كاتب وكل ممثل وكل مخرج وكل مؤلف تبني وجهة النظر الصليبية اليهودية في الإسلام والمسلمين مسئول قبل البابا شنودة.

كل...

كل...

كل...

.. مسؤول قبل البابا شنودة.

والحقيقة أن الوحيد الذي ألتمس له العذر هو البابا شنودة، بل لعلى أهنئ طائفته به.

رجل وجد هذا الخنوع كله فلماذا لا يركب ويدلى ساقيه.

رجل وجد هذا الخضوع كله فلماذا لا يتسلط.

في العلاقات، ابتداء من العلاقات بين الرجل وزوجه وانتهاء بالعلاقات الدولية تسيطر نظرية الفراغ، فهو غير مسموح به، وإذا ما تخليت عن مساحة لا بد أن يملأها طرف آخر.

ولقد أفرغ الطاغوت الدولة من الإسلام فكان لابد أن تحل المسيحية محله وأن تتصرف الـ ٦٪ كأنها الـ ٩٤٪.

نعم، تسبب الطاغوت من أكبر ملك إلى أحقر مخبر في فقدان التوازن الطبيعي.

وعندا يفقد التوازن الطبيعي تختل الطبيعة بنفس نوع الخلل القائم الآن والذي يمثل البابا شنودة أحد طرفيه.

نعم.

ومن أمثلة ذلك انتشار العنكبوت الأحمر ودودة اللوز في مصر في أعقاب استخدام بعض المبيدات الحشرية بإسراف شديد وبطريقة غير محسوبة. ولم تكن مثل هذه الآفات مصدر خطر للنباتات فيما مضى، ولكن قتل المبيدات لأعدائها الطبيعيين ترك لها حرية التكاثر.

وكمثال واحد على التوازن الذي أنشأه الله تعالى، وكيف يخربه الإنسان ما جرى في ماليزيا في الستينيات. فقد قررت الحكومة هناك استعمال مادة د. د. ت السامة في الغابات والمستنقعات لقتل بعوض الملاريا. وفعلا مات البعوض، والتهم من قبل الصراصير. ولكن تمرضت هذه الصراصير فسهل التقاطها من قبل السحالي التي

أصبحت بدورها فريسة سهلة للقطط. ثم ماتت القطط بالتسمم فتكاثرت الفئران بشكل كبير، فتكاثرت براغيث الطاعون التي تعيش على أجسام الفئران. وهنا اندلع وباء الطاعون، وهلك نتيجة لذلك أكثر مما كان ممكنا للملاريا أن تقتل في سنين!!.

فهل أدركتم الآن يا قراء لم سيطر وكيف سيطر كل من أراد أن يسيطر ابتداء من أمريكا ومرورا بإسرائيل ثم بأقباط المهجر ثم بالبابا شنودة ثم بأقباط الداخل ثم بكل عدو لله ولرسوله وللمؤمنين.

هل أدركتم أن المشكلة ليست في قوة غير طبيعية للبابا شنودة بل في ضعف غير طبيعي للمسلمين، و أن العلاج يأتي بتقوية الإسلام لا بإضعاف البابا شنودة (وإن كان ذلك لا يمنع من محاسبته أو حتى محاكمته).

هل أدركتم أن المشكلة ليست في البابا شنودة بل في الرئيس مبارك وشيخ الأزهر، وفينا.

***

ليس ثمة تثريب على الشباب لهف قلبي عليهم، أولئك الأطهار الذين جعلوا من أجسادهم سياجا يحمون به الكنيسة ومن فيها حتى لو كان بعض من فيها أشرارًا وفجارًا، لا تثريب عليهم منذ حاولوا قبل ذلك بشهور طويلة أن يستدروا عطف ديوث كي يغار على دينه لكن كيف يغار ديوث أجاب بصلف و كبرياء: «سوف نرى» دون أن يدرك أنه أعمى البصيرة، لا تثريب على الشباب الذين صبروا ثمانية شهور طويلة وهم ينتظرون رد فعل من مسؤول، دون أن يدركوا لَهف قلبي عليهم أنه لم يعد في بلادنا مسؤول، ثمانية شهور وهم يكتمون الأمر بين ضلوعهم جمرا تتلظى عليه جنوبهم وهم يلتزمون بالصمت، تستعر النار فيخفونها خوفا من انفجار الفتنة و أملا في رشيد يطفئ النار قبل أن تستفحل.

لكن أي رشيد.

أي رشيد.

أي رشيد والرئيس مبارك نفسه، والمفروض أنه أمين على الدين والأمة يعز النصارى ويلتمس رضاء اليهود ويذل المسلمين ويدعى أنه على الحياد بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وهو ادعاء غير صحيح، فهو في الواقع على الحياد بين الخونة من الفلسطينيين والإسرائيليين، وثلاثتهم ضد فلسطين المؤمنة المسلمة الصابرة.

مبارك هذا، كي يجامل النصارى، أعلن في إحدى خطبه رغم كل ما لديه من معلومات أن عدد الأقباط يصل إلى ١٠٪، ولم يكن ما قاله مبارك صادقا، ولا كان خطأً عن سهو، بل كان خطأ متعمدا أراد به أن يجامل النصارى على حساب المسلمين ، و أن يعضد كلينتون الذي كان قد صرح بنفس الرقم قبلها بأيام، ولم نكن نريد منه أن يكذب، بل كنا نريد أن يقول الحقيقة.

والحقيقة أن مواقف مبارك هي المسؤولة عن حالة الاستخذاء العنيف للسلطة ورجالها أمام الأقباط. ومواقف مبارك هي التي دمرت النخوة والقدرة على المواجهة، وحتى الدفاع عن النفس. دمرتها في الأجهزة التي كان ينبغي أن تكون سياجا يحميها، فإذا بها بالذهول كله وبالغباء كله وبطاعة المخلوق في معصية الخالق تدمرها تدميرا لصالح عبادة الطاغوت لعن الله كل طاغوت وكل من أطاعه.

***

نعم.

استمرار السياسة الحالية.

استمرار الرئيس مبارك.

ليست مجرد خطر على الدين، بل على الأمة والدولة والحكومة أيضا.

أما البابا شنودة فأمره هين جدا.

رجل وجد فراغا، فلماذا لا يملؤه، ووجد نفاقا فلماذا لا يستثمره، ووجد ظهرا محنيا فلماذا لا يقفز عليه ويتبختر؟ !.

هل تريدون رأيي؟

لو لم يفعل لكان مخطئا!!

والحقيقة أنني حرصا على الوطن أركز على هذه النقطة و أرجو أن ينتبه أبنائى وإخوتي لها.

نحن نقول أن الأقباط يستقوون بأمريكا و بإسرائيل.

دعنا من القيمة الأخلاقية لذلك، ودعنا من خطورته الهائلة على الأجيال القادمة من النصارى عندما يعتدل الميزان.

دعنا من ذلك وذاك، لنقول أن هذا الاستقواء أمر حقيقي لا شك فيه.

لكن هناك استقواء آخر خفيا لا نكاد ندركه ولا نكاد نتنبه إليه.

وهو استقواء نظام الحكم المصري – والعربي أيضا– بالنصارى، وهذا الأمر أيضا حقيقة لا شك فيها.

نعم.

تماما كما تمثل إسرائيل مفتاح قلب أمريكا (لعن الله إسرائيل و أمريكا) فإن الأقباط يمثلون بالنسبة للحكومة المصرية وللنخبة المستغربة درعا واقيا من غضب أمتهم عليهم، وملاذا آمنا وغطاء أمام أمريكا و إسرائيل.

هذه النقطة هامة جدا.

استقواء النخبة الفاجرة الكافرة (دون تعيين) بالنصارى.

هذه النخبة التي فقدت كل دعم وكل تأييد من أمتها ولم يبق سوى دعم الجيش – الذي تخلى عن مهمته وانقلب على عكسها) والأمن (الذي يقوم بأشد الأعمال

إجراما وخسة وقذارة، حتى إنه يمثل اليد القذرة للموساد والسي آي إيه) : (انظر ماذا يفعل الأمن والجيش في بنجلاديش على سبيل المثال!)

هذه النقطة هامة جدا، لن أمل من التركيز على ذلك، لأنها تعني أن هناك حلفا غير مقدس بين الحكومة والنخبة والعلمانيين والملحدين والبلطجية والنصارى في طرف وفي الطرف الآخر توجد الأمة ودينها و أمنها ومستقبلها.

هذا حلف لا شك فيه و إن أنكره الجميع، لكنه يتبدى بصورته الكاملة في شخصين يعدان من أبغض الشخصيات في الوجدان الجمعي: رفعت السعيد وعلى سالم، لا أغمط حق الآخرين لكن أمرهم أتفه و أحقر من أن يذكر.

يتبدى بصورته الكاملة في هذين، أما صورته الأخطر فلا ندركها أبدا، لأنها تدور في كواليس أعلى طبقات الحكم، حيث يتم تحذير الغرب دائما من الديموقراطية لأنها ستأتي بالمسلمين إلى الحكم وهم ضد أمريكا والأقباط.

مخبر السيدة زينب، حوذي الوزير الشاذ، الذي ادعى أنه مضطهد طول عمره لأنه يطالب بالديموقراطية، لكنه عندما ذاق خمر الشاذ انقلب على عقبيه وراح يصرخ: ولكن الديموقراطية هي التي أتت بهتلر.

الغريب أن هذه النخبة الخائنة والتي تبني فكرها على العلمانية – أي الإلحاد- لا تعادي من الأديان إلا الإسلام، ولا تعادي من المناسك إلا مناسكه، أما فيما يتعلق بالأديان الأخرى، حتى البوذية فإنها تعامل بنفس الاحترام التي عوملت به أصنام بوذا في أفغانستان. الامتهان فقط للإسلام، وهذا يدل – فيما يدل – على أن موقفها ليس موقفا فكريا، وإنما هو موقف العاهرة التي تهاجم الدين ليس لأنها فقدت الاقتناع به، و إنما لأن ضوابطه تحول بينها وبين شهواتها ومكاسبها.

وهذه الفئة الخائنة المجرمة، المدلسة الكاذبة المزورة، والتي ظلت لأكثر من قرن تربط ما بين العلمانية والعلم، وهذا كذب (على مستوى كتب الفلسفة وليس

الدين). كما ظلت تربط بالإفك ما بين الحداثة والتحديث، فالأولي كفر وخيانة، والثانية واجب و أمانة، ولست أنسى أبدا مخبر قسم السيدة زينب وهو يصرخ على شاشات التلفاز: فلنعد إلى ركوب الإبل إذن!.

***

كثيرون هم الذين يلعبون نفس اللعبة القذرة، وكثيرون هم الذين يسوقون لأنفسهم ويروجون لها كما تروج البغي لنفسها.

فقط.

افتحوا أعينكم وراقبوا.

لكن، و أنتم تفعلون ذلك قولوا لا إله إلا الله سبحانه جل وعلا شانه، محمد رسول الله.

انظروا إلى مثوى هؤلاء الآن وكيف ينظر الشعب إليهم.

انظروا إلى فكرهم في مزبلة التاريخ، وانظروا إلى الإخوان المسلمين وتأييد الشعب الكاسح لهم، بل تأييد الله إن شاء الله.

***

حسم العلمانيون والمستغربون أمرهم وانضموا إلى أعداء الأمة.

كانوا قد باعوها وخانوها و أدركوا أنها لفظتهم فمدوا أعينهم و أيديهم إلى الحلف المدنس.

بدءوا كالحية الرقطاء بالتسلل مدعين أن العلمانية من الإسلام و أن الماركسية نظرية اقتصادية لا تتعارض مع الإسلام، ثم كانت الخطوة التالية: العلمانية مذهب يمكن أن يتفق عليه الجميع مع كامل الاحترام للإسلام، ثم لا إسلام بعد اليوم، وبعد أن كانت العلمانية – كما ادعى الفجار – وسيلة لتحقيق العدالة، أصبحت هي

الغاية، و أصبح الإسلام مرفوضا و إن حقق العدالة.

***

انظر مثلا إلى الدكتور علاء الأسواني الذي لم أعترف له بموهبة قط، وحينما كنت مسؤولا منذ ما يقرب من خمسة عشر عاما عن صفحة عبد الله النديم في الشعب فقد رفضت بإصرار انضمامه إلى كتابها، كما أنني فيما بعد ذلك لم أعترف بموهبته، فقد أدركت إنه يسير على خطا الشيطان من مسيلمة إلى فاروق حسني وصلاح عيسى وعصفور و... و... ولم يختلف موقفي بعد صدور روايته عمارة يعقوبيان، حيث الجنس المبتذل، والقطيعة المعرفية وانعدام المرجعية، وبعض الغزل لليهود ثم الدفاع عن الشذوذ الجنسي، وهذه مقومات نجاح العمل الأدبي بمفهوم العلمانية والحداثة. خاصة إذا صحب العمل ضجة إعلامية لم يظفر بها كاتب في مصر من قبل، ومسارعة من الجامعة الأمريكية لترجمتها لإنجليزية، ثم أعقبتها ترجمة للإيطالية، وكلف وحيد حامد بكتابة السيناريو للفيلم السينمائي الذي تصدى لإنتاجه عماد الدين أديب (!!) راصدا لإنتاجه ٦٠ مليون جنيه!! واستدعاء كبار الممثلين لتمثيله كعادل إمام ونور الشريف ويسرا وإسعاد يونس وهند صبري ومحمد عادل إمام وسمية الخشاب وخالد صالح، خالد الصاوي وأحمد راتب وأحمد بدير وعبد المنعم وباسم سمرة وأحمد صلاح. بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من الفنانين الذين وصل عددهم إلى ١٦٠ فنانا. بل وتقرر أن يكون أول فيلم عربي يعرض تجاريا في أمريكا، و...و...

كان واضحا أن الأمر يتعلق بصناعة نجم، بل كانت فضيحة صناعة نجم سوف يؤيد إسرائيل غدا والصليبيين بعد غد وسيظل ضد الإسلام على الدوام، ومن أجل هذا يربى اليوم، ويمنح ما لم يمنح لنجيب محفوظ نفسه، ولم يلتفت أحد إلى نقاد كبار عندهم صغار عندنا كفاروق عبد القادر الذي أكد أن الرواية متوسطة القيمة،

وأنها تسيء إلى المصريين كما قال صبري العسكري أنها مستنسخة من أعمال نعمان عاشور، لكن أحدا لم يلتفت إليهما.

***

إنني أريد أن أنبه القارئ إلى أمر بديهي جدا، و هو أن أي اثنين يتواطآن على ارتكاب الفاحشة، لا يفعلان ذلك في العلن أمام الناس، ولا يحتاجان إلى جدل، تكفي غمزة أو إشارة أو لفتة أو كلمة عابرة لا يلتفت إليها إلا شريك التواطؤ.

وما يتم في سبيل التواطؤ على ارتكاب الفاحشة يحدث أيضا في التواطؤ على خيانة الأمة والدين والوطن.

أظن أن شيئا من هذا القبيل قد حدث من بعض ضباط الجيش العراقي وأمريكا قبيل سقوط بغداد، و أن كثيرا منه لا يكف عن الحدوث بين حكامنا وبين أروقة المخابرات في الغرب.

***

نعود إلى علاء الأسواني، الذي كان عليه أن يسدد ثمن الأفضال التي أسبغت عليه، بالغمزة أو الإشارة أو اللفتة أو الكلمة العابرة، لذلك، فما أن حدث ما حدث في الإسكندرية، إلا وقد انطلق النجم وانبرى، لا ليدين الإساءة البالغة والمسرحية السافلة والكهنة الساقطين، بل ليدين المسلمين أولا!! الذين أدى تطرفهم إلى تطرف بعض المسيحيين الودعاء الطيبين، أو على حد نص الكلام المنشور في صحيفة العربي: «يجب أن نذكر، بصراحة. أن التعصب ضد الأقباط قد أدى بهم إلى تعصب مضاد، وهذه ظاهرة طبيعية، فلو أن طالب الطب القبطي المظلوم، قدر له أن يتولى منصبا قياديا فسوف يتعصب على الأرجح للأقباط ضد المسلمين الذين ظلموه، وقد آثر الأقباط الانسحاب والتقوقع وعزفوا عن المشاركة وتحولت كل مجتمعاتهم إلى كيانات مغلقة عليهم وأصبح القبطي يمارس كل أنشطة حياته عن طريق

الكنيسة وحدها، ».

أما طالب الطب فلنترك النجم يروي روايته:

حدثت هذه الواقعة أثناء الامتحان العملي في إحدى كليات طب الأسنان، انتهي الطالب من علاج أسنان المريض، وجاءت الأستاذة لتقييم عمله وإعطائه الدرجة، فأعجبت بمهارته وقالت:

- شغلك ممتاز، سأعطيك الدرجة النهائية.

ابتسم الطالب في سعادة، وسألته الأستاذة وهي تتصفح كشف الأسماء:

- اسمك إيه.؟

- إيهاب أمين.

- قل اسمك بالكامل

- إيهاب أمين جرجس.

هنا بدا الامتعاض على وجه الأستاذة ومنحته درجة أقل بكثير من الدرجة النهائية التي وعدته بها، لأنه قبطي، ليست هذه الحادثة شاذة ولا نادرة في كليات الطب، فالطلاب الأقباط يتم إنقاص درجاتهم عمدا حتى تفوتهم فرصة التعيين كمعيدين في الجامعة، ولو أفلت أحدهم في غفلة من الزمن وتم تعيينه فإن إدارة القسم تتعمد غالبا إسقاطه في امتحان الماجستير مرة بعد أخرى حتى يستبعد من الجامعة، هذا الظلم الفاحش، المنافي لأبسط قواعد الدين والأخلاق، يحدث يوميا من سنوات ويعرفه كل طلاب وأساتذة الطب في مصر، ولا يقتصر اضطهاد الأقباط على كليات الطب ولا على الجامعة بل يتعدى ذلك إلى مجالات الدولة جميعا، فالمحافظون ورؤساء الجامعات وقادة الجيش ومديرو الأمن والنائب العام، كلها مناصب محجوبة عن الأقباط، التمييز ضد الأقباط حقيقة.

***

عندما أسمع هذه النماذج البشرية، أتصور أنهم ينتظرون من كل مسلم أن يعتذر لأنه مسلم ، و أن يعترف بالخطأ، ويقلع عن الإسلام فيتوب!! ويدهشني سيطرة الخلفية الصليبية على وجدانهم فكل ما يتعلق بالإسلام مدان ولا مبرر له، وكل ما هو متعلق بأي دين آخر محترم ومصان ومقدس وتستدعي دواعي اللياقة والكياسة (والجنتلة!) أن نتحدث عنه باحترام عظيم.

إنني أتعمد التفصيل في هذه النقطة، لا لكي أكشف ما تعلنه كلمات علاء الأسواني، ولا لأفضح ما يضمره قلبه وهو أكبر، و إنما لأعرض أمام القارئ نموذجا تفصيليا لكيفية صياغة الأكاذيب وتلوينها حتى لو اعتمدت في بعض أجزائها على وقائع حقيقية أو صادقة.

نعم.

هناك تحيز في بعض الأقسام في بعض كليات الطب ضد المسيحيين – وهو خطأ لا ندافع عنه أبدا–، لكنه خطأ فردي، لأن ذلك الخطأ لو كان عاما أو جماعيا لوجدنا على سبيل المثال أن عدد الأطباء الأقباط نصف نسبتهم العددية في المجتمع، فإن كانت نسبة الأقباط أقل من ٦٪ فإننا نتصور أن نسبة الأطباء ستكون ٣ أو ٤٪ مثلا.

لكن الحقيقة التي تخرق كل عين ومنها عيني علاء الأسواني أن الأقباط يملكون ٦٠٪ من الصيدليات، و ٤٥٪ من العيادات الطبية الخاصة!!.

نعم.

٤٥٪ من العيادات الخاصة ومنها طبعا عيادات الأسنان.

فهل تشعر بالاشمئزاز أيها القارئ من طريقة نجومنا في نسج الأكاذيب وتلوينها وتوظيفها في النهاية ضد الأمة والدولة.

٤٥٪ من العيادات الخاصة ومنها طبعا عيادات الأسنان.

يا له من اضطهاد جميل ليت الأكثرية الإسلامية تتعرض لمثله.

وسوف أقول الآن أمرا يبدو متناقضا مع هذه النسبة، لكنني سأفسره على الفور.

مع الاحتلال الفرنسي القصير انحرف كثير من المسيحيين كما انحرف كثير من المسلمين، ومالؤوا المحتل، وبعد هزيمة نابليون وفراره ثم انسحاب الحملة كلها بدأ الغزو الثقافي عن طريق محمد على وبعثاته (هناك وثائق تؤكد أن فرنسا قبل انسحابها كانت قد رتبت الأمور لمحمد على لكي ينتهي الحكم إليه، على أي حال، سادت الثقافة الفرنسية واستبدل الغزو الثقافي بالغزو العسكري. في هذه الفترة أنشئت كلية الطب وكان كل أساتذتها من الأجانب، الذين اختاروا فيما بعد أكثرية من المسيحيين، واضطهدوا المسلمين في استقواء خسيس بالمستعمر، حتى أن بعض الأقسام كقسم النساء والولادة في طب القصر العيني، ظل عشرات الأعوام لا يسمح لمسلم واحد فيه بالتخصص في النساء والولادة تحت رئاسة أستاذ القسم العالمي المشهور: الدكتور نجيب محفوظ.

بعد معاهدة ٣٦ بدأ رد الفعل العكسي، و أصبح ممنوعا على أي مسيحي أن يتخصص في هذا الفرع، واستمر الأمر نصف قرن حتى بدأ التوازن يعود من جديد.

لكن..

على الرغم من ذلك ظل الأقباط يملكون ٦٠٪ من الصيدليات، و ٤٥٪ من العيادات الطبية الخاصة.!!

والحقيقة أن مثل هذه الأحداث – خاصة من ناحية المسلمين – لا تعود إلى تفرقة دينية بقدر ما تعود إلى عصبية قبلية، كتلك التي نشاهدها ما بين جامعة القاهرة وعين شمس، أو ما بين جامعات القاهرة والأقاليم. و أفسر التناقض فأقول: يوجد قدر قليل جدا من التمييز ضد الأقباط، ولن أجامل في الحق يا قراء، إنه تمييز يكاد أن يكون مشروعا، ففي القرنين الماضيين أدى استقواء الأقباط بالغرب إلى خلل

جسيم في الموازين، جعل الأقباط الذين يمثلون أقل من ٦٪ يمتلكون ٦٠٪ من الصيدليات و ٤٥٪ من العيادات. و أظن أن هذا لو حدث في بلد غير مسلم، لتم استصدار قرارات مشددة بوقف التحاق أبناء الأقباط بكليات طب الأسنان وكليات الصيدلة، وأن ما منع صدور هذا القرار: ليس إلا سماحة الإسلام.

أما عن الغبن الكاذب الذي يشعر به الأقباط فهو كالحمل الكاذب، فإن لم يكن فلتخطيط فاجر، إن – بعضهم- يحنون إلى عهد الاستعمار عندما كانت له اليد الطولى، يحنون إليه فيستدعون الأمريكي القذر لاحتلال البلد، ولست أدري كيف غفلوا وقد عاشوا معنا مئات القرون، عن أن قوة التوحيد في قلوبنا، تجعلنا ننكسر ونخسر لكننا لا نهاب ولا ننهار. ونحن نعرف على سبيل المثال أن أمريكا أقوى، و أن بوش أقوى لكن البغل أيضا أقوى فإذا أخذت الذبابة شيئا من أي منهما – بوش أو البغل- لما استطاعا استرداده، ضعف الطالب والمطلوب. وفي نفس هذا الإطار دار الحوار بين الغازي المنتصر نابليون وبين علماء الأزهر، وراح نابليون يمارس ألاعيبه كي يبهرهم ويقهرهم ويجعلهم يدركون أن لا قبل لهم بنابليون وجنوده، لكن عالما من العلماء أدرك ذلك فأجابه إجابة صاعقة: فالله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب، كانت الإجابة تحمل عمق التاريخ من الثراء الروحي والعمق النفسي، والقدرة على امتصاص أي قدر من الهزائم، ثم الاستعانة بمن يأتي بالشمس من المشرق والانتصار من جديد، كان المعنى يحمل ذلك، لكن مخبر قسم شرطة السيدة زينب، القذر، جعل من هذا الرد المعجز مادة لتنذره ودليلا على تخلف المسلمين وظلاميتهم. وكان هذا دأب كل أعضاء الحلف المدنس، غير المقدس.

لكننا نعود إلى قصة الدكتور علاء الأسواني لأنها نموذج للكذب الذي لا يقف على قدمين أبدا، و أنا لا أتمالك إلا الدهشة: ألم يسعف النجم الساطع خياله ليحبك الكذبة أكثر.

نعود إلى الفرية التي تنتهج نهج الميلودراما المباشرة الساذجة:

فالأستاذة تمتحن الطالب دون أن تعرف اسمه!! ودون أن يوزع عليها رئيس القسم قائمة بأسماء الطلاب الذين وزعهم عليها لتمتحنهم، ودون أن تطلع على بطاقته خشية أن يأتي آخر ليمتحن بدلا منه، ثم هي لا تعرفه، وهذا يعني أنه في الأغلب الأعم ليس في الماجستير أو الدكتوراه، لأن عدد الطلبة القليل في الشهادتين يجعل العلاقة مع الأساتذة مباشرة، إذن، الطالب في الكلية، والأستاذة لا تعرفه، ولم تسأله عن اسمه منذ البداية، واكتمال الكذبة يستدعي أن تنبهر الأستاذة بإجاباته، لتكتشف أنه مسيحي، فلا تعطيه الدرجة التي يستحقها.

لم يقل لنا النجم الساطع مصدر معلوماته ولا من حكى له الحكاية، المفترس أم الفريسة، ولم يكن يستطيع أن يقول لنا أنه سمعها بنفسه، لسبب بسيط، أنه درس ماجستير طب الأسنان في جامعة أمريكية.

القصة إذن فبركة الدكتور علاء الأسواني، ونعم، توجد أخطاء فادحة ويوجد تحيز، وقد يكون ضحاياه أحيانا من الأقباط لكن الضحايا معظمهم من المسلمين.

يلح عليّ سؤال لعلاء:

- هل تصلي؟ !.

ويلح عليّ سؤال آخر، إذا كان الظلم يحيق أحيانا ببعض الأقباط فلا يعينون في مناصب معينة – دون أن يؤثر هذا على النسبة العامة: الأقباط يملكون ٦٠٪ من الصيدليات، و ٤٥٪ من العيادات الطبية الخاصة. أقول إذا كان هذا يحدث فهل يمكن أن يخبرني النجم الساطع عن عدد الذين يحرمون من تولي أي منصب في الجامعة لأنهم يصلون الفجر جماعة في المساجد؟ !.

هل يمكن أن يخبرني عن أي مكان يمنع المسيحيون من ارتياده لأنهم ملتحون،

أنا أخبره بعشرات الأماكن يمنع المسلمون من ارتيادها حتى في الأفراح، عشرات الأماكن و أولها النوادي العسكرية.!!

هل يملك علاء الأسواني للسؤال إجابة؟ !

هل يمكن أن يفسر لي علاء الأسواني تسامح الدولة بلا حدود مع الأقباط وشبابهم الذين نكلوا بالشرطة وضربوهم ومع الخنزير زكريا بطرس، وقسوتها بلا حدود مع المسلمين.

هل يمكن أن يفسر لي علاء الأسواني إلى من تنحاز الدولة وهي تصر على إغلاق صحيفة الشعب التي كان علاء من كتابها – للأسف – ثم لا تجرؤ على العبث بحق – مشكوك فيه – يجعل من حق كل كنيسة أن تصدر صحيفة لا تجرؤ حتى الكلاب على النباح عليها؟ .

هل يمكن أن يفسر لي علاء الأسواني شيئا عن قناة الخنزير زكريا بطرس الذي يحصل على أكثر من مائة وعشرين ألف جنيه مقابل كل عظة ينطقها الشيطان على لسانه، وكيف لا يجرمه القانون ولا يحرمه البابا (الذي حرم جمال أسعد بسبب معارضته).

وهل يمكن أن يفسر لي أمر القناة القبطية الأخرى التي لا نعرف عنها شيئا سوى ما قاله الأب بيشوي الأنطوني المدير العام للقناة التي سميت قناة (أجابي) التي تعني المحبة بالقبطية و أنها تسعى إلى ربط الأقباط الموجودين في مصر بالأقباط الموجودين في الخارج وأن ننقل كلمة الرب.

وأضاف نقول أن قناتنا ستقربنا من المسلمين وقد يفهموننا أفضل وأفضل من خلال القناة. وسيقدم برامج القناة كهنة وشمامسة وستذيع في البداية ساعتين يوميا تجري إعادة بثها. ويرأس القناة الأنبا شنودة بابا الأقباط وتمول من التبرعات.

***

ونقل التقرير عن الأب بيشوي الأنتوني أحد المديرين التنفيذيين في القناة قوله: القناة تخضع لتوجيه البابا شنودة الثالث نفسه، الذي عين لجنة عامة تتشكل من ١٣ أسقفا لإدارة القناة. وأضاف: القناة تتم إدارتها من داخل دير في شمال شرق القاهرة.

كان قد تقرر بدء بث القناة الفضائية في ١٤ نوفمبر الماضي على القمر الصناعي الأمريكي تيليستار ١٢ الذي يغطي مصر وعدة دول إفريقية.

هل يمكن أن يفسر لي علاء الأسواني أمر القناتين الأخريين، قناة ستمنح للحيزبون نوال السعداوي والأخرى لحمدي قنديل.

لاحظوا أن كل القنوات الآن ضد الإسلام فإذا أضفنا القنوات الحكومية ازداد الأمر سوءا، كما يزداد سوءا مرة أخرى عندما نكتشف عدم وجود أي قنوات دينية مصرية.

ومرة أخرى لاحظوا يا قراء ذلك الحلف المدنس لا المقدس بين النظام والعلمانيين والشيوعيين والأمن ثم الأقباط من ناحية والاتجاه الإسلامي من الناحية الأخرى.

نعم حلف مدنس تصل الخسة فيه إلى حد مدهش، فالمثقفون يبررون جرائم السلطة – لا أقصد جرائم الرأي، ولست أراها جرائم- ولا تهتز لهم شعرة لعشرات الآلاف من المعتقلين ما داموا مسلمين، ولا لعشرات المقتولين بيد المحاكم العسكرية، ولا للتزوير، وقد ترتب على هذا كله تفشي الفساد بصورة مروعة لم تحدث أبدا، ذلك أن المجرم القاتل المعذب المزور لن يستنكف أبدا عن سرقة البلاد في منظومة يزعمون أنها لمحاربة الإرهاب وإنما هي حرب على الإسلام يتحاكمون فيها إلى الطاغوت وقد أمِروا أن يكفروا به، يقوم المثقفون إذن بمعظم الدور الداخلي، ثم يأتي الأقباط يضمنون رضا الطاغوت الغربي على مواجهة دين أهل

البلاد بأي طريقة، ولو بتزوير الانتخابات، ولو بالتعذيب والتشريد والقتل. أما الشيوعيون فهم أخس الجميع وهم سماسرة بيع شرف الأمة، ولاحظوا يا قراء، أن الشيوعيين، رواد الإلحاد و أساتذة الكفر يتحدثون بمنتهى الاحترام عن القبط – دون المسلمين– وتنهال أموال الأقباط عليهم، و أصواتهم أيضا في الانتخابات.

ورغم حجم المرارة الطافحة فإن هذا الحلف طبيعي وكان علينا أن نتوقعه لا أن نندهش له، ذلك أن الإسلام حين – بإذن الله – ينتصر سوف يكتسح هؤلاء جميعا كما يكتسح فيضان النهر أكداس القمامة والجيف التي ترسبت في مجراه فترة الجفاف.

نعم.

عندما ينتصر الإسلام بإذن الله سوف يقضي على الطاغوت، والفساد، والعمالة، والخيانة، والمال الحرام. والتزوير. والتهريب. والتعذيب. وسوف يحجم فساد القضاء، وسوف يحاكم أجهزة أمن وعدل حولت القانون إلى سكين في يد مجنون، وسوف يعيد النصارى إلى حجمهم الطبيعي: أقل من ٦٪، وسوف يتمتعون بحقوق أكثر من حقوق أي ٦٪ أخرى في العالم!!.

فهل أدركتم يا قراء أن هذا الحلف كان محتما.

و أن مواجهة عنصر واحد من عناصره تمثل خطأ عقديا وإستراتيجيا أيضا وذلك ما أنبه إليه و أحذر منه.

إن أطراف الحلف الخسيس كلها، كل منها يستتر خلف الآخر – بمنتهي الخسة والجبن– ليستتر الجميع خلف البابا شنودة، الذي يسلط أتباعه في الداخل والخارج للتحذير من المسلمين.

إن المستفيد الرئيسي من هذا الحلف المدنس هم كل الطوائف التي ذكرت، ما عدا النصارى، فهم ضحاياه. ذلك أن وضع الآخرين جميعا مؤقت سرعان ما تلفظهم الأمة كما يلفظ الجسد خبثه، وكما يطرد الخراج صديده وكما يطرد الحديد

صدأه، نعم وضع هؤلاء جميعا مؤقت وعارض، أما الدائمون معنا فهم النصارى، الذي لن ينسى المسلمون لبعضهم أبدا أنهم خانوهم وقت الأزمة، وكانوا عونا عليهم لا لهم.

ترى: ماذا يمكن أن يحدث لهم إذا اعتدل الميزان؟ .

هل يرضى النصارى أن يعاملوا بعد عشرين عاما كما يعامل المسلمون اليوم في أمريكا؟ !.

أطراف الحلف الخسيس كلها إذن تستتر خلف النصارى ليكون الصدام مباشرا بين المسلمين وبينهم فهذا سيكون أفعل في الاستقواء (لا يراعي المجرمون خطورة ذلك على الأمة).

والمطلوب ألا يستدرج المسلمون إلى هذا.

إنني أخشى من أن يفهم البعض مما سأقوله على الفور أنني ضد المظاهرات التي خرجت تندد بالمسرحية السافلة والكهنة الساقطين ومغارة اللصوص، على العكس، لو استطعت أن أقبل قدم كل من خرج محتسبا لينصر دينه لفعلت.

بالطبع، أنا ضد أي نوع من التخريب.

لكنني في نفس الوقت أرى أن السبب في التخريب ليس العامة الذين استثارتهم المسرحية الفاجرة، بلْ الأجهزة الفاسقة التي علمت بالكارثة ولم تتحرك.

كان يمكنها أن تطفئ النار فلم تطفئها، ليس مجرد إهمال لأمر الإسلام والمسلمين، ولا مجرد تفريط في أمن الدولة، بل تصعيدا للصراع بين المسلمين وبين النصارى.

لاحظوا يا قراء أنهم جميعا و أولهم البابا شنودة يميلون إلى التصعيد، ذلك أنهم يظنون -أخلف الله ظنهم- أن الظروف لم تكن في صفهم عبر التاريخ كله كما هي الآن، و أن أمة الإسلام لم تتشرذم كما هي الآن، و أن الحكام لم يكونوا أبدا أشد

خيانة وفسوقا مما هم الآن، و أن النخبة لم تخن أمتها كما تفعل الآن، فلماذا لا ينتهزون الفرصة إذن.

بل، أليس هذا المعنى بتمامه هو عنوان الكتاب الشهير لريتشارد نيكسون – الرئيس الأمريكي الأسبق- الذي كتب كتابا بعنوان : «انتهزوا الفرصة».

بعد انهيار وتفكّك الاتحاد السوفيتي وسقوط المعسكر الاشتراكي وإثر حرب الخليج الأولى انتهى النظام العالمي «القديم »متعدّد الأقطاب ليحلّ محلّه نظام أصطلح على تسميته بالنّظام العالمي الجديد وساد رأي بالإدارة الأمريكية وخاصة لدى صنّاع القرار مفاده أنّ الولايات المتّحدة «حققت قيادتها المطلقة للعالم لأنّها استطاعت أن تمسك باللّحظة التاريخية الفريدة التي توفّرت لها» وعليها منذ الآن أن تستعمل كلّ إمكاناتها المادّية والمعنوية للحفاظ على هذا المكسب وأن تؤسّس له للاستئثار بريادة العالم وزعامته وإعادة صياغته وتشكيله من جديد وفق المصالح القومية الأمريكية، وكيف لا وهي التي تتمتع بتفوق لم تصل إليه أعظم الإمبراطوريات منذ فجر التاريخ : «فهي تمارس سيطرة لا نظير لها على كل أنحاء العالم وتنتشر قواتها حوله من سهول أوروبا الشمالية إلى خطوط المواجهة في شرق آسيا» وعلى امتداد وطننا العربي «كما تسيطر على النظام المالي العالمي وتوفر أكبر مجمع لرأس المال الاستثماري وأوسع سوق للصادرات الأجنبية » بحيث إذا هبطت الأسهم في وول ستريت تداعى لها الاقتصاد العالمي بأسره. فكان أن سيطرت على صانعي الاستراتيجية الأمريكية فكرة الفرصة التاريخية السانحة فصدرت في تلك الفترة كتب ودراسات تؤسس لهذه الغاية وتعمل من أجل هذا الهدف حتى إن الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون نفسه أصدر كتابين أحدهما بعنوان (انتهزوا الفرصة Seize The Moment) والثاني ١٩٩٩ نصر بلا حرب (Victory Without War 1999) شدّد فيهما على نفس الأفكار المشار إليها

وحذر في الكتاب الثاني من الإسلام الذي سماه «المارد الأخضر» في إشارة إلى «المارد الأحمر» الشيوعي المتمثل بالاتحاد السوفيتي المنهار.(نايلي نبيل، باحث في الشؤون الاستراتيجية. جامعة باريس المشروع الإمبراطوري في السياسة الأمريكية: من التطهر التبشيري إلى استراتيجية الصدمة والتروي).

كما يحاول اليهود جر العالم إلى حروب مهلكة يخرجوا هم منها سالمين ظافرين، فإن النخبة المجرمة وجميع أجنحتها من ضباط ومثقفين وكلاب صيد تمزق وخنازير تدنس وكهنة ساقطين وكتبة كذبة فاسدين، كل أولئك يريدون تفجير الفتنة في مصر لعل أمريكا تأتي لتنصرهم نصرا حاسما.

لست قلقا من ذلك، فلدي وعد مكين من رسول أمين بأن مصر في رباط إلى يوم القيامة. لكنني أريد أن أحقن الدم، و أرى أن التوجه يجب أن يكون تقوية الإسلام وليس مواجهة النصارى.

إنني لست ضد التظاهر، بل أنا معه ومع الإفراط فيه بضوابطه الشرعية قبل الأمنية، و أعود إلى التذكير بما قاله هيكل، من أن أمريكا غيرت موقفها من العالم العربي عندما وجدته لا يقاوم، لو قاوم ما حدث ما حدث، بل ولقد تمنيت بالنسبة للمظاهرات الحاشدة، أن تحاصر وكرا للشيطان قتل فيه من التعذيب مسلم، أو لجنة للشيطان يزور فيها صوت، أو قاضيا من قضاة النار، بنفس الحمية التي حاصرت بها بيتا من بيوت العبادة حوله أبناء الأفاعي إلى مغارة لصوص.

إن فتح جرح مملوء بالصديد في جسد انعدمت مناعته قد يؤدي إلى تسمم الجسد كله.

إن الجسد العليل الذي هاجمته الطفيليات والطحالب والجراثيم والحشرات إنما يزداد مرضه وتتفاقم علته لو وجهت جهدي إلى إبادة الجراثيم أو مكافحة الطحالب، وعلاج مثل هذا الجسد إنما يأتي كنتيجة لتقويته وزياد مناعته، وفي هذه

الحالة ستتساقط الأوصاب جميعا.

وزيادة القوة والمناعة تأتي بأمرين: العوامل الإيجابية التي يجب توفيرها، والعوامل السلبية التي يجب القضاء عليها.

إن المواجهة مع النصارى تعطيهم أكبر من حقهم وحجمهم وتعطينا أقل من حقنا وحجمنا، كما أنها تلون الصراع بلون طائفي كاذب، فنحن لسنا ضد النصارى الذين ينتمون لمصر، بل ضد النصارى الذين يعبدون أمريكا و إسرائيل. كما أن هذه المواجهة ستطمس حقيقة الصراع كونه صراعا بين شرفاء وعملاء، بين أمناء وخونة، بين مواطنين صالحين وقطاع طرق مزورين لصوص أصبحوا في غفلة منا حكاما وقادة جيوش ووزراء عدل وكتاب سوء، وأبناء حكام، وزوجات حكام.. و..و.. بغض النظر عن كونهم نصارى أو مسلمين.

❊❊❊

لأسباب لا بد أن القارئ سيتفهمها سوف أتعرض لموقف النائب العام من القضية باختصار شديد، فالرجل صرح جهارا نهارا أنه سيستهدف من يكتبون في الموضوع.

لكنني أؤكد في حدود وعيي وعلمي أن مصر لم تقابل قرارا للنائب العام بمثل هذا الاستنكار والاستهجان أبدا.

بل إن الأمر يتجاوز كل حد ممكن، فليس له سابقة ولا مثيل فالنائب العام يواجه بمانشيتات الصحف تتهمه بالكذب، كما تتهم وزير العدل بالتزوير.

أتناول الأمر باختصار متسائلا في الوقت نفسه: هل النائب العام من قضاة الجنة أم من قضاة النار؟ ..

ولست أخشى السجن ولا حتى الموت في سبيل الله، ولكن علينا تجنبهما، فإن جاءا فستثبت ونصبر إن شاء الله.

لقد بدا موقف النيابة مثيرا لتساؤلات الكثيرين، وكان ما تنشره الصحف يخفي أكثر مما يظهر.

انظر مثلا إلى البيان التالي:

مصدر قضائي مسئول لـ الوفد:

النيابة لن تحقق في مسرحية الفتنة، لعدم وجود بلاغ.

أكد مصدر قضائي مسؤول لـ«الوفد»أن تحقيقات النيابة العامة بالإسكندرية لن تتناول أسباب اندلاع المظاهرات الدامية بمنطقة محرم بك. ولن تتناول التحقيقات حكاية اسطوانة الـCD المسجلة للمسرحية التي أثارت الأزمة.

وبدا التصريح غريبا، لأننا تعودنا أن النشر في الصحف يعدّ بلاغا.

ولم تعلق النيابة.

ولكن بدا أن النيابة مصرة على عدم التحقيق.

وفي ٣١ - ١٠ -٢٠٠٥ نشرت صحيفة المصريون:

اتهمت مصادر قانونية رفيعة المستوى النائب العام المستشار ماهر عبد الواحد بالمسئولية غير المباشرة عن اندلاع أحداث كنسية مار جرجس التي شهدتها الإسكندرية وخلفت ٣ قتلى وعشرات المصابين بعد أن تواترت أنباء عن وجود عرض مسرحي يسيء إلى الإسلام ونبيه محمد ﷺ.

وشددت المصادر على أن جهات أمنية علمت بأنباء قيام جهات بتوزيع الـCD الذي يتضمن المسرحية على طلاب وموظفي جامعة حلوان بدون التميز بين مسلم ومسيحي وشاهدت المسرحية وقدمت بلاغا للنائب العام وأرفقت به نسخة من المسرحية وطلبت منه اتخاذ اللازم فما كان من المستشار ماهر عبد الواحد إلا حفظ البلاغ في مكتبه والامتناع عن إجراء أي تحقيق.

وانتقدت المصادر تجاهل النائب العام التحقيق في القضية ومساءلة المتورطين

فيها مشيرة إلى أنه لو اتخذ أي إجراء جاد يستبق الأحداث لتم استبعاد السيناريو الدامي الذي وقعت أحداثه أمام كنيسة مار جرجس من تدافع للمسلمين احتجاجا على العرض المسرحي الذي يسخر من الإسلام.

وأبدت المصادر استياءها البالغ من عدم توجيه النائب العام اتهاما لقساوسة ورهبان كنيسة مار جرجس طبقا للمادة ١٦٠ من الدستور والذي يعاقب بموجبه أي شخص عرض الوحدة الوطنية المصرية للخطر أو قام بفعل يضر بالسلام الاجتماعي.

وانتقدت المصادر قيام البابا شنودة بمعاقبة كهنة الكنيسة التي مثلت فيها المسرحية بالنقل إلى دير وادي النطرون أو دير السريان أو نقلهم إلى الأديرة النائية باعتبار أن ذلك قرار كنسي يخرج هؤلاء عن سلطة الدولة ويكفل لهم حصانة غير دستورية مشيرة إلى أن مثل هذه التصرفات تفقد الدولة هيبتها وكرامتها وحقوقها القانونية بقدر ما يشل من سلطانها على بعض مواطنيها لافتة إلى أن الكهنة والرهبان وسائر الأقباط ليسوا فوق القانون ومعاقبتهم تعد مهمة الحكومة وليست مهمة الكنيسة أو أحد اختصاصها.

وطالبت المصادر شيخ الأزهر بالتدخل للإفراج عن ١٠٢ من المواطنين المسلمين أسوة بما قام مع البابا شنودة الذي اعتكف بدير وادي النطرون حتى أفرجت النيابة العامة عن الشباب الأقباط الذين ألقي القبض عليهم على خلفية أحداث وفاء قسطنطين مطالباً د. طنطاوي بموقف مشابه لمواقف البابا شنودة عندما أثيرت قضية اعتناق وفاء قسطنطين للإسلام وعدم الاكتفاء بإصدار بيانات علاقة عامة لا تقدم ولا تؤخر وتسهم في عدم احترام قدسية الدين الإسلامي.

و كان الدكتور محمد سليم العوا الفقيه القانوني قد حمل النيابة العامة في تقرير ضاف نشرته صحيفة الأسبوع المستقلة مسؤولية تدهور الأحداث و تصاعدها

لصمها عن التحقيق في البلاغ الذي قدم إليها قبل أن يعلم المواطنون بأمر المسرحية ويتسع نطاق توزيعها ملمحا إلى أن خضوع الكهنة والقساوسة الافتراضي لهذا التحقيق كان سينهي الأزمة في مهدها.

وأشار العوا إلى أن تصرف النائب العام قد حول الكهنة والقساوسة إلى دولة داخل الدولة ويعد تكريسا وتضخيما لمفهوم الطائفية الذي لم يعد مفهوما في حالة الدولة الحديثة التي يحكمها مبدأ المواطنة.

وحذر العوا من أن الصمت على تجاوزات الكهنة والقساوسة للقانون وإفلات المتورطين وراء المسرحية من الحساب يشكل خطورة بالغة على الأمن والاستقرار في مصر ويهدد بحدوث فتنة تأكل الأخضر واليابس على حد قوله

وفي تصريحات خاصة لـ«المصريون»قال الدكتور أحمد المجدوب الخبير الاجتماعي بالمركز القومي للبحوث إن المعلومات التي تفيد معرفة جهاز أمن الدولة بتداول الـCD بين طلاب جامعة حلوان وإبلاغه النائب العام بذلك هي معلومات بالغة الخطورة ، وإذا كان النائب العام علم بأمر الـCD قبل عرضه بفترة كافية فإن ذلك كان يلزمه بالتحقيق ، وبإصدار قرار بمنع تداول الـCD وعرضه بالإضافة إلى الحصول على جميع النسخ الموجودة والتي تداولها هؤلاء الطلاب وهو الأمر الذي كان كفيلا بمنع الأزمة قبل اشتعالها لفترة كافية ، مؤكدا على أن الخطأ الأكبر يتمثل في طبع CD كهذا وتداوله لأنه يسيء إلى الدين الإسلامي الذي هو دين الأغلبية في مصر فيما يجعل اعتذار الكنيسة أمرا واجبا لأن الخطأ كبير ولا يمكن تجاهله.

***

ثم بعد هذا كله حدثت المفاجأة الهائلة المزلزلة التي ليس لها في تاريخ النيابة مثيل:

مفاجأة يعلنها النائب العام للأهرام: لم تعرض في كنيسة بالإسكندرية مسرحية

تسيء للإسلام.

أعلن المستشار ماهر عبد الواحد النائب العام - في تصريحات خاصة لـ محمد زايد مستشار رئيس التحرير - أن التحقيقات في أحداث الإسكندرية الأخيرة كشفت عن مفاجأة مهمة فقد تأكد أن المسرحية التي قيل إنها عرضت داخل كنيسة مار جرجس في منطقة محرم بك وتضمنت إساءة للإسلام لم يحدث أن عرضت أصلا كما ثبت أنه لم يشهدها أحد، ولا استمع مواطن لاسطوانة الـC.D المدعاة. وقال : إن التحقيقات أوضحت على نحو قاطع أن الادعاءات المضللة هي التي أثارت حالة التجمهر والشغب وما ترتب عليها من أحداث مؤسفة.

***

كان الكل قد اعترف، ولم يبق إلا فضيلة المفتي والنائب العام.

ولقد سبق المفتي النائب العام بهذا الرأي ولكن عصورا من امتهان الحكام للعلماء جعلت الناس لا يأخذون كلام المفتي على محمل الجد، بل كثيرا ما يكون موضعا للتندر.

ويوم أصدر فضيلة المفتي فتواه جاءني صديق يضحك وهو يقول:

- هل لي أن أروي لك طرفة عن شيخ كبير من شيوخ الأزهر؟ .

وقلت له:

- أوافق بشرط ألا تكون على شيخ الأزهر شخصيا فالرجل لا يفحم أعداءه بل يسجنهم.

ووافق الصديق على الشرط وراح يروي طرفته:

- ذات يوم خرج الرئيس في رحلة صيد اصطحبه فيها شيخ من شيوخ الأزهر، وكان الرئيس قد بلغ أرذل العمر، وكان بالكاد يرى، لكن الشيخ الكبير لم يتوقف عن نفاقه وامتداحه للرئيس كصياد ماهر، ومر سرب من البط، وحاول

الرئيس اصطياد بطة منه ففشل وإذا بالشيخ الكبير (أؤكد أنه ليس شيخ الأزهر) يصرخ : هذه معجزة، هذه معجزة وكرامة للسيد الرئيس، لقد مات سرب البط كله بعد أن أصابه السيد الرئيس لكنه بفعل المعجزة ما يزال يطير، وهو ميت.

أنهى الصديق طرفته منتظرا أن أنفجر في الضحك لكنه وجدني صامتا، ثم أجبت على نظرته المتسائلة هامسا في ألم.

- لم تعد الطرف تضحك، بل إنها تحرض على البكاء.

***

تقبل الناس ذلك من المفتي، (أرجو الرجوع إلى صدر المقال، أنكر المفتي في التلفاز أمام الملايين ثم عاد ليعترف في مجلة محدودة التوزيع).

لكن.

عندما صرح النائب العام بما صرح به انفجر الغضب.

وكان مما كتب ما قاله المفكر القبطي جمال أسعد والذي انتقد بعنف التصريحات التي نشرتها صحيفة الأهرام منسوبة إلى النائب العام ، ونفى فيها وجود المسرحية المسيئة للإسلام التي أثارت أحداث العنف في الإسكندرية ، وذلك رغم اعتراف الكنيسة بعرض المسرحية وتسجيلها على «سي دي »، وكتب أسعد يقول «إن الطريق إلى جهنم مفروش بالنيات الحسنة يا سادة ، ولذا فهل تعلمون حضراتكم ما هو رد الفعل الطبيعي لدى كل من المسلمين والمسيحيين من جراء تلك النيات الحسنة وتلك المعالجات الخاطئة ، والتي مازلنا نصر عليها والتي لا تخرج عن شعارات فارغة جوفاء أو اختلاق معلومات غير صحيحة أو التخفيف من الوقائع في وقت يجب فيه المصارحة أو الشفافية ، والتستر على المخطئ في وقت يجب فيه تحديد المسؤولية ومحاسبة المخطئ. أقول : إن رد الفعل تجاه ذلك الخبر لدى المسلمين هو الإحساس بالتستر على المخطئ وعدم تحيد المسؤول ، والأهم هو

عندما ننسب تلك التصريحات للنائب العام حتى نعطي الإيحاء بأنه نتيجة للتحقيق فتحدث هنا ردود فعل عكسية واستفزازية تؤكد التواطؤ للمداراة على الخطأ والمخطئين ، خاصة أن الخبر جاء في إطار نفي ما هو معلوم وما هو معترف به من صاحب الشأن وهو الكنيسة ، أفلا يعطي هذا إحساسا بأن هناك قوة أكبر من القانون تضغط لصالح طرف ، ألا يجعل المسلم يشعر بأن هناك تدليسا على الإساءة لدينه ، ألا يولد ذلك مزيدا من الكبت والاستفزاز الذي يتراكم ويولد انفجارا لا نعلم سببه ومكانه وزمنه.

وأضاف أسعد »أما رد فعل المسيحيين تجاه الخبر فهو الاستقواء حيث إنهم يعلمون أن المسرحية عرضت فعلا وبها إساءة خاصة بعد اعتراف الكنيسة بهذا ، ولكن قد انتابهم إحساس فعلا بالاستقواء يجعلهم يمارون ويدعون ، باسم النائب العام ، أنه لم تعرض المسرحية أصلا وهذا يعني أن الجانب المسلم قد اختلق تلك المسرحية وقد افتعل ذلك الحدث حتى تتم مهاجمة الكنائس وأن هذا هدف إرهابي للضغط على الأقباط واضطهادهم ، كما أن ذلك الخبر قد أعطى الحجة لأقباط المهجر للمزايدة والمبالغة.

الموقف لم ينته بعد ولم تنته آثاره الطائفية وإذا لم يتم التحقيق من خلال الشفافية والمواجهة لتحديد المسؤول ومعاقبته قانونا ، فستكون تلك الحادثة مثل سابقيها ، حادثة طائفية تترك جرحا غائرا في نفوس المسلمين حيث إنه تمت الإساءة إلى دينهم ، وفي نفوس المسيحيين حيث إنه تم الاعتداء على كنائسهم ، خاصة وأن كل طرف يعتبر نفسه المجني عليه ».

***

أما القس فلوباتير فقد قال فلوباتير في «صوت الأمة»يوم الأحد ٢٩-١٠-٢٠٠٥ :

١ - «أعتبر هذه التصريحات مستفزة ولا تحترم عقلية الشارع المصري لأن السيد النائب العام لم يستطع الوصول إلي حقيقة معلنة للكل ، فهل سيادتكم لم تقرأ صحفا كثيرة ولم تستمع إلى بيانات كثيرة صدرت عن الكنيسة والمجلس الملي تؤكد وجود مسرحية فعلا ولكنها تنفي أنها تحمل أية إساءة للإسلام؟ إن كنت سيادتك تريد إطفاء لهيب مشتعل فنحن نطالبك بالصدق والشفافية بدون أية مجاملة لطرف على حساب الآخر».

٢ - «هذه التصريحات يمكن أن تثير فتنة طائفية أخرى لأن الأقباط يمكن أن يثاروا بسبب تصريحاتك هذه عن إخوانهم المسلمين بسبب إحساسهم بظلم وقع عليهم ويمكن أن يتساءلوا أنه إن لم تكن هناك مسرحية فلماذا كل هذه الثورة من شركاء الوطن ولماذا كل هذه الاعتداءات عليهم وهذه الخسائر التي مني بها الأقباط وهذه الإهانة الكبيرة التي حلت بمقدساتهم، فهل يمكن أن يطالب الأقباط باعتذار يقدمه فضيلة شيخ الأزهر لأقباط هذا الوطن عن كل ما قام به مسلموه؟ »

٣- لماذا لا تقوم النيابة بعمل تحقيق كامل في الموضوع لبيان مدى ما أخطأ به كل طرف وليخرج الأمر بشكل حيادي.

سيادتك بتصريحاتك هذه أغضبت الطرفين، فالأقباط لم يسعدوا كثيرا بها بسبب أنها تخالف الحقيقة وتظهرهم كما لو كانوا مسنودين من الدولة. إن تصريحات سيادتك لم ترض الإخوة المسلمين بل علي العكس يمكن أن يزيد حزنهم وضيقهم لأن إشاعة ازدراء الأقباط بعقيدتهم بل أكاد أقول : أنها أكدتها ، وكأن النائب العام في مصر تأكد من أن هناك ازدراء ، وأراد أن ينفيه لتهدئة الجو فقام بنفي وجود المسرحية من الأساس فهل هذا مقبول!؟ ويبقي السؤال من المستفيد من هذه التصريحات؟ ولماذا في هذا التوقيت بالذات تصدر؟

أخيرا كررت كثيرا في مقالي هذا عبارة فتنة طائفية وأخشى أن يخرج لي السيد

النائب العام بتصريح يقول : إنه لم تحدث أصلا فتنة طائفية في حي محرم بك، بل لا توجد في الإسكندرية منطقة تسمي محرم بك!.

***

المحامي الشهير الدكتور محمد سليم العوا، خاض أشرف و أذكى معاركه في هذه القضية (أدعو الله أن يغفر له ما انتقدته فيه قبل ذلك من أخطاء وخطايا) وكتب عدة مقالات كانت آخرها في صحيفة الأسبوع وتمثل قطعة من الأدب الرفيع الذي تختلط فيها السخرية الخفيفة بالأدب الجم. إنه يعاتب الناس لأنهم لم يفهموا ما قصده النائب العام بقوله : أن المسرحية لم تعرض أصلا، يقول الدكتور العوا في صحيفة الأسبوع ٧/ ١١/ ٢٠٠٥ تحت عنوان «دور الضحية والبحث عن الحقيقة»:

تعجب الناس للعناوين التي نشرت بإحدى الصحف القومية في صفحتها الأولى وصفحتها الحادية عشرة من عدد يوم الجمعة ٤/ ١١/ ٢٠٠٥ تنسب فيها إلى السيد المستشار النائب العام أنه نفى عرض مسرحية 'كنت أعمي والآن أبصرت' في كنيسة مار جرجس بالإسكندرية، وهذه العناوين غير المعبرة عن حقيقة كلام النائب العام اغترت بها بعض الأقلام الشريفة واضطربت لذلك كلمتها في الموضوع بين تصديق النائب العام أولا ثم استنكار كلامه آخرًا. (مجدي مهنا في عموده ب'المصري اليوم' ¬ السبت ٥/ ١١/ ٢٠٠٥).

والواقع أن كلام النائب العام مفتاحه هو كلمتا 'قبل الأحداث' فهو يقول : إن تلك المسرحية لم تعرض قبل الأحداث، ومعني 'قبل الأحداث' أي في الأيام الأولي من شهر أكتوبر لأن الأحداث وقعت على التوالي في أيام ١٣، ١٤، ٢١/ ١٠/ ٢٠٠٥ ، والمسرحية عرضت قبل عامين ثم أعيد عرضها في آخر أغسطس الماضي وفي هذا العرض صورت بالفيديو ونسخت منها نسخ على القرص المدمج (C. D) الذي وزع أول ما وزع في جامعة حلوان كما بينته في مقالي المنشور

في 'الأسبوع' عدد ٤٤٩ بتاريخ ٢٤/ ١٠/ ٢٠٠٥ وأبلغ بهذا التوزيع السيد المستشار النائب العام في حينه. ثم اتسع نطاق التوزيع ليشمل الإسكندرية ومدنا أخرى غيرها، حيث وزعت عشرات الآلاف من نسخ (C. D) ولا أستطيع أن أحصي عدد الذين رأوه فغضبوا لدينهم ولنبيهم وقرآنهم(...)

حدث ما أصبح من العلم العام الذي لا يحتاج إلى مزيد بيان في شأن المسرحية التي عرضت على مسرح كنيسة مار جرجس بالإسكندرية.

وتبينت الأدوار في الأمر كله لذي عينين، فلم يعد أحد يجهل من الجاني ومن المجني عليه، من الذي بدأ بخطيئة العدوان على دين الغالبية العظمى من المصريين (...) ومن الذي تجاهل مشاعر الذين تظاهروا سلميا أمام الكنيسة نفسها يوم ١٤/ ١٠/ ٢٠٠٥ وضربوا بأجسادهم حصارا حول الكنيسة لحمايتها من انفعال غير متعقل قد يصدر من بعض المتظاهرين، وقدموا لرجال الأمن مطلبا متواضعا هو أن يعتذر البابا شنودة عن خطيئة القساوسة والمشاركين في المسرحية (عددهم ٤٩ شخصا) التي تمثلت فيما تضمنته المسرحية من هزء بالقرآن الكريم، والنبي ﷺ، وأحكام الإسلام القطعية في شأن نظام الزواج وفي شأن الجهاد وغيرهما.

وأصبح معلوما للكافة أن صمت أسبوع كامل علي جريمة هذه المسرحية، وهي توزع في الشوارع والجامعات في الإسكندرية وخارجها ستغضب عوام المسلمين وخواصهم (...) وأصبح الناس وأمسوا وهم ينتظرون قرارا من النيابة العامة بالإفراج عن جميع من لم يثبت عليه ارتكاب جرائم الاعتداء على دور العبادة القبطية، وهو اعتداء يجرمه القانون ويحرمه الدين، وتأباه المروءة، وتنكره الوطنية، لكن الذين قبض عليهم وحبسوا احتياطيا يستحيل أن يكونوا كلهم ممن قامت أدلة كافية في نظر النيابة على ارتكابهم هذه الجريمة، بدليل الإفراج عن بعضهم يوم ٣١/ ١٠/ ٢٠٠٥ ثم يوم ١/ ١١/ ٢٠٠٥ والناس لا يجدون مسوغا لحبس شخص

واحد، فضلا عن عشرات من الأشخاص، بتهمة لم تثبت أو لم تقم ضدهم في شأنها أدلة كافية. وهم يقارنون في هذا الشأن بين الشباب القبط الذين أفرج عنهم في خلال أيام معدودة بعد أن اعتكف البابا من أجلهم وهدد بإلغاء الاحتفال بعيد الميلاد الماضي (٢٠٠٤)، وهم كانوا قد أصابوا إصابات متنوعة بعضها خطير ٦٤ ضابطا وجنديا وقفوا يحرسون الكنيسة المرقسية في العباسية خشية الاشتباك بين المتظاهرين الأقباط والمتظاهرين المسلمين. وتأتي المقارنة في غير صالح قرار استمرار حبس المتظاهرين السكندريين، فهم لم يصيبوا أي فرد بأي أذي، بل أصيب منهم نحو ثمانين أو يزيدون. وهم لم يساهموا كلهم قطعا في جريمة الاعتداء على الكنائس والممتلكات. ومن فعل منهم ينبغي أن يحاكم بلا إبطاء. وبينما الناس يصبحون ويمسون تحيطهم هذه المشاعر والأفكار، فلا يتحدثون إلا فيها ولا يختلفون إلا حولها ولا يترقبون إلا نبأ جديدا عنها: بينما هم في هذه المشغلة: فوجئوا بالقيادات الكنسية القبطية تلعب دور الضحية، وتتجاهل دور مشعلي نار الفتنة، وتستبعد أن يثبت على أحد جرم، ويتعهد الذين يحسنون من تلك القيادات استبقاء صلات الصداقة مع المسلمين 'بمحاسبة كهنة الكنيسة' بمعرفة الكنيسة نفسها: وفوجئوا بالبابا شنودة يستعيد إلى قلوب الأقباط وعقولهم مشاعر عصر الاضطهاد الروماني للقبط المصريين، في كلمته العامة التي يلقيها كل أربعاء في مقره بالقاهرة. (...) وهذا الموقف لابد أن يتضمن أن يعامل كل بحسب جريمته ودوره فيها، وأن يطبق قانون واحد على الجميع، و ألا تسبغ حماية كنسية أو بابوية علي المخطئين الأقباط ويطبق القانون على المخطئين المسلمين وحدهم. والذين يحرصون على هذا البلد ويخافون أن يصيبه ما أصاب بلادا غيره من جراء العدوان على المقدسات وامتهان دور العبادة، وترك الأمر فوضى في أيدي العامة والدهماء، عليهم جميعا أن تتكاتف جهودهم وآراؤهم لعوْدة القانون سيدا على الجميع، وللحيلولة دون عودة الوطن

إلى عهد المحاكم القنصلية والامتيازات الأجنبية، بترك القبط للكنيسة تودعهم الأديرة وتحاسبهم بطريقتها، بعيدا عن سلطان الدولة والحكومة، وبتقديم المسلمين وحدهم إلى سلطات التحقيق وإلى محاكم البلاد.(...) والكلام الذي نشر في عدد من الصحف والمجلات على ألسنة بعض القيادات الكنسية يحاول كله أن يلقي اللوم على المسلمين الذين أغضبتهم إهانة دينهم وقرآنهم ونبيهم. ويستعمل أدوات الشرط دائما في احتمال خطأ الكهنة، ويعد بأن تحقق الكنيسة معهم. وكلما سئل أحد القيادات الكنسية عن سر الصمت الكنسي أسبوعين كاملين تعلل بأنه كان لابد من فترة للدراسة والتقييم وبأن الشحن والتظاهر جعل الكنيسة تشعر أن هناك شيئا مبيتا ، وأن مبدأ الاعتذار لن يكون هو الحل الأمثل! ومثل هذه الإجابات التي تتهرب من المشكلة الحقيقية، ولا تواجه الأصل الذي تفرعت عنه سائر الأوضاع التي أدمت المسلمين وأضرت بممتلكات الكنائس وبعض الأقباط، هذه الإجابات إمعان في محاولة الظهور بمظهر الضحية الذي يحتاج إلي منقذ، وإبعاد صورة الكهنة والشباب والمسؤولين عن كنيسة مار جرجس باعتبارهم أصحاب الخطأ الأول والجريمة الأكبر في الأمر كله.

وقد بلغت هذه المحاولات ذروتها في حديث البابا شنودة الثالث في الكنيسة المرقسية بالعباسية يوم الأربعاء ٢٦/ ١٠/ ٢٠٠٥. ففي هذه المناسبة الأسبوعية التي حضرها نحو ثلاثة آلاف شخص، تحدث البابا باكيا عن أحداث الإسكندرية فقال : إن في ذهنه كلامًا كثيرًا كثير ليقوله وفي قلبه كلام أكثر، لكنه يفضل الصمت لكي يتكلم الرب. وأثنى البابا على الرب بعبارات معتادة في الصلوات القبطية، ثم قال «حينما تتعقد الأمور فإن يد الله تعمل وبقوة ووضوح» واستشهد البابا بجملة تقول: «لتكن مشيئتك: إن أردت تحلها، لتكن مشيئتك، وإن أردت أن تأخذ بركة صليب نحمله لتكن مشيئتك أيضا».

والإشارة في هذه الجمل البابوية لا تخطئها العين. إنها تقول إن الأقباط يعيشون اضطهادا يشبه اضطهاد نبي الله عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام على يد اليهود الذين كفروا به وأنكروا نبوته. وأن هذا الاضطهاد يشبه في نتائجه 'إن لم يحلها الله' ما يعتقده الأقباط من أن المسيح عليه السلام قد حمل صليبه على ظهره إلى حيث علق عليه.

والواقع أن الأقباط يتمتعون في مصر 'مبارك' بمقادير من النفوذ والقوة والسلطان السياسي والاقتصادي والاجتماعي لم يسبق لهم أن تمتعوا بمثلها. والبابا نفسه له كلمة نافذة مسموعة لم يتخيل أحد أن تكون لممثل أقل من ٦ ٪ من السكان في مواجهة الذين يشكلون أكثر من ٩٤ ٪ من السكان. والذي حدث وكررت الحديث عنه في واقعتي وفاء قسطنطين وماري عبد الله كفيل بأن يؤكد ما أقول. والذي يحدث في كل أنحاء البلاد من بناء الكنائس القلاع في الوقت الذي تشترط فيه شروط معجزة لبناء المساجد، والذي يعرفه الخلق جميعا من حرية الكنيسة في اتخاذ دورها مدارس وملاعب ونوادي وفصول تعليم ومستوصفات ومشاغل، وهي مفتوحة للعبادة والاعتراف وسائر أنواع النشاط، دون أي قيد حكومي أو أمني على كهنتها وشعبها، ٢٤ ساعة يوميا و٣٦٥ يوما سنويا في الوقت الذي تغلق فيه المساجد بعد الصلاة بربع ساعة وتفتح قبلها بعشر دقائق، ولا يسمح فيها بأي نشاط إلا الدروس الرسمية لموظفي الأوقاف، ويخضع داخلها وخارجها ويخضع خطباؤها ورواداها لرقابة أمنية مكثفة، هذا كله يؤكد مدى النفوذ الذي بلغته الكنيسة القبطية وسائر الكنائس الإنجيلية والكاثوليكية مقارنة بمؤسسة العبادة للأغلبية التي أصبحت شبه مغلقة في وجوه أصحابها إلا سويعة من النهار والليل معا.

وحين يكون هذا هو الحال فإن دور الضحية لا يليق أن تقوم به القيادات

الكنسية، ولا يجوز أن تهراق له دموع البابا الذي هو أدرى الناس بما تحقق له من نفوذ وسلطان في ربع القرن الذي أدار فيه شؤون الكنيسة.

ولعب دور الضحية يزيد شعور المسلمين بالقهر، وينفخ لدى العوام في نار الغلو والرغبة في الانتصار لأنفسهم ودينهم من كل قول أو فعل تبدو فيه استهانة بشيء من ذلك أو إهانة له. وهو لذلك دور يجب الحذر من الاسترسال فيه والاستمساك به لأن عاقبته وخيمة لن يحتملها أحد، لا الضحية الحقيقية ولا الضحية المدعي.

***

بالنسبة لي شخصيا ككاتب يتحرى أقصى درجات الصدق فقد أعدت مشاهدة القرص لأستوثق، ولم أستطع أن أستوعب قرار النائب العام رغم كل الاحتمالات، ثم خطر ببالي أن تكون الشرطة قد زيفت الحقائق أمامه، فقررت أن أبادر بعرض خدماتي عليه، فإن كانت النيابة لم تحقق في الأمر لعدم وجود بلاغ فليعتبر هذا المقال بلاغا، و إن لم يقبل بمقال كبلاغ فسوف أتوجه إلى دار القضاء العالي لأقدم البلاغ إليه، وسوف أرفق بالبلاغ القرص المدمج الذي يحتوي على المسرحية ، لعله لم يشاهده.. ولعله.. ولعله.. ولعله..!!

إن القرص المدمج لا يحتوي على مسرحية مكتوبة بل على مسرحية تمثل، فهناك من يقدم، وهناك صوت، وهناك ممثلون لهم وجوه لها ملامح ولهم حناجر لها أصوات. وعلى الشاشة تظهر أسماء المتهمين. و إن كان الأمر كما نبحث حيوانات بلا ضمير يعود إلى تزوير في القرص المدمج فإننا نتساءل : إذا أمكن تزوير الصوت وتقليده فكيف يتم تزوير الصورة؟ ! الصورة المتحركة لعشرات يمثلون؟ كيف يمكن تزييفها ودسها ؟ !

كيف يمكن تزوير أصوات وأشكال ٤٩ مجرما اشتركوا في تمثيل المسرحية الساقطة، هذا غير الساقطين الذين أشرفوا عليها.

٤٩ مجرما لم نسع نحن إلى حصرهم ولكن من البداية فإن الكتابة على الشاشة تقول:

كنيسة مار جرجس الأنبا أنطونيوس بمحرم بيك.

كورال مار جرجس والأب أنطونيوس.

نال هذا العمل بركة صوت قداسة البابا شنودة.

تم هذا العمل تحت رعاية كل من أبونا أوغسطينوس فؤاد و أبونا أنطونيوس فهمي.

نال بركة هذا العمل:

مينا جمال- فادي عياد- أندرو نجيب- بيتر بيتل- مايكل ماهر- نجيب ماهر- نادر ذكرى- جون إتيل- مينا صبحي- بوساب عاطف- صبحي كمال- كيرلس كمال- مينا عادل- إيليا مينا إدوارد- ماجد مقار- أندرو سمير- روبير غطاس- فادي منير- أندرو أمجد- جورج سامي- فادي وصفي- بيتر جورج- جرجس لمعي- بيتر ألبير- مينا جرجس- مرقص هنري كيرلس نجيب- مينا نبيل- مينا نسيم- مينا عزت- مارك جيل- بيشوي مجدي- جورجيوس سمير- ريمون وديع- فادي فاروق- عماد فيكتور- أرساني القس- جون سامي- مينا عطية- كيرلس صبحي- مينا مجدي فائق- مينا طلعت- فادي وجنة- عماد عزت- مايكل جميل- مايكل عطية- مينا ميشيل- عماد سمير- عادل نصيف.

فريق التمثيل حسب الظهور:

جوزيف سامي- مارك سمير- مايكل مقار- مينا عبد الوهاب- أمجد فؤاد- بيتر القس أوغسطينوس- جاكلين متري- سحر ماهر- جورج ناجي- مينا عادل عزيز-.

***

الموسيقى والتوزيع الموسيقي:

مينا ميخائيل.

أعمال الديكور:

م. نورة طلعت - م. مايكل سمير- - ماريان سمير- ماريان حليم- ماري فؤاد- مارسيل فؤاد- ميرا عادل- جوستينا زكي- سالي عادل- ماري إيهاب- ماريان ماهر- كريستين إدوارد.

كتابة الترانيم بالكمبيوتر: سيلفانا إميل

صوت روك ساوند: أسامة لبيب.

إضاءة : أمير نسيم – سعد آدم.

أعمال الجرافيك والفيديو كليب: مركز الكمبيوتر بالكنيسة.

تم التصوير والمونتاج بوحدة فوتو ميشيل

مصور صحفي ميشيل نبيل ٠١٢٣٦٠٥٠٠٣/٤٩٦٢٠٦٢

***

فهل يمكن لكم ياسيادة النائب العام أن تغيروا رأيكم لتعترفوا بوجود القرص المدمج.

لقد عرض عليّ أحد خبراء الكمبيوتر أن أقدم لسيادتكم صورة لكل ممثل أو أن أنشرها على الشبكة لكي يستطيع أهل الإسكندرية الإرشاد عنهم، لكنني قدرت أن سيادتكم ستكتفون بالأسماء.

***

ملحوظة أخرى أقولها لعلها تفيد السيد النائب العام في التحقيق.

ذلك أنه يوجد بجوار الكنيسة مباشرة مسجد (مسجد أولاد الشيخ) ، وقد

كانت المسرحية تعرض أثناء أداء الصلاة، لذلك تسمع في خلفية القرص المدمج الذي سجلت عليه المسرحية صوت المؤذن ثم صوت الإمام، وهذه قرينة لا يستهان بها. قد تساعدك يا سيادة النائب العام إذا كانت شكوكك حول أن المسرحية لم تعرض قط ما تزال تنهش قلبك.

فإن عجزت يا سيادة النائب العام بعد هذا كله أن أقنعك برأيي ، وإذا كنت مصرا على أن هذا القرص المصطنع مزور ومدسوس، فإنني أرجوك أن تسمع رأيي في ذلك، لأن هذا القرص إن كان مزورا فلا يمكن لأحد أن يزوره إلا مباحث أمن الدولة.

فإن كان القبض على الكهنة الساقطين الذين باشروا عرض هذه المسرحية الساقطة مستحيلا.

و إن كان القبض على رئيس مباحث أمن الدولة صعبا.

فإنني أرجوك.

أن تأمر بالقبض عليّ أنا!!.بتهمة البلاغ الصادق وتكدير النائب العام!!